بسم الله الرحمن الرحيم

The Islamic University of Gaza	الجامعـــــــة الإســـلاميـة بغـزة
Deanship Research & Postgraduate Studies	عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
Faculty of Ossoul Deen	كـليــــــــة أصـــــــول الديـــن
Master of Interpreation & Quran Science	ماجستيـــــــر التفسير وعلوم القرآن

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة محمد

(دراسة موضوعية تطبيقية)

Educational Directives and Methods Derived from Surat Muhammad

(A Study of Quranic Subjectivity)

إِعدَادُ البَاحِث

جهاد زياد محمد أبو نعمة

إِشرَاف الدكتور

زهدي محمد أبو نعمة

قُدمَ هَذا البحثُ استكمَالاً لمُتَطلبات الحُصول عَلى دَرَجَة الْمَاجستير
في التفسير وعلوم القرآن بِكُلِيَة أصوَل الدين فِي الْجَامعة الإِسلامِيَة بغَزة

أغسطس/2019م – ذي الحجة/1440هـ





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم ج.س.غ/35/ Ref

التاريخ 2019/08/21م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **جهاد زياد محمد ابو نعمة** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة محمد
{ دراسة موضوعية تطبيقية }

Educational directives and methods derived from Surat Muhammad
{A study of Quranic subjectivity}

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاربعاء 20 ذو الحجة 1440**هـ الموافق **2019/08/21**م الساعة العاشرة صباحاً، في **قاعة مؤتمرات مبنى القدس** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. زهدي محمد أبو نعمة	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. رياض محمود قاسم	**مناقشاً داخلياً**	....
د. طارق أحمد عقيلان	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

الرقم العام للنسخة	307835	اللغة	العربية	☑ ماجستير	☐ دكتوراه

التاريخ: 2019/9/12م

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

للطالب/ جهاد زياد محمد أبو نعمة

رقم جامعي: 120170106 قسم: تفسير القرآن وعلومه كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب

إدارة المكتبة المركزية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

(يوسف: 108)

ملخص الدراسة

هدف الدراسة: هدفَ الباحث إلى إيجاد علاج لبعض مشكلات الواقع المعاصر، من خلال التوجيهات التربويَّة لموضوعات القرآن.

عيِّنة الدِّراسة: الاطلاع على بعض موضوعات القرآن الكريم، من خلال سورة محمد ﷺ، واستنباط التوجيهات التربويَّة الخاصة بها.

منهج الدِّراسة: اتبع الباحث المنهج الاستنباطي، حسب منهجية التفسير الموضوعي.

أهم نتائج الدراسة:

- القرآن الكريم أصل لكلِّ العلوم، والمفاهيم الإنسانيَّة، والأخلاقيَّة، والسُّلوكية.
- دعوة للحذر من صفات المنافقين، والاحتراس من عدائهم.
- القرآن الكريم يوجِّه المسلمين نحو الارتقاء، باتبَّاع المُثل العليا.
- تحقيق المراحل الجهاديَّة المتَّبعة قبل وأثناء وبعد المواجهة.

أهم التوصيات:

-ضرورة العناية بموضوعات القرآن المتعدِّدة؛ فالقرآن امتاز بحلول جميع الاشكالات التي تعاني منها الأمة مع مرور الزمن؛ فالمشكلات التي عالجها القرآن الكريم منذ نزوله هي نفسها المشكلات الحيوية الموجودة في الواقع اليوم.

-أوصي وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة بالاهتمام بموضوعات القرآن، التي تمس أحوال الناس، وتتعلق بقضاياهم تعلُّقاً مباشراً، فالقرآن بحرٌ زاخر بجميع العلوم.

Abstract

Objective of the study: This study aims at finding a remedy for the problems of contemporary reality through the educational guidance of the subjects of the Holy Quran.

Sample of the Study: Reading some of the topics of the Holy Quran in Surat Mohammed, and devising its educational instructions.

Research Methodology: The researcher used deductive approach according and the objective interpretation methodology.

The most important findings of the study:

- The holy Quran is the origin of all human, moral and behavioral sciences and knowledge.
- A precaution should be taken from the hypocrites and their enmity.
- The Quran directs Muslims to develop by following the ideals.
- Achieving the jihad stages before, during and after the confrontation.

The most important recommendations of the study:

- There is a need to take care of the various topics of the Holy Quran that is characterized by providing solutions to all the problems that the nation suffers from in all times. The problems addressed by the Quran since the time of its revelation are the same vital problems that exist in reality today.

- I recommend the audio-visual media to pay attention to the subjects of the Holy Quran that touch the people affairs and relate to their problems directly.

إهداء

هذا يومٌ مبارك فيه الفرح والنجاح ومنتهى السعادة ومحلُّ السرور بفضل من الله ورحمة، الذي أخصَّني بفضلِ نعمته وعظيم كرمِه ومِنَّتِه وعدلِه، يقول تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ **(يونس: 58).**

إهداء إلى خير معلِّم البشرية القرآن، إلى إمام المجاهدين وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

على بساط من الحُب والفرح والأمل، أوجِّه إهدائي بأسمى الأماني وأحلى التهاني إلى كُل مَن له في القلبِ مَحل فأنتم فوق الرؤوس وفي المُقَل.

- إلى الشمعتَين المضيئتين في الوجدان أبي وأمِّي، يا مَن غرستم في قلبي الإيمان وعلَّمتموني القرآن، أُسَجِّل لكما هذه الكلمات بمداد قلبي يا أغلى الناس، فبارك الله لكُما وأكرمكُما بما يكرِم به عباده الصالحين.
- إلى زوجَتي الغالية التي يعجز القلب عن التعبير، والعقل عن التفكير في وصف الجهد الكبير الذي قامت به في مساعدتي، والوقوف إلى جانبي حتى جاء البحث في هذه الصورة، فجزاها الله عني خير الجزاء.
- إلى أبنائي الأعزاء الأقمار صهيب ومحمود وأمير، أحبكم وأسأل الله أن يحفظكم ويجعلكم من عبادِه الصالحين ومن حفظَة القرآن الكريم.
- إلى منارة العلم والتعليم إلى الصرح التعليمي المتميِّز إلى الجامعة الإسلاميَّة الغرَّاء، وإلى عمادة شئون البحث العلمي، والدراسات العليا، أدام الله فضلكم وعزَّكم، ودامت الجامعة عامرة بعلمائها وطلابها، وحفظها من كلِّ مكرٍ وسوء.
- إلى كل طالِب عِلم يسعى إلى نور العلم والفهم والمعرفة، فيسعد بذلك ويرتقي إلى خير المراد.
- إلى المجاهدين والمرابطين على ثغور الاسلام، وإلى أرواح الشهداء العِظام الذين هم أكرم منَّا جميعاً، كما أقدِّم إهدائي إلى الجرحى شفاهم الله وعافاهم، وإلى الأسرى خلفَ قضبان الاحتلال الصهيوني سائلاً المولى ﷻ أن يُفرِّجَ كربَهم ويهبَهم الحرية لِنكحِّلَ أعيننا برؤياهم أحراراً.

شكر وتقدير

أحمدُ الله تعالى، وأشكره، وأثني عليه الخير كله على ما مَنَّ به عليَّ، ويسَّر عليَّ إتمام هذا البحث وإنجازه.

انطلاقاً من قولِه تعالى: ﴿**وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**﴾ **(النمل:40)**، وقول النبي ﷺ: **(مَن لا يشكر الناس، لا يشكر الله)** [(1)].

فإنَّني أتقدَّم بالشكر الجزيل من **أستاذي الفاضل الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة حفظه الله،** الذي تكرَّم بقبوله للإشراف على هذه الدِّراسة، ولم يألُ جهداً في إسداء التوجيهات والملاحظات والنصائح التي أخذت بعين الاعتبار، واستفدت منها كثيراً حتى خرجت الرسالة على هذا النحو، فأدعو الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

كما وأتقدم بعظيم الشكر والتقدير لأستاذَي الفاضلَين عضوي لجنة المناقشة الذَين تلطَّفا بقبول مناقشة هذه الرسالة، لإبداء ملاحظاتهما، والتي ستزيد هذا البحث حُسناً وبهاء، وهما:

فضيلة الأستاذ الدكتور: رياض محمود قاسم حفظه الله.

وفضيلة الدكتور: طارق أحمد عقيلان حفظه الله.

كما أقدِّم شكري وتقديري لأساتذتي في كلية أصول الدِّين، وأخصُّ بالذِّكر أساتذتي في قسم التفسير وعلوم القرآن، الذين تشرَّفت بالتَّتلمُذ على أيديهم.

والشكر موصول إلى الجامعة الإسلامية، التي أتاحت لي فرصة إتمام دراستي العليا، سائلاً المولى ﷻ أن يجزي القائمين عليها خيراً، وأن يحفظها من كل سوء.

كما وأتقدم بعظيم شكري وامتناني لوالديّ الكريمين اللذين ربياني تربية إيمانية، وشجعاني على طلب العلم الشرعي، فأسأل الله أن يجزيهما عني خير الجزاء.

والشكر موصول إلى زوجتي الغالية التي ساندتني ووقفت إلى جانبي؛ فكانت بمثابة يدي وعيني حتى تم هذا البحث بهذه الصورة البهيّة، فجزاها الله خير الجزاء.

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساندني وساعدني وأخص بالذكر الأستاذين الكريمين: محمود محمد أبو نعمة، والأستاذ عامر قاسم، الذين قاما بمبادرة طيبة لتدقيق الرسالة لغوياً ونحوياً، ما استطاعا إلى ذلك سبيلا .

([1]) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح1954، ص445، قال الترمذي حديث صحيح.

فهرس المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً يليق بقدرِه، وأشكره شكراً امتثالاً لأمره، وأقرُّ بأن الخلق عاجزون عن تعظيمه حق عظمته؛ لعدم إحاطتهم به علماً، نِعَمُهُ سبحانه وتعالى لا تُحصى، وشُكرُه لا يُوفَّى، له الآخرة والأولَى، وإليه الرُّجْعَى؛ لا إلهَ غيره، ولا معبودَ بحقٍّ سواهُ، وأصلِّي وأسلِّم على النبي الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى آلِه وصحبه ومن والاهُ. أمَّا بعد :

فإن كتاب الله ﷻ هو الكتاب المبين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو حبل الله المتين، والصراط المستقيم، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو المصدر الأول الذي بتوجيهاته وهداياته ينضبط مسار الحياة؛ فقد نزله الله ﷻ تبياناً لكل شيء وهدىً، ورحمة، وبشرى للمسلمين، وما فَرَّطَ فيه من شيء، وجعلنا به على شريعة من الأمر؛ حتى نتبعها، ولا نتبع أهواء الذين لا يعلمون. فقد أحيانا به، وجعلَهُ نوراً لنا نمشِي به في دعوة الناس.

ولمَّا كانت كل سورةٍ من سور القرءان تحتوي على الكثير من التوجيهات التربوية بأساليب متعددة، كان موضوع دراستي في إحدى سور القرءان، وهي سورة محمد، لِنسبِرَ غورها، ونستقي من عذبِ فوائدها وهداياتها.

وفي ضوء ما عرضته السورة من قضايا تربوية عديدةٍ ومتنوعةٍ، في جوانب الحياة كافَّة: العقديَّة والتعبُّدِية والأخلاقيَّة والسلوكيَّة والجهاديَّة، كانت دراستي بعنوان:

(التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة محمد – دراسة موضوعية تطبيقية).

أولاً / أهمية اختيار الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع في نقاط عدة ، منها :

1 . استنباط الحقائق والهدايات، والعبر والعظات من السور القرآنية، التي تمثِّل دوراً أساسياً في تربية الفرد؛ وسورة محمد إحدى هذه السور .

2 . بيان التوجيهات التربوية في سورة محمد، وربط ذلك بواقع حياتنا المعاصرة ؛ لنرى دورها في التربية العقدية والبناء للجيل المؤمن .

3 . تستند هذه الدراسة إلى القرءان الكريم ابتداء، لا سيما وأنه منهج حياة، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ما يعني أنها صادقة في نتائجها ومخرجاتها، بخلاف كثير من الدراسات التربوية التي تفتقر إلى ما تستند إليه .

4 . محاولة الناس بيان وجه الإعجاز القرآني في موضوع السورة، أو دلالة السياق، أو دلالات الألفاظ الواردة منها .

ثانياً / أسباب اختيار الموضوع

هناك أسباب كثيرة لاختيار الموضوع، أبرزها :

1. التَّشرُّف في دراسة إحدى موضوعات القرآن العظيم، والتي ترسخ توجيهات تربوية في كل المجالات؛ يستفيد منها المسلم.
2. التعرف على أحوال المنافقين ومدى عدائهم للإسلام وأهله، وقد كان لزاماً علينا التحذير من التشبه بهم واتباعهم، والتخلص من تلك الزلات.
3. توضيح الدور التربوي الذي زخرت به سور القرءان؛ للاستفادة منه في الحياة العملية.
4. إبراز الوحدة الموضوعية للسورة، وبيان انسجام الموضوع الأساس بها مع المحاور الفرعية.

ثالثا / أهداف البحث وغاياته :

توجد عدَّة أهداف لهذا البحث، منها :

1 . خدمة القرءان الكريم، من خلال البحث في موضوع من موضوعاته، وفتح آفاق جديدة أمام الباحثين لدراسة موضوعات قرآنية مشابهة لهذا الموضوع .

2 . معرفة التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة محمد؛ لعلاج بعض مشكلات الواقع المعاصر.

3 . إثراء المكتبة الإسلامية، ببيان وجوه الإعجاز، التي أشارت إليها السورة.

رابعاً / الدراسات السابقة :

بعد البحث في فهارس المكتبات الإسلامية، لم يجد الباحث رسالة علمية محكمة بهذا الاسم. لكن وجد دراسات مشابهة، منها :

أ – رسالة ماجستير بعنوان :المضامين التربوية المستنبطة من سورة محمد وآثارها، للباحث: أسامة عوني المقيد، إشراف د. / وليد محمد العامودي

وقد تناول الباحث سورة محمد من جانب تفسيري تربوي، واعتمد المنهج الاستنباطي، وأفصح عن المضامين التربوية التي تضمنتها السورة، وقسمها إلى : مبادئ، وقيم، وأساليب تربوية .

لكنني سأتعرَّض في هذا البحث إلى التوجيهات التربوية في السورة، وسأتطرق إلى موضوعات لم يتطرق لها الباحث، فقد صنفت بحثي إلى توجيهات عقدية، وتعبدية، وأخلاقية، وسلوكية، والجهادية وعسكرية، وحاولت أن أجد له تطبيقاً من الواقع المعاصر في نهاية كل فصل أو مبحث أو مطلب، ثم أستَنبِط الأساليب البيانية المتنوعة منها، ثم ختمتُ كل فصل، بمبحث، بيَّنتُ فيه الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية في سورة محمد كلها.

خامساً / منهج الدراسة :

اتبع الباحث الطريقة الاستنباطية حسب منهجية التفسير الموضوعي، منطلقاً من الخطوات الآتية :

1- استقراء آيات سورة محمد، ثم استنباط التوجيهات التربوية، ثم استخراج الأساليب البيانية منها.

2- تقسيم البحث إلى العناوين المناسِبة للفصول والمباحث والمطالب، حسب ما يتطلَّبه البحث.

3- تفسير بعض الآيات تفسيراً إجمالياً، والوقوف على هداياتِها وفوائدِها.

4- بيان معاني المصطلحات الواردة في البحث بالرجوع إلى مظانِّها الأصلية.

5- توثيق الآيات القرآنية المذكورة، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث؛ تجنباً لإثقال الحواشي .

6- الاستشهاد بالأحاديث والآثار التي تخدم موضوع البحث وتخريجها من مظانها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفَيت، وإلَّا فإنني أخرجه من مظانِّه، مع ذكر حكم العلماء عليه -إن وُجد-.

7- الاستدلال بأقوال العلماء والمفكرين وأصحاب الشأن ذوي العلاقة بموضوع البحث، مع التوثيق في الحاشية حسب الأصول.

8- مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق حسب الأصول.

9- الترجمة للأعلام المغمورة، التي ترِد في البحث.

10_ خدمة البحث بالفهارس اللازمة التي يُحتاج إليها؛ لتسهيل الانتفاع بها.

سادساً / خطة البحث :

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة، ثم ختمت البحث بفهرس للآيات القرآنية، وآخر للأحاديث النبوية، وثالث للمصادر والمراجع، ثم بفهرس للموضوعات الواردة في البحث، فجاءت الخطة على النحو الآتي :

المقدمة :

وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وغاياته، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، ثم خطة البحث.

التمهيد

التوجيهات التربوية وأساليبها بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

أولاً : تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

1- تعريف التوجيهات التربوية

2- تعريف الأساليب التربوية

ثانياً : بين يدي سورة محمد

1- تعريف عام بالسورة

أ- اسم السورة

ب- أسباب نزول السورة

ت-الجو الذي نزلت فيه السورة ، وزمن نزولها

2- هدف السورة الرئيس، وأهم مقاصدها

أ- هدف السورة ومحورها الرئيس

ب- أهم مقاصد السورة

ثالثا : مناسبات تتعلق بالسورة

1 . المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس

2 . المناسبة بين أول السورة وآخرها

3 . مناسبة السورة لما قبلها { سورة الأحقاف }

4 . مناسبة السورة لما بعدها { سورة الفتح }

الفصل الأول

التوجيهات التربوية العقدية وأساليبها في سورة محمد

وتشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : توجيهات تربوية عقدية من خلال سورة محمد

وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول: ترسيخ عقيدة التوحيد في قلوب المؤمنين

المطلب الثاني : بيان أحوال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة

المطلب الثالث : بيان جزاء المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة

المطلب الرابع : الابتلاء وأثره على المؤمنين والكافرين

المطلب الخامس : الولاء والبراء وبيان أثره على المؤمنين

المطلب السادس : بيان قيمة الحياة الدنيا من الآخرة

المطلب السابع : التفكر في عاقبة الأمم السابقة

المطلب الثامن : دعوة للتفكر في أشراط الساعة

المطلب التاسع : صفة الجنة وبيان ما أعده الله للمؤمنين فيها

المبحث الثاني : الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية العقدية :

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: أسلوب الجملة الخبرية

الفصل الثاني

التوجيهات التربوية المستنبطة من مواقف المنافقين وأساليبها من خلال سورة محمد

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : تقلُّب المنافقين في أحوالِهم

وفيه تسعة مطالب :

المطلب الثامن: ابتلاء المنافقين مع الإنفاق في سبيل الله

المطلب التاسع: ابتلاء المنافقين وكشف أخبارهم وإحباط أعمالهم

المبحث الثاني: الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية من مواقف المنافقين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : أسلوب التوكيد

المطلب الثاني : أسلوب الشرط

المطلب الثالث: أسلوب الاستفهام

الفصل الثالث

التوجيهات التربويَّة التَعبديّة والأخلاقيَّة والسلوكية وأساليبها من خلال سورة محمد

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : توجيهات تربوية تعبدية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : نصر الله مشروط بنصرة دينه وتطبيق شرعه

المطلب الثاني : الهداية والتقوى بتوفيق من الله

المطلب الثالث : التوبة والاستغفار

المطلب الرابع : الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله والإخلاص في العمل

المطلب الخامس : الدعوة للإنفاق في سبيل الله

المبحث الثاني : توجيهات تربوية أخلاقية:

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول : النهي عن الإفساد في الأرض وبيان عاقبة المفسدين

المطلب الثاني : حرمة قطع الأرحام

المطلب الثالث : النهي عن طاعة الذين يكرهون ما أنزل الله

المطلب الرابع: مشروعية الدعاء على الكافرين والمنافقين عموماً

المطلب الخامس: التحذير من أمراض القلوب : الجبن والفزع عند سماع أمر القتال

المطلب السادس: النهي عن البخل مع السعة والاقتدار

المبحث الثالث : توجيهات تربوية سلوكية

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: الهداية طريق التقوى

المطلب الثاني: التحذير من أقفال القلوب

المطلب الثالث: الأمر بتدبر القرآن وفهمه

المطلب الرابع: بيان سنة الله في الاستبدال

المبحث الرابع : الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية التعبُّدية والأخلاقية والسلوكية :

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : أسلوب النداء القرآني

المطلب الثاني :أسلوب الشرط

المطلب الثالث: أسلوب التوكيد

المطلب الرابع: أسلوب الاستفهام

المطلب الخامس: أسلوب الأمر

الفصل الرابع

التوجيهات التربوية الجهاديَّة والعسكرية المستنبطة على ضوء سورة محمد

تشتمل على مبحثين

المبحث الأول : توجيهات تربوية جهاديَّة وعسكرية

وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول : مشروعية الجهاد في سبيل الله

المطلب الثاني: بيان أخلاق المجاهدين

المطلب الثالث: مراحل العمل الجهادي قبل وأثناء وبعد المعركة

المطلب الرابع: معية الله للمؤمنين وإلقاء السكينة في قلوبهم

المطلب الخامس: إكرام الله للشهداء، وإدخالهم الجنة عرَّفها لهم

المبحث الثاني: الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية الجهادية والعسكرية:

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أسلوب الترغيب

المطلب الثاني: أسلوب الأمر

المطلب الثالث: أسلوب النهي

الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات، التي توصل إليها الباحث.

الفهارس ، وتتضمن :

1 . فهرس الآيات القرآنية

2 . فهرس الأحاديث النبوية

3 . فهرس الأعلام المغمورين المُترجَم لهم

التمهيد

التوجيهات التربوية وأساليبها بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

أولا: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث

1 . تعريف التوجيهات التربوية

أ . **التوجيهات لغة:** من جهة بمعنى النَّاحية، ومنه وجَّهَهُ توجيهاً بمعنى أرسلَه وشرَّفَهُ [1]، يُقال: وجَّه يوجِّه توجيهاً فهو مُوجِّه ومُوجَّه، ويُقال: وجْه الشيء أو الشخص جعله يأخذ اتجاهاً معيَّناً[2].

ب . **التوجيهات اصطلاحاً:** التوجيه: هو إيراد الكلام محتمِلاً لِوجهَين مختلفَين [3] .

ج . **التربية لغة:** بالرجوع إلى معاجِم اللغة العربية نجِد أنَّ كلمة تربية تأتي بمعنى: الزيادة، والنَّماء، والعلو. تقول: ربا الشيء يربو إذا زادَ[4]. وتأتي بمعنى الرَّبُّ المُصلِح، ربَّ الشيء إذا أصلَحه [5]، وتأتي بمعنى: الإشراف، وقال الرَّاغِب: "وأربى عليه: أشرف عليه، وربَيْتُ الولَد فربا"[6]، وتأتي بمعنى: التغذية، وربَّيته تربيةً وتربَّيته، أي غذوتَه. هذا لكل ما يُنمَّى، كالولد والزَّرع ونحوه [7] .

د . **التربية اصطلاحاً:** هي إنشاء متدرِّج لإبلاغ الشيء إلى مستوى كمالِه[8].

---

(1) انظر: القاموس المحيط، ج1، ص1255 .

(2) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ص2406 .

(3) التعريفات، ج1، ص69 .

(4) مقاييس اللغة، ج2، ص483 .

(5) لسان العرب، ج1، ص401 .

(6) مفردات غريب القرآن، ج1، ص340 .

(7) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج6، ص2350 .

(8) الموسوعة القرآنية المتخصصة، ج1، ص790 .

فالتَّربية: هي عملية منهجيَّة متدرِّجة، تهدِف إلى تنشئة، وتكوين الإنسان الصالِح، وِفقاً لغاية الخُلُق [1].

2 . تعريف الأساليب التربوية

أ . **الأساليب لغة:** يُطلَق على كلمة الأسلوب: الطَّريق الممتَد، ويُقال للسَّطَر من النَّخيل: أسلوب، والأسلوب: الفَن، ويُقال: أخذَ فُلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه، والأسلوب: الطَّريق، والوجه، والمذهَب، ويُجمَع أساليب [2].

ب . **الأسلوب اصطلاحاً عند البلاغيِّين:** هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتَّعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتَّأثير [3].

يرى الباحِث من خلال تعريف المصطلحات التي وردَت في عنوان البحث:

أنَّ التَّوجيهات التَّربوية وأساليبَها: هي الطَّريقة أو المنهج الذي يتَّبعه المُربِّي، بِاستعمال الألفاظ المناسِبة، لإصلاح الفرد المسلم، وتنشئته التنشئة الصالحة، وتوجيهِه نحو اتِّباع المُثُل العُليا، سواء كانت عقديَّة أو اجتماعيَّة أو سلوكيَّة أو أخلاقيَّة، بُغية دَفعِه إلى ذُروة الكَمال، بناءً على تعاليم الإسلام العظيم، وهذا من شأنِه أن يُصلِح علاقة الإنسان المسلم مع ربِّه ﷻ ابتداءً ثمَّ تحسين علاقته مع النَّاس.

ثانيا: بين يَدي سورة محمد

1 . تعريف عام بالسُّورة

أ . اسم السُّورة

سُمِّيت هذه السُّورة في كتب التفسير سورة محمد، ولها أيضاً اسم آخر وهو سورة القتال، وأمَّا تسميتها بسورة محمد، فلذكر تنزيل القرآن الكريم على محمد ﷺ في هذه السورة، في قوله

([1]) مقدمة في التربية الإسلامية، محمود أبو دف، ص3 .

([2]) لسان العرب، ج1، ص473 .

([3]) الأسلوب، ج1، ص44 .

تعالى: **﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ (محمد: 2)**، ونسبة تسميتها سورة القتال؛ فلأنَّها ذُكر فيها مشروعيَّة القتال؛ ولأنَّها ذُكر فيها لفظُهُ في قوله تعالى: **﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ (محمد: 20)**؛ إذ إنَّ تسمية السُّورة تسمية قرآنية [1]. ولها اسم آخر، سمِّيت سورة الذين كفروا؛ لذِكرِ مطلع السورة بذلك [2] .

ب . مكان نزول السورة

هي مدنية إلَّا آية (13) فقد نزلت في الطَّريق أثناء الهجرة. وآيها ثمان وثلاثون آية. نزلت بعد الحديد [3]، وقيل: إنَّها مكِّيَّة، ولعلَّه وهَمٌ ناشئ عمَّا رُوي عن ابن عبَّاس ﷺ أنَّ قولِه تعالى: **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ (محمد: 13)**، الآية نزلت في طريق مكَّة قبل الوصول إلى حِراء، أي في الهجرة[4]. وكَلِمُها خمس مئة وتسع وثلاثون كلمة، وحروفها ألفان وثلاث مائة وتسعة وأربعون حرفاً، عدَّها الكوفيُّون ثمانية وثلاثين آية، وعدَّها أغلب الأمصار تسعاً وثلاثين، وعدَّها البصريُّون أربعين[5].

2 . أسباب نزول السورة

قيل: نزلت هذه السورة بعد يوم بدر، وقيل: نزلت في غزوة أحد [6].

لم أجد سبباً عامَّاً لنزول سورة محمد، وإنَّما بعض الآيات التي وردَت في هذه السورة لها سبب نزول، منها:

أ– سبب نزول قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُم﴾ (محمد: 1)**

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج26، ص71 .
(2) انظر: فتح القدير للشوكاني، ج5، ص35 .
(3) تفسير المراغي، ج26، ص43 .
(4) انظر: المرجع السابق، ص71 .
(5) انظر: البيان في عد آي القرآن، ج1، ص228 .
(6) التحرير والتنوير، ج26، ص71 .

وردَ عن ابن عبَّاس ﷺ، أنَّه قال: (نزلَت في المُطْعِمِينَ[1] ببدر، وهم اثنا عشر رجلاً: أبو جهل، والحارث بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبي وأميَّة – ابنا خلف– ومنبّه ونبيه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسوَد، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر بن نوفل)[2].

ب– أمَّا سبب نزول قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُم**﴾ **(محمد: 4)**

هذه الآية نزلت يوم أُحد، ورسول الله ﷺ في الشِّعب، وقد فشت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون يومئذٍ: اعلُ هُبل، ونادَى المسلمون: الله أعلى وأجل، فنادَى المشركون: يوم بيوم، إنَّ الحرب سِجال، إنَّا لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال رسول الله ﷺ قولوا: (الله مولانا ولا مولى لكم، إنَّ القتلى مختلفة، أمَّا قتلانا فأحياء يُرزَقون، وأمَّا قتلاكُم ففي النَّار يُعذَّبون)[3].

ج– وسبب نزول قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا..**﴾ **(محمد: 16)**

عن ابن جريج ﷺ قال: (كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النَّبي ﷺ فيستمِع المؤمنون منه ما يقول ويعونَه، ويسمعُه المنافقون فلا يعونَه، فإذا أخرجوا سألوا المؤمنين ماذا قال آنفاً)[4].

3 . الجو الذي نزلت فيه السُّورة وزمَن نزولها

بعد هجرة النَّبي ﷺ من مكة إلى المدينة؛ إذ أخرجَه الذين كفروا بفعل صدِّهم عن دين الله، وعن المسجد الحرام بمكة مولد ونشأة رسول الله ﷺ، ولمَّا استقرَّ في المدينة، أوَّل ما فعله هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ابتداءً، ثمَّ قام ببناء المسجِد، وأقام رسول الله ﷺ بقباء بضعة أيَّام، وأسَّس مسجد قُباء وصلَّى فيه، وهو أوَّل مسجد أُسِّس على التَّقوى بعد النبوَّة [5].

([1]) يقصد بها: إطعام المشركين يوم بدر؛ لِيثبتوا معهم ويكثروا حولهم، من كتاب التحرير والتنوير ج26 ص73
([2]) تفسير القرطبي، ج16، ص223 .
([3]) تفسير الطبري، ج21، ص190 .
([4]) الدُّر المنثور ج7 ص466 .
([5]) انظر: الرحيق المختوم، ج1، ص156 .

"ثمَّ إنَّ النَّبي ﷺ بجانِب قيامِه ببناء المسجد: مركز التَّجمُّع والتآلُف، قام بعمل آخر من أروع ما يأثره التَّاريخ، وهو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار "[1].

وهذه فيها رسالة واضحة، يُعتبَر المسجد مركز التجمُّع والتَّآلُف والتَّآخي، وبمجرد الانتهاء من هذه المهمَّة أرادَ أن يُكوِّن جيشاً يستند إليه، من شأنِه تُصبِح له قوَّة يُدافع بها عن نفسِه ودعوتِه التي من أجلِها يُقاتِل.

فكان نزول هذه السُّورة في جو إيماني وجهادي وروحاني، مشحوناً بهِمَم الرِّجال العالية، ومعنويَّاتهم القويَّة، ومشاعِرهم الجيَّاشة لنُصرة دِين الله ﷻ. لذا كان الحديث في بداية ومطلع السُّورة عن قتال الكافرين المعتدين، بمثابة إعلان حرب عليهم، وإيذان للمؤمنين بقتلهم، والذي يوحِي أنَّه لا عِزَّة ولا كرامة للمؤمنين على هذه الأرض إلَّا بالجهاد في سبيل الله، وتطهير الأرض من دَنَس الأعداء .

"إنَّها معركة مستمرَّة من بدء السُّورة إلى ختامِها يُظلِّلها جو القِتال، وتتَّسِم بطابعه في كل فقراتِها"[2]، ثمَّ توالَت نزول السُّورة في جو كان يُعاني المسلمون منه لوجود المنافقين الذين يحيطون بالمسلمين من كل جانِب، فكانوا هم أشد خطراً على المسلمين من الكافرين. لكتمانِهم الكفر، وإظهار الإيمان، ولِقربِهم من المسلمين، وكشف عوراتِهم ومكان إقامتهم؛ فضررهم أكثر من نفعهم. إذ يشاركون المشركين المؤامرات ضد المسلمين، ويخذِلونَهم ويُثبِّطونَهم للقعود عن الجهاد في سبيل الله. فهم كما وصفهم القرآن في قوله تعالى: **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:47).**

فهذه الفترة بحسب الوقائع والمشاهد التي تتوالى نزول السورة، إنَّما هي بعد غزوة بدر، وقبل غزوة الأحزاب. إذ كان المنافقون يعادون الجماعة المُسلمة الناشئة يداً بيد مع الكافرين[3]،

([1]) الرحيق المختوم، ج1، ص156 .

([2]) في ظلال القرآن، ج6، ص3280 .

([3]) في ظلال القرآن، ج6، ص3279 .

وهذا هو حالهم ودَيدنهم في كل الأزمنة، حيث إنَّ صفاتهم وسماتهم باتت معروفة ومكشوفة في القرآن الكريم، وفي واقعنا اليوم.

إذن: فالقرآن الكريم قد تجاوز الزَّمان، وتجاوزَ المكان، وتجاوزَ الأشخاص. فالمنافقون –أمس– هم منافقون اليوم، وفي كل وقت وحين.

وفي هذه السورة يبيِّن القرآن مدَى عداء المنافقين للإسلام. فهو يُصوِّر تلهِّيهِم عن حديث رسول الله ﷺ ، وغيبَة وعيهم واهتمامهم في مجلسِه، ويعقب عليه بما يدمغهم بالضلال والهوى[1]، في قوله تعالى: **﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا..﴾ (محمد: 16)**

4. هدف السورة الرَّئيس، وأهم مقاصدها .

أ . هدف السُّورة ومحورها الرَّئيس

من خلال الاطِّلاع على كُتب التفسير تبيَّن للباحِث: أنَّ سورة محمد نزلت في المدينة، وبما أنَّ هذه السُّورة مدنيَّة؛ فإنَّها تحمل طابِع الأحكام التَّشريعيَّة وبيانُها.

يُعَدُّ المحور الرَّئيس لسورة محمد هو الأمر بالجهاد في سبيل الله وبيان أحكامه، كما أباحَ الله تعالى قتل الكافرين أثناء الحروب، وكذلك بيان أحكام الأسرى بعد الانتهاء من المعركة والغنائم، وبيان أحوال الكافرين والمؤمنين، والجزاء الذي أعدَّه الله لكلِّ فريق في الدُّنيا والآخرة، وبيان عاقبة المنافقين والمرتدِّين ووصف أحوالهم .

ب. أهم مقاصِد السورة

بعد قراءة سورة محمد بكل دِقَّة وتأنٍّ، وتدبُّر آياتها، والفهم العميق لمعانيها، تبيَّن لي أنَّها شملَت مقاصِدَ كثيرةٍ، وهي على النَّحو الآتي:

([1]) انظر: في ظلال القرآن، ج6، ص3279 .

_ تحدَّثت سورة محمد في مطلعها عن التفريق بين أهل الكفر، وأهل الإيمان، ووصف كل فريق، بما سيناله من جزاء، في الدُّنيا والآخرة .

_ الأمر بقتال الكافرين قتالاً عنيفاً، لا رحمة فيه، وكسر شوكتهم، بسبب عُتُوِّهم وطُغيانِهم واعتدائهم، وبيان ما أعدَّ الله ﷻ للشهداء من كرامة، وتحقيق البشارة للمؤمنين بالنَّصر شريطة نصرهم لدِين الله تعالى .

_ تحدَّثت سورة محمد عن وصف أنواع النَّعيم، الذي أعدَّه الله تعالى للمؤمنين المتَّقين في الجنَّة، ترغيباً وأملاً وتفاؤلاً لدخول النَّاس في دِين الله، وانتهاج نهج الإسلام العظيم .

– ثمَّ تحدَّثت السورة عن أحوال المنافقين مع رسول الله ﷺ ومع القرآن الكريم، وبيان وعيدَهم وتهديدهم بأن ختَم الله على قلوبِهم، ولن يغفرَ الله لهم، وكشف الله أسماءهم للنَّبي ﷺ في صفات وسمات معيَّنة .

– الأمر بوجوب طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ.

– ثم ختِمت السورة بوجوب الجهاد في سبيل الله، وهو محور السُّورة الرئيس، مع ضرورة الإنفاق لدعم قوة الإسلام.

– النَّهي عن المسالمة والمهادَنة مع الأعداء المحتلِّين مع توفُّر عناصر القوة والمنعة.

ثالثاً: مناسبات تتعلَّق بالسُّورة

1 . المناسبة بين اسم السُّورة وهدفها الرَّئيس

كما تحدَّثنا سابقاً أنَّ سورة محمد هي الاسم التوقيفي لهذه السُّورة، ولها اسم اجتهادي آخر تسمَّى سورة القتال، "فالقتال هو موضوعها، والقتال هو العنصر البارز فيها، والقتال في صُورِها وظِلالها، والقتال في جرسِها وإيقاعِها" [1]، هناك تناسب كبير وتناغُم واضح بين اسم السُّورة، وهدفها الرَّئيس. حيث إنَّ في صدر ومطلع السُّورة تحدَّثت عن بيان حقيقة وأحوال

(1) في ظلال القرآن، ج6، ص3278 .

الكافرين، وأنَّ الله عدوٌّ لهم، وبسبب صدِّهم عن سبيل الله، أبطَل أعمالَهم، وفي المقابِل بيان حقيقة أهل الإيمان وإنَّ الله تعالى وليُّهُم، الذين آمنوا به وبرسوله ﷺ وأنَّه يُكفِّر سيِّئاتهم ويُصلِح بالَهم وأحوالَهم. فهذه حقيقة واضحة وثابتة في ميزان الله ﷻ. ثمَّ انتقل إلى الأمر بقتال الكافرين بكل شدَّة وقوَّة وعُنف، قتالاً لا رحمة ولا هوادَة فيه، قال تعالى: **﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد: 4)**

يرى الباحث: أنَّ السُّورة تدعو إلى الإثخان في المعركة والتَّشجيع على الجهاد في سبيل الله، وقتال الأعداء، وبيان أحكام الأسرى بعد الانتهاء من المعركة، وبيان تكريم الشُّهداء، ووعد الله لهم بدخول الجنَّة عرَّفها لهم .

بهذه الحقيقة الثابتة يتبيَّن لي: أنَّ هناك تناغماً وتناسُباً وانسجاماً واضحاً وتناسقاً في صيغة قويَّة بين اسم السُّورة وهدفها الرَّئيس .

2 . المناسبة بين أوَّل السُّورة وآخرها

تحدَّثْتُ سابقاً عن قتال الكافرين والتَّشديد عليهم، بذلك كانت افتتاح السُّورة بهجوم على الكافرين الذين يصدُّون عن سبيل الله، ولا يؤمنون بالله ولا برسوله ﷺ، وفي الصُّورة المقابِلة تكريم للمؤمنين الذين اتَّبعوا الحقَّ من ربِّهم، أعقَبَ ذلك تشجيع المؤمنين، وتحفيزهم على قتال الكافرين المعتدين، واستمرَّت هذه السُّورة من بدايتها إلى نهايتها بالحديث عن هذا المحور الرَّئيس، وهو الأمر بقتال الكافرين بكلِّ غلظة وقوَّة وعنفوان، وكذلك رسالة للمؤمنين ودعوتهم وتشجيعِهم وترغيبهم بالإستمرار ومواصلة الجهاد في سبيل الله، والتضحية بالغالي والنَّفيس؛ لنصرة دِينِه، بلا خوف ولا تردُّد في بذلِ الرُّوح الطَّاهرة تقرُّباً إلى الله تعالى، ودون جُبن أو مهادَنة لأي عدُوٍّ مع الشُّعور بالقدرة عليه .

3 . مناسبة السُّورة لما قبلها (سورة الأحقاف)

ظهر للباحث من خلال قوَّة ترابط وتلاؤم وتناسق نهاية سورة الأحقاف مع بداية سورة محمد كأنَّهما سورة واحدة. حيث إنَّ الله تعالى ذكَر في نهاية سورة الأحقاف **﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا**

الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف: 35)، والفاسق: هو الخارج عن طاعة الله، ناسَب أن يذكر في مطلع سورة محمد عن الكافرين الذين يعصون الله، ويصُدُّون عن سبيله في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُم﴾ (محمد: 1)**، "ولا تخفى قوة ارتباطِها بما قبلها، فإنَّ أوَّلها متلاحِمٌ بآخر السُّورة السَّابقة حتَّى لو أُسقِطَت البسملة من بينهما لكان الكلام متَّصلاً بسابِقه، لا تنافُر فيه، ولكان بعضُه آخذاً بحجز بعض" [1]

4 . مناسبة السُّورة لما بعدَها (سورة الفتح)

تبيَّن للباحِث بعد النَّظر والتفكُّر والتَّأمُّل في معاني آيات السورَتَين، وجود تناسق وانسجام واضح، وارتباط وتلاحم بين سورة محمد وسورة الفتح، في مواضع عدَّة، منها:

أ. أنَّ سورة محمد تحدَّثت عن مشروعيَّة القتال في سبيل الله. لذا بعد الجهاد والقتال في سبيل الله، والإثخان في صفوف العدو، لا بدَّ أن تتحقَّق الانتصارات والفتوحات، فكان مطلع سورة الفتح يرسِّخ هذا المعنى، وكأنَّه النتيجة الواضحة البيِّنة أنَّه بعد كلِّ جهاد تحريرٌ يتبعه فتحٌ مبين .

ب. أنَّ في سورة محمد أمْرَ اللهِ لرسوله الكريم ﷺ بالاستغفار، وجاءت في صدر ومطلع سورة الفَتح وقوع وحصول هذه المغفرة في قوله تعالى: **﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّر﴾ (الفَتح: 2)**

ج. توافقت السُّورتان في ذِكر أحوال الكافرين والمنافقين، وبيان أحوال وحقيقة المؤمنين، وما أعدَّ الله لكلِّ فريقٍ منهما [2]

الخلاصة: مما سبق تبيَّن للباحث من خلال الدِّراسة، وجود تناسب وتناسق وترابط بين آيات القرآن الكريم، وبين السُّورة والسُّورة في القرآن، كما وظهرت المناسبة جليَّة وواضحة بين اسم السُّورة ومحورها الرَّئيس، ولذلك نجد ترابطاً وتناغُماً بين أوَّل السُّورة وخاتمتها، مما يدُل على قوَّة عبارات القرآن وتراكيبه بهذا النَّظم المُحكم المُتْقَن الذي أعجَزَ العرب والخلق إنساً وجِنّاً على أن

---

(1) تفسير المراغي، ج26، ص43 .

(2) انظر: تفسير المنير للزحيلي، ج26، ص142 .

يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88)**. إذن، فالقرآن هو عقد فريد مترابط في قوّة عباراتِه وتراكيبِه كالبنيان يشُد بعضه بعضاً.

الفصل الأول

التوجيهات التربويَّة العَقديَّة وأساليبها في سورة محمد

خلق المولى ﷻ النَّاس لكي يعبدوه، ويُصدِّقوا برسولِه، ويتَّبعوا هداه، والانقياد بما أنزِل عليه وهو القرآن، وفهم ما جاء به وتطبيقه، والدَّعوة إلى توحيد الله بأنواعِه، والعمل بمقتضى كلمة التوحيد، والالتزام بشروطِها، قال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه﴾ (محمد: 19).**

المبحث الأول: توجيهات تربويَّة عقديَّة من خلال سورة محمد

المطلب الأول: ترسيخ عقيدة التَّوحيد في قلوبِ المؤمنين

لا بدَّ على الإنسان المسلم أن يعلَم كلمة التَّوحيد، ويقر بمعرفتها في قلبِه، ويعمل بمقتضاها. فهي أمْرٌ من الله ﷻ بوجوب توحيدِه والإيمان به، قال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه﴾ (محمد: 19)**، ولذلك تكمُن معرفة الله ﷻ بأنَّه المعبود الحق وبطلان عبادة ما سواه، وأنَّه المنفرِد بشؤون الخلق جميعاً، وهذا من شأنِهِ تحفيز وترغيب المسلمين وتوجيههم نحو الثَّبات على كلمة التَّوحيد (لا إله إلَّا الله).

إنَّ أهميَّة التَّوحيد تكمُن في أنَّ الله تعالى ذكرَهُ في كتابِه، ودعا إليه في أكثَر آيات القرآن، وكذا النَّبي ﷺ ، بحيث كانت هي حقيقة رسالته ودعوته [1]، والمعنى: "اعلَم أنَّ التَّوحيد أوَّل دعوة الرُّسل، وأوَّل منازِل الطَّريق، وأوَّل مقام يقوم فيه السَّالِك إلى الله ﷻ"[2]، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: 36)** .

([1]) انظر: التوحيد وأثره في حياة المسلم، ج1، ص17 .
([2]) شرح العقيدة الطحَّاوية، ج1، ص21 .

أولاً: معنى التَّوحيد لغة واصطلاحاً:

1 . التَّوحيد لغة: بالرُّجوع إلى معاجِم اللغة العربيَّة، يتبين أنَّ كلمة التوحيد تأتي بمعنى: "الإفراد، وحَّد، يُوَحِّدا، وحِدة، ووَحدة، ووحودا، بقي مفرداً، وحَّد الله سبحانَه: أقرَّ وآمَن بأنَّه واحِد"[1].

2 . التَّوحيد اصطلاحاً: هي كلمة الإخلاص (لا إله إلَّا الله)، وهي كلمة التَّقوى، وهي العروة الوثقى، وهي الحنيفيَّة مِلَّة إبراهيم ﷺ، جعلَها كلمة باقية في عقبِه، وقد تضمَّنت ثبوت الألوهيَّة له تعالى، ونفيِها عمَّا سواه، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله [2].

ثانياً: شروط كلمة التَّوحيد (لا إله إلَّا الله):

سيتناول الباحِث هذه الشروط وبيان معانيها، بشيء من الإيضاح مع الإيجاز والاختصار، لعدم الإطالة.

الشرط الأوَّل: العِلم: أن تعلَم معنى كلمة التَّوحيد عِلماً منافياً للجَهل بها في النَّفي والإثبات، فهي تنفي الألوهيَّة عن غير الله تعالى، وتُثبتها له سبحانَه، فلا معبود بحق إلَّا الله [3]، قال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد : 19)**. وقول النَّبي ﷺ: **(مَن مات وهو يعلم أنَّه لا إله إلَّا الله دخلَ الجنَّة)** [4].

إنَّ كلمة التَّوحيد من موجبات ومستلزمات السَّعادة ورضا الله ﷻ. فلا يكون الخير والبركة والرَّحمة على المؤمنين إلَّا بها، فهي تبعث في نفس المؤمن السَّكينة والرَّاحة والطَّمأنينة، ما يؤدِّي إلى حضِّه ودفعه لفعل الخير.

الشرط الثاني: اليقين المُنافي للشَّكّ: "هو أن تستيقِن يقيناً جازماً بمدلول كلمة التَّوحيد؛ لأنَّها لا تَقبَل شكَّاً، ولا ظنَّاً، ولا تردُّداً، ولا ارتياباً. بل ينبغي أن تقوم على اليقين القاطِع الجازِم. فقد قال

---

(1) المعجم الوسيط، ج2، ص1016 .

(2) انظر: الإيمان والرد على أهل البدع، ج1، ص121 .

(3) مدخَل لدراسة العقيدة الإسلامية، ج1، ص266 .

(4) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان، ح 43-26، ج1، ص55 .

المولى ﷻ في وصف المؤمنين الصَّادقين: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون﴾ (الحجرات: 15)**؛ فلا يكفي مجرَّد التَّلفُّظ بالشهادتَين، بل لا بدَّ من استيقان القلب، والبُعد عن الشَّك، فإن لم يحصُل هذا اليقين فهو النِّفاق" [1].

الشرط الثالث: الإخلاص: "وحقيقة الإخلاص: هو تصفيَة العمَل لله بالتبرِّي من دونِه، وإذا نظرنا إلى مَن لَم يُحقِّق الإخلاص في أعمالِه يتبين أنَّ تلكَ الأعمال لا تُقبَل عند الله. بل تكون وبَالاً عليه، قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر : 3).**

الشرط الرابع: الصدق المنافي للكذب: والمراد هنا: أن يقول المرء **(لا إله إلا الله)** صادقاً من قلبِه، بمعناها ومقتضاها صدقاً منافياً للكذب" [2]، قال تعالى: ﴿ **لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} (الأحزاب :24) .**

الشرط الخامس: المحبَّة: "وهي المحبَّة لكلمة (لا إله إلَّا الله) ولِما اقتضَتْه ودلَّت عليه، ولِأهلِها العامِلين بها الملتزمين بشروطِها، وبُغض ما نقضَ ذلك" [3]، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة : 165).**

الشرط السادس: الانقياد: والمراد هو الاستسلام لله بالتَّوحيد والانقياد لِما جاءَ به الرسول ﷺ عن ربِّه ﷻ بالطَّاعة، وذلك بالعمل بما فرضه الله وترك ما حرَّمه والتزام ذلك، ولا ينتفع قائل **(لا إله إلَّا الله)** بها إلَّا بهذا الانقياد [4]، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (لقمان :22) .**

---

(1) التّوحيد وأثره في حياة المسلم، ج1، ص63 .

(2) انظر: شروط لا إله إلا الله، الشرط الثالث والرابع، ج1، ص427- 432 .

(3) العقيدة في الله، ج1، ص259 .

(4) شروط لا إله إلا الله، ج1، ص440 .

الشرط السابع: القَبُول: هذه رسالة أيضاً للمؤمن وشرط في صحّة الإيمان بالله، "وذلك أن يَقبَل ما دلَّت عليه هذه الكلمة بقلبِه ولسانِه ويرضى بذلك، ولهذا كان المشركون يعرفون معنى (لا إله إلَّا الله)، ولكنَّهم لَم يَقبلُوها. فذمَّهم الله تعالى" [1]، قال تعالى: **﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الصافات :35) .**

ثالثاً: آثار كلمة التَّوحيد (لا إله إلَّا الله) على المسلمين وفضلُها:

لهذه الكلمة فضائل وآثار عظيمة، فمن قالَها صادِقاً من قلبِه متيقِّناً بما دلَّت عليها، وحقَّق شروطها السابقة مجتمعة حظِيَ بسعادة الدَّارَين الدُّنيا والآخرة، ومِن هذه الفضائِل والآثار ما يأتي:

1 . تكفَّل الله لصاحِبها دخول الجنَّة. أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي ذرٍّ الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما مِن عبد قال: لا إله إلَّا الله، ثمَّ ماتَ على ذلك إلَّا دخلَ الجنَّة)**[2].

2 . مغفرة الذُّنوب، وتكفير السيِّئات، قال تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء : 48) .**

3 . أنَّه يحصل لصاحِبه الهُدى الكامِل والأمن التَّام في الدُّنيا والآخرة. قال تعالى: **﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُون﴾ (الأنعام: 82)**، "والمراد بالظُّلم ها هنا: الشرك"[3] .

4 . أنَّها تمنع الخلود في النَّار. عن أنس ﷺ عن النَّبي ﷺ قال: **(يخرُج من النَّار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبِه وزن شعيرة من خير ...)** [4] .

([1]) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنة، ج1، ص32 .

([2]) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الثياب البِيض، ح5827، ج7، ص149 .

([3]) أنوار التنزيل للبيضاوي، ج2، ص170 .

([4]) صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانِه ح 44 ج1 ص17 .

5 . أنَّه السَّبب الوحيد لنَيلِ رضا الله وثوابه. عن أبي هريرة ﷺ أنَّه قال: قُلتُ: يا رسول الله، مَن أسعد النَّاس بشفاعتِك يوم القيامة؟ فقال: **(لقد ظننتُ يا أبا هريرة، أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل مِنك، لِما رأيتُ من حِرصِك على الحديث، أسعد النَّاس بشفاعَتي يوم القيامة، مَن قال: لا إله إلَّا الله خالِصاً من قِبَل نفسِه)** [1].

6 . أنَّه يُسهِّل على العبد فعل الخير، وترك المنكرات، ويسلِّيه عن المصيبات. قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: 110)** .

7 . أنَّ التَّوحيد إذا كَمل في القلب حبَّبَ الله لصاحبه الإيمان وزيَّنه في قلبِه، قال تعالى: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: 7)** .

8 . أنَّ الله يدفع عن الموحِّدين شرور الدُّنيا والآخرة، ويمُن عليهم بالحياة الطَّيِّبة والطَّمأنينة إليه، والطَّمأنينة بذكرِهِ [2]، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)** .

بعد استعراض معاني كلمة التَّوحيد (لا إله إلا الله) وبيان شروطها، وآثارها التي ترتَّبت عليها، **يرى الباحث:** أنَّ كلمة التَّوحيد هي الحقيقة التي جاء بها الأنبياءُ والمرسلون جميعاً، فمَن عمِل بمقتضاها، وثبَت على العلم واليقين بها، وأقرَّ بشروطِها مجتمعة، حظي برضا الله تعالى، من شأنِه أن يشعر الإنسان المُسلم بسعادة الصَّدر، وطمأنينة القلب، وبناءً على ذلك تتحقَّق ثِمار وفضائل وآثار كلمة التَّوحيد على نفس المُسلم، وتَترُك في قلبِه آثاراً طيِّبة تدفعُه لإظهار كلمة التُّوحيد، ويدعو الخَلق إليها للعمل بمقتضاها.

إذن فالقرآن الكريم والسُّنة المطهَّرة دعوا إلى الإيمان بكلمة التَّوحيد. فلا يشعر الإنسان المُسلم بالأمن والاستقرار والنُّصرة إلا بها، فيُحسِن التَّوكُّل على الله والاعتماد عليه ومحبَّته، والخوف منه لا من سواه، والرَّغبة بما عندَه، والشُّكر على نعمِه، بذلك ترسخ عقيدة التَّوحيد في قلوب المؤمنين رسوخ الجِبال، لا يشوبُها شائبة، ولا تُغيِّرها المواقف مهما بلغت التَّحدِّيات .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الرِّقاق، باب صفة الجنَّة والنَّار، ح 6570، ج8، ص107 .

(2) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، ج1، ص24 .

المطلب الثاني: بيان أحوال المؤمنين والكافرين في الدُّنيا والآخرة

أوضح الله في كتابِه طريق الحق والهُدى والتَّقوى وحضَّ عليه، وحذَر من طُرق الباطِل والضَّلال والفجور، ورهَّبَ النَّاس عن السَّير فيه، كما أنَّه ضرب مثلاً في تشبيه هذا الأمر في قولِه: **﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد: 14)**، فهي إشارة إلى أهل الإيمان الذين يتَّبعون الحقَّ على بصيرة وعِلْم ويُنسبُون إليه، هُم خيرٌ من أهل الكفر والضَّلال الذين زيَّن الشيطان لهم القبيح في أعيُنِهم؛ لِيَروهُ حسناً، فيتَّبعون الباطل ويُنسبون إليه. كما حذَّرَ المولى ﷻ من إبطال الأعمال بالرِّياء والنِّفاق، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُم﴾ (محمد: 33)**، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أهل الإيمان بوجوب طاعة الله ورسوله فيما يأمُرَان به من الأعمال الصَّالحة سواءً كانت أقوالاً أو أفعالاً أو معتقدات، والنَّهي عن إفساد الحسنات والطَّاعات بالسيِّئات والآثام.

وفي هذا الصَّدد يُقَسِّم الباحِث أحوال المؤمنين والكافرين في الدُّنيا والآخرة، إلى قِسمَين كما يلي:

أولاً: بيان أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة.

1 . بيان أحوال المؤمنين في الدُّنيا:

إنَّ من ثمار وآثار كلمة التَّوحيد (لا إله إلَّا الله)، أنَّها تدفع الإنسان المؤمن وتحضُّه لفعل الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً [1]، فالمؤمن نقيُّ السَّريرة طيِّب السُّلوك، ما كان ذلك ليكون لولا رضا الله عنه ابتداء، ثمَّ بحسنِ تقرُّبه إليه، وذلك بترطيب لسانِه بذكر الله والاستغفار والتَّسابيح والدُّعاء، "وتحصل سعادة المؤمنين الدِّينية والدُّنيويَّة، بالامتثال والالتزام بأوامر الله ﷻ، وهو: طاعته وطاعة رسوله في أصول الدِّين وفروعه" [2]، وذلك كما قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُم﴾ (محمد: 33)**،

إنَّ من أسباب سعادة الإنسان المؤمن في هذه الحياة الدُّنيا، الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، فلا يُبطِل الحسنات بالسَّيِّئات، "والظَّاهر: النَّهي عن كل سبب من الأسباب التي تُوصِل إلى بُطلان الأعمال كائناً ما كان، من غير تخصيص بنوعٍ مُعيَّن" [3].

وقد أصلح الله أحوال المؤمنين الذين يتَّبعون القرآن وما فيه من أحكام، والسَّبب في ذلك أنَّهم: اتَّبعوا الحق الذي هو الصِّدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصَّادِر من ربِّهم ﷻ

---

(1) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد، ج1 ص24 .

(2) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص789 .

(3) فتح القدير، ج5، ص49 .

الذي ربَّاهم بنعمته، ودبَّرهم بلطفِه، فربَّاهم بالحق فاتَّبعوه فصَلَحَت أمورهم [1]، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: 2).**

2 . بيان أحوال المؤمنين في الآخرة

إنَّ الإنسان المؤمن بوحدانيَّة الله، والذي يعبده حقَّ عبادته على بصيرة ويقين، يجد ثمرته في الآخرة، يُثيبُه الله ويجزيه خير الجزاء؛ فيكون مسروراً سعيد القلب، فيُكَفِّر عنهم سيِّئاتِهم، ويُدخِلهم جنَّات النَّعيم، كما قال تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا* وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق: 7– 9)**، وقد أنارَ الله وجوه المؤمنين الذين رضي عنهم وجعلها مشرقة مضيئة، ضاحكة مستبشرة، "ضاحكة من السُّرور بما أعطاها الله من النَّعيم والكرامة، مستبشرة لما ترجو من الزِّيادة" [2]، كما قال تعالى: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ* ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (عبس: 38– 39)** ، فهذه الوجوه المؤمنة الطَّاهرة واثقة برحمة الله، والتي ظهرَ نورها واستشراقها وفرحها وسعادتها بما أعدَّ الله لها من النَّعيم، بفعل الإيمان والتَّقوى.

ثانياً: بيان أحوال الكافرين في الدُّنيا والآخرة

1 . بيان أحوال الكافرين في الدُّنيا:

لمَّا ظهر عِظم مكانة المؤمنين عند الله تعالى، وبيان السَّعادة، والسُّرور، والفرح الذي يغمر قلوبهم، تبين أنَّ حياة الكافر في بعدِه عن الإيمان وتقوى الله، تُصبح حياته فيها من الشَّقاء ما لا يخفى، مهما كانت حياته في ظاهرها السَّعادة؛ لكن قلوبهم مقفلة، صدورهم ضيِّقة، وحياتهم كئيبة، هذا وقد شبَّه الله الكافرين وأصحاب المعاصي والآثام، بالذي يصعد إلى الطَّبقات العالية في السَّماء، فتضيق صدورُهم، ما يؤدِّي إلى صعوبة في التَّنفُّس، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: 125)**، كما يصيب الله الكافرين بالذُّل والهوان والمسكنة والغضب الشَّديد جرَّاء عِصيانهم واستكبارهم وعدائهم، قال تعالى: **﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: 61)**، "فعاقبهم الله على كفرهم وقتلهم الأنبياء بذلك" [3]، فضلاً عن أصناف عديدَة تُبيِّن أحوالهم في الدُّنيا من سلب أموالِهم بفرض الجِزيَة عليهم، وهزيمتهم، وعدم الغلَبَة والنُّصرة على المؤمنين، قال تعالى:

---

(1) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص784 .

(2) تفسير الطبري، ج24، ص233 .

(3) تفسير بن عطيّة، ج1، ص491 .

﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ **(التوبة: 29)**، وقال تعالى: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران: 12)**، فهذا حالهم في الدُّنيا أن يُغلَبوا ولن ينتصروا بإذن الله، والنصرة والغَلبة لعبادِ الله المؤمنين المجاهدين الذين يرفعون راية الإسلام.

2 . بيان أحوال الكافرين في الآخرة

صوَّر القرآن حال الأشقياء الفُجَّار بموقِف ومشهد عظيم مروِّع، بأنَّ وجوههم مُغبَرَّة يكسوها السَّواد يوم القيامة، قال تعالى: **﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (عبس: 40- 41)** ، فيندَم الكافر حينما يرى العذاب الأليم، والكرب العظيم؛ لعصيانِه لربِّه ﷻ ، ولِعدم دخولِه في الإسلام، فيعَض أصابِعه ندماً وحسرة، قال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: 27)** .

بعد استعراض أحوال المؤمنين في الدُّنيا والآخرة، وبيان عظيم فضل الله ونعمته عليهم، وفي المشهد الآخر سوء أحوال الكافرين في الدُّنيا والآخرة .

يرى الباحِث: وجود تبايُن واختلاف وتفاوُت واضح بين الفريقين، ومصير كل منهما، المؤمنون أهل القرآن الذين يمتثلون أوامِر ربهم ويجتنبون نواهيه، يستظلُّون بظلِّ الرحمن يوم القيامة، وقد قال رسول الله ﷺ: **(سبعةٌ يظلُّهم الله في ظِلِّه يوم لا ظِل إلَّا ظِلّه: الإمام العادِل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه مُعلَّق في المساجِد، ورجُلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجُل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إنِّي أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خالياً فَفاضَت عَيناه)** [1].

أمَّا الذين كفروا من أهل البغي والفجور والعصيان، فيكتوون من الشمس لقربِها وشدَّة حرِّها، حينما تدنو من رؤوس العباد، قال رسول الله ﷺ: **(تُدنى الشمس يوم القيامة من الخَلق، حتى تكون منهم كمقدار مِيل)** [2].

كما أنَّكَ لا تجد توازناً بين أهل الإيمان الصابرين الأتقياء، وبين أهل الكفر الفجَّار الأشقياء، فلكلٍّ منهما حال ومصير بحسب أعماله أو إيمانه من عدمِه، وهذا من شأنِه أن يكون المؤمن في فُسحة وراحة وسعادة في الدُّنيا، ونجاح وفلاح ونجاة يوم القيامة، والكافر له مزيد تعبٍ وشقاء، وقد قال السَّعدي عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد: 14)**، "لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينِه،

([1]) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ح 1031، ج2، ص715 .

([2]) صحيح مسلم، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة ح 2864، ج4، ص2196 .

عِلماً وعمَلاً قد علِم الحق واتَّبعه، ورجا ما وعدَه الله لأهلِ الحق، كمن هو أعمى القلب قد رفض الحق وأضلَّه، واتَّبع هواه بغير هدى من الله" [1] .

المطلب الثالث: بيان جزاء المؤمنين والكافرين في الدُنيا والآخرة

إنَّ الله تعالى بحكمتِه وعدلِه بيَّنَ في كتابِه ترغيب المؤمنين بالثبات على طريق الحق، واتِّباع الهُدى، وبيَّن ترهيب الكافرين للدُّخول في دِينِ الإسلام، وقد جعل لكلِّ فريقٍ منهما جزاءً بحسب إيمانِه وأعمالِه، إن كان مؤمناً فهو خيرٌ له، وإن كان كافراً فلا يلُومَنَّ إلَّا نفسَه، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: 2)**، أي أنَّ هؤلاء المؤمنين بالله وبما جاء به نبينا محمد ﷺ وأدُّوا الفرائض والعبادات، وانتهوا عن المعاصي، محا الله عنهم الذُنوب وأصلح جميع شؤونهم وأفكارهم وعقولهم؛ لماذا كل ذلك؟ لأنَّهم أحسنوا إيمانهم بالله ﷻ وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، واتبعوا الحق المنهج الرَّبّاني السَّوي، قال تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِم﴾ (محمد: 3)**، وقد أكَّد المولى ﷻ على عقوبة الكافرين الذين كَرِهوا ما أنزلَ الله من التَّوجيهات والهدايات، بإبطال أعمالهم وإتلافها من مكارم الأخلاق، كإطعام الطعام، وصلة الأرحام، التي كانوا يعتقدون أنَّها ستُنجيهم من عذاب الله، فخَسِروا الدُّنيا والآخرة، فلا ينتفعون بأعمَالِهم، قال تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُم﴾ (محمد: 8– 9)**، فلا يجتمع إيمان مع كفر في قلبِ امرئٍ مسلم، ولذلك مكارِم الأخلاق والقِيم والسُّلوكيات لا ينتفِع منها إلا المؤمنون، بل يجزيهم المولى بفعلها خير الجزاء، أمَّا الجاحدون بآيات الله، ومنعوا النَّاس في دخول الإسلام، ثمَّ ماتوا على ذلك من غير توبة، فهؤلاء لا مغفرة لهم، والعذابُ بانتظارِهم، قال تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُم﴾ (محمد: 34).**

وقبل البِدء والشُّروع في هذا الموضوع، لابدَّ من تقسيم جزاء المؤمنين والكافرين إلى قسمَين، كما يأتي:

([1]) تفسير السعدي، ج1، ص786 .

أولاً: بيان جزاء المؤمنين في الدُّنيا والآخرة

1 . بيان جزاء المؤمنين في الدُّنيا:

إنَّ من عظيم نِعم الله على عبادِه المؤمنين الموحِّدين أن أكرمَهم بأعمال طيِّبة مباركة؛ لِيُثيبَهم عليها، فيحرصون على أدائها ترغيباً لهم بما عند الله من النَّصر والثَّبات لهم، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)**، بمعنى أنَّكم إن تنصروا دين الله ورسولَه، ينصركم على عدُوِّكم، ويثبِّتكم ويربط على قلوبكم أثناء القتال والمعارك مع الكفَّار[1]، كما أنَّ الله ﷻ وعدَ المؤمنين بالدِّفاع عنهم ورِعايتِهم وحمايتِهم ونصرهِم وتثبيت أقدامِهم، كلٌّ بحسب إيمانِه ويقينِه وحُسن ظَنِّه بالله، قال تعالى: **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: 47)**، "أي أوجَبنا ذلك على أنفسنا وجعلناه من جملة الحقوق المتعيِّنة ووعدناهم بها، فلا بدَّ من وقوعِه"[2]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج:38)**. كما بيَّن الله ﷻ كيفيَّة تفريج هموم المؤمنين والمَخرَج والخلاص من كل كَربٍ، وجعَل البركة في الرزق والمال لعبادِه شريطة تقواهُم لربِّهم، وحُسن التَّوكُّل عليه، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: 2-3)**. قال ابن عبَّاس رضي الله عنه: (يجعل له مخرجاً: ينجِّيه من كلِّ كرب في الدُّنيا والآخرة)[3].

2 . بيان جزاء المؤمنين في الآخرة

أنعمَ الله على عبادِه المؤمنين المتقين في الدُّنيا بنِعَم عظيمة كريمةٍ شتَّى، أمَّا حديثنا في هذا الموضوع عن جزاء المؤمنين المتَّقين الصالحين، الذي أعدَّه الله لهم في الآخرة، قال تعالى: **﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُم﴾ (محمد:5-6)**، بمعنى: أنَّ الله يوفِّق المؤمنين لكل عمل لمَا يحِبُّه ويرضاهُ، وينمِّيهِ ويحفَظْه من موروثات الجاهليَّة والضَّلال، ويرشدهم لدخول الجنَّة، فيهتدون إليها، كما يهتدي أحدُنا إلى بيتِه دون توجيه من

([1]) انظر: تفسير المنير، ج26، ص84 .

([2]) تفسير السعدي، ج1، ص644 .

([3]) الدُّر المنثور في التفسير، ج8، ص196 .

أحد، قال رسول الله ﷺ: **(فوالذي نفسُ محمدٍ بيده، لأحَدُهُم أهدَى بمنزِلِهِ في الجنَّة منهُ بمنزلِهِ كانَ في الدُّنيا)**[1]، وهذه الجنَّة عظيمة المسكَن رفيعة المنزلة، إنَّها البساتين الرائِعة التي تجري من تحتِها الأنهار متعددة الأصناف. كرامة للمؤمنين؛ لإيمانِهم بالله ورسولِه، وفعل الطاعات، وتركهم للشهوات والمحرَّمات، قال تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (محمد: 12)**. "إنَّ الله يُنعِم يوم القيامة على عباده الذين آمنوا بالله وصدَّقوا به، وعملوا صالح الأعمال، فقاموا بالفرائض واجتنبوا المعاصي، بدخول الجنَّات التي تجري الأنهار من تحت قصورها، تكريماً لهم"[2]، ومن جزاء المؤمنين في الآخرة، مغفرة الذُّنوب وتكفير السيِّئات، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: 2)**، محا الله عنهم بفعلِهم ذلك سيئ ما عملوا من الأعمال فلم يؤاخذهم به، ولم يُعاقبهم به" [3].

كما بيَّن المولى تكريم عبادَه المؤمنين المجاهدين الذين يُقتَلون في سبيل الله، وفضَّلهم على كثير من الخلق تفضيلاً، وشرَّفهم في وصفهم أحياء، وأنَّهم في حواصِل طيرٍ خضرٍ في الجنَّة، كما أسندَ عبدالله بن مسعود ﷺ إلى الرسول ﷺ، **(أرواحُهم في جوفِ طَيرٍ خُضرٍ، لها قنادِيل مُعلَّقة بالعرش، تسرَحُ من الجنَّة حيثُ شاءت، ثمَّ تأوي إلى تلكَ القناديل)** [4]، قال تعالى: **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: 169)** .

ثانياَ: بيان جزاء الكافرين في الدنيا والآخرة

1 . بيان جزاء الكافرين في الدنيا:

أمَرَ الله ﷻ بقتال الكافرين المعتدين، الذين يتبعون الباطل ويعتدون على حرمات المسلمين وأرضهم، كما أجاز لهم ضرب أعناقهم في أي عملية التحام بين جيش المسلمين وقوة الكفر والفجور، قال تعالى: **﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (محمد: 4)**، وقد بيَّن المولى ﷻ كيفية تحقير الكافرين في طعامهم وشرابهم، وتمتُّعهم في الدنيا أنهم كالبهائم لا عقل

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القَصاص، ح 6535، ج8، ص114 .

(2) تفسير المنير، ج26، ص97 .

(3) تفسير الطبري، ج22، ص151 .

(4) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أنّ أرواح الشهداء في الجنة، ح 1887، ج3، ص1502 .

لهم، وفي ذلك تشبيه حال الكفار في معيشتهم، بحال الأنعام في أكلها وشربها، ودلَّ على ذلك قوله تعالى:**﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (محمد: 12)** ، "أي ينتفعون في الدنيا بمتاعها، غافلين عن عواقبهم" [1].

2 . بيان جزاء الكافرين في الآخرة:

هؤلاء الكافرون الذين يعصون أوامر الله ويتبعون سبيل الشيطان، ويحاربون الله ورسوله، ويصدُّون الناس عن دين الإسلام، والإقرار بوحدانية الخالق الرازق، لهم جزاء عظيم أليم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 8)**، "أنّ هؤلاء الذين جحدوا توحيد الله وكفروا به، لهم الخزي والشّقاء والبلاء، وجعل أعمالهم معمولة على غير هدى ولا استقامة؛ لأنها عملت في طاعة الشيطان، لا في طاعة الرحمن" [2]، فَالذين كفروا محرومون من كل النعيم الذي أعدّه الله لعباده المؤمنين المتقين.

إذن القرآن وضع لنا منهجية في حياتنا بماذا يفكر المؤمن والكافر، فالمؤمن: يفكِّر ويتأمَّل بما عند الله من النعيم المقيم، والكافر: تفكيره مقيّد بما هو متاح في الدنيا ويغفل عن عاقبته في الآخرة. فالمؤمن يشبع والكافر لا يشبع، أخرج مسلم بسندِه عن ابن عمرﷺ عن النبي ﷺ، قال: **(الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معيٍ واحد)** [3] .

فمتعتهم مستمرة مدة حياتهم في الدنيا إلى يوم القيامة، المتاع في كل شيء في النساء، والمال، والطعام، والشراب، والشهوة، ويتمتع الكفار في كل شيء، النتيجة النار مثوى لهم والعياذ بالله .

بعد استعراض الأدلة والمواقف في بيان جزاء المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة،

قررت السورة وجود فريقين من الناس مختلفين اختلافاً لا لبسَ فيه في التفكير والاعتقاد، منهم من يريد الدنيا، ومنهم من يريد الآخرة، فريق المؤمنين جزاؤهم عظيم عند الله بنعمه وكرمه ومنِّه عليهم بخير الجزاء في الدنيا والآخرة، وهناك فريق آخر لا يؤمن بالله ولا برسوله، يحقِّره الله في

([1]) تفسير أبو السعود، ج8، ص94 .

([2]) تفسير الطبري، ج22، ص161 .

([3])صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب المؤمن يأكل في معيٍ واحد..، ح2060، ج3، ص1631 .

الدنيا والآخرة، بتشبيه معيشتهم كالأنعام في أكلهم ومتاعهم، فلهم عذاب شديد أليم يوم القيامة. وهذا مقتضى عدل الله وفضله ورحمته ووفائه بما وعد. بمعنى أنّه أدخل المؤمنين الجنة، وأدخل الكافرين في جهنَّم وبئس المصير.

المطلب الرابع: الابتلاء وأثره على المؤمنين والكافرين

إن الابتلاء الذي يوقعه الله على عباده؛ ليطهِّرهم من ذنوبهم، وليميِّز المؤمن من الكافر، ويفرِّق بين المجاهدين الصابرين من غيرهم، ليس ذلك بمحض الصدفة، وإنّما هو من سنن الله الكونية التي لا مفرَّ منها البتَّة، ومن حكمته ولطفه في عباده أن يبتليهم بما يحتملون، قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (محمد: 4)،** وللعِلم، إنَّ الله قادرٌ على إهلاك الكافرين، ولكنَّه أرادَ أن يختَبِر المؤمنين لكي يُميِّز بين المجاهدين الصَّابرين حقًّا، وبين المنافِقين المُثبِّطين، فيُعاقِب الكافرين بقوَّة المؤمنين، فيكون الهلاك والهزيمة لمن شاء منهم حتى يعودوا مُنيبِينَ إلى الحق [1]. وكأنِّي بهذه الآية تنزل في الحال، حيثُ إنَّ في واقعنا اليوم إذ يتعرَّض المسلمون في قطاع غزة إلى شن عدوان وحرب بين الحين والآخر، فالمولى ﷻ بقدرتِه وعظمتِه لقادر على تحطيم قدرات العدو الصهيوني وهزيمتِه، لكن مِن حكمتِه تعالى أن يُقاتِل المجاهدون اليهود المعتدين؛ لكي يختَبر إيمان المجاهدين، ومدى تعرفهم على أسرار القتال، وفنون الحرب، وتعدد أساليبها وأدواتها المختلفة، من شأنه توفُّر عناصر وعوامل النصر في نفوس المؤمنين الأمر الذي يدعو إلى تأييدهم وتحقيق الغلبة على العدو الصهيوني.

"إنَّ الله ﷻ يأخذ البشر بما هو في طوقهم، وما هو من طبيعتهم واستعدادهم، وهم لا يعلمون عن الحقائق المستكنة ما يعلمه" [2]، ودليل ذلك قوله تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُم﴾ (محمد: 31)**، "أيّ: لِيَختبرَ بعضكم ببعض فَيَعلَمَ

([1]) انظر: تفسير المراغي، ج26، ص50 .

([2]) في ظلال القرآن، ج6، ص3299 .

المجاهدين في سبيله والصابرين على ابتلائِهِ ويُجزلَ ثوابهم ويُعذِّب الكفار بأيديهم" [1]. كما بيَّن النبي ﷺ أنّ أشدّ الناس ابتلاءً أكملهم إيماناً وأنقاهم قلباً، فقال: **(إنّ أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثلُ فالأمثلُ"** [2]، قال وهب بن منبّه [3]: **(من أصيب بشيء من البلاء، فقد سلك به طريق الأنبياء عليهم السلام)** [4]. "فلقد قدر الله مقادير الخلائق وآجالهم ونسخ آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معايشهم وأموالهم وخلق الموت والحياة ليبلوهم أيُّهُم أحسن عملا، وجعل الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره ركناً من أركان الإيمان، فما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته وإرادته، وما في الكون كائن إلا بتقدير الله وإيجاده، والدنيا طافحة بالأكدار والأنكاد مطبوعة على المشاق والأهوال والعوارض والمحن، هي كالحَرِّ والبرد، لا بدَّ للعبد منهم، والنفس لا تزكو إلَّا بالتمحيص، قال تعالى: **﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران:141).** يقول ابن الجوزي[5] : "من أراد أن تدوم له السلامة والعافية من غير بلاء فما عرف التكليف ولا أدرك التسليم، والابتلاء لا يكون إلا عكس المقاصد وخلاف الأماني وضد الملذات"[6]، ويُعتبَر الابتلاء النجاة للمؤمنين بما يحقق رفعةً لمكانتهم، وعلواً لمنزلتهم في عاجل الأمور وآجلها، من شأنه تكفير الذنوب والخطايا، بما يحقق السعادة لهم في الدنيا والنجاح والفلاح في الآخرة، فممّا يكون في علوِّ درجات المؤمنين رفعةِ منازلهم، والخيرية التي يمنّها الله على أهل الابتلاء، ما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(من يُرد الله به خيراً يُصِبْ مِنهُ)** [7]، وقد أشار النبي ﷺ بذلك أيضاً في قوله: **(ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حَزَن ولا أذى ولا غمّ، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفّر الله بها من خطاياه)** [8] .

([1]) فتح القدير للشوكاني، ج5، ص38 .

([2]) السنن الكبرى للنسائي، باب أي الناس أشد بلاء، ح 7440، ج7، ص47. ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ج3 ص153 وقال صحيح.

([3]) هو وهب بن منبه الصنعاني، عابد فاضل، (114هـ)، الثقات لابن حبان ج5 ص488 .

([4]) حِليَة الأولياء وطبقات الأصفياء، وهب بن منبّه، ج4، ص56 .

([5])هو أبو الفرَج عبدالرحمن بن علي 597هـ، وفيَّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج3 ص140.

([6]) انظر: أوقات مليئة بالحسنات مع النية، ج1، ص54 .

([7]) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ح 5645، ج7، ص115 .

([8]) صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ح 5641، ج7، ص114 .

فلا سبيل للمؤمن إذا ابتُلِيَ بشيءٍ إلَّا الصبر بكل عزيمة وإرادة، فما كان من سرَّاء فبذلك الشكر، وما كان من ضرَّاء فبذلك الصبر والاحتساب والتسليم، وليعلم المؤمن أنّ ما أصابه من ابتلاء فهو مقدَّر له من ربّ الأرض والسماء، فهذه المنحة والكرامة لا تكون لأحد إلا للمؤمنين الموحدين، فكل ما أصابه من قدر أو قضاء أو مصائب فهو خير له.

قال ابن كثير: "المؤمن من يتفطن لما ابتلاه الله به من الضراء والسراء" (1)، فيشكر الله على السراء، ويصبر على الضراء. كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في قوله: **(عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له)** (2)، فمن رضي بما قدّر الله له في مُصابه وصبر عليه واحتسب الأمر لله وسلم به، فقد نال وحظيَ وفازَ بدخول الجنة دون سابقة عذاب ولا مناقشة حساب، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمَر: 10)**. "إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا وأجرهم وثوابهم في الآخرة بغير حساب"(3).

آثار الابتلاء على المؤمنين والكافرين:

أولاً: آثار الابتلاء على المؤمنين:

إنَّ من آثار الابتلاء على المؤمنين، أن جعَله الله رحمة بحقهم وتكفيراً لسيِّئاتهم، وعُلوّاً في درجاتهم، وقد أمرَهُم بالصَّبر عليه والتَّسليم به، قال تعالى: **﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: 45)**، "وإذا استعان المؤمن بالصَّبر والصَّلاة التي تملأ القلب خشية وخشوعاً لله، وتُبعِد النَّفْس عن الفواحِش والمنكرات، هانت عليه المَصاعِب، وتحمَّل كُل شِدَّة ومشقَّة، وقاومَ كل عناء وكَرب" (4)، وإذا تعرَّض المُسلِم للاستشهاد والقتل في سبيل الله، فهذا ابتلاء شديدٌ في ظاهِرِه، لكنَّه في حقيقَتِه خيرٌ له، ولِذويهِ وأهلِه؛ لِما يرى من النَّعيم المقيم الذي أعدَّه الله له حين

---

(1) تفسير ابن كثير، ج3، ص404 .

(2) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ح 2999، ج4، ص2295 .

(3) انظر: تفسير الطبري، ج20، ص179 .

(4) تفسير المنير، ج2، ص39 .

استشهادِه، قال رسول الله ﷺ: **(للشهيد عندَ الله ستُّ خصال: يُغفَر له في أوَّل دفعة، ويَرى مقعَدَه من الجنَّة، ويُجارُ من عذابِ القبر، ويأمَن من الفزَع الأكبَر، ويُوضَع على رأسِه تاج الوقار الياقوتة منها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ويُزوَّج اثنتَين وسبعين زوجةً من الحور العِين، ويُشفَّع في سبعين من أقارِبه)** [1]، لا سيَّما في واقعنا اليوم نجد كثيراً من النَّاس يتذمَّرون ويتأفَّفون أحياناً من ضِيقِ الحال، وقِلَّة الزَّاد والمال، والمُعاناة المتفاقمة، والأزمات المتلاحقة بفعل مشهد الحصار الأليم، الذي يفرضه العدو الصهيوني هنا على المسلمين في غزة، والذي يعصف بالمسلمين ويحيط بهم كما يُحيط السوار بالمعصَم، وكذلك المُعاناة التي تَطال الأمَّة الإسلاميَّة عُموماً، والسؤال الذي يطرح نفسَه هنا، كيف يكون الحصار رحمة للمؤمنين بهذه الشِّدَّة التي يمرُّون بها؟ **أقول:** بالرغم من شدَّةِ الابتلاء إلَّا أنَّك تجد عزائم النَّاس ومعنويَّاتهم تكادُ تناطِح السَّحاب، جرَّاء عُلوِّ معنويَّاتهم وقوَّة همَمِهم، لِما يرونَ من عظيم الكرامات والنِّعَم التي يتحصَّلون عليها بما وعد الله لهم، من تكفير للذُّنوب، ومحو للسيِّئات، وتحقيق محبَّة الله لأهلِ الابتلاء، ودخول الجنَّة بغير حساب وغير ذلك .. فقد تهون الابتلاءات على أصحابِها لِما يستشعرون عظمة الله في رحمته ولُطفِه بهم، وعزاؤنا في ذلك، أنَّ حبيبنا ونبيَّنا وقدوتَنا قد مرَّ بالطريقةِ نفسها، إذ إنَّ قريشاً قرَّرت حصار النَّبي ﷺ وصحبه، فحُبسوا ثلاثة أعوام في شِعبِ أبي طالِب، واشتدَّ الحصار وقُطِع عنهم الطَّعام والمال والزَّاد [2] .

أقول: إنَّ مِلَّة الكفر والبغي والفجور واحدة على مدار التاريخ، يجمعهم العِناد، والظُّلم، والاستكبار، والطُّغيان.

ثانياً: آثار الابتلاء على الكافرين:

إنَّ من الآثار التي تترتَّب على الكافرين، تتمثَّل في هلاكِهم وعذابِهم والنَّقمة عليهم، لا يزال نزول العذاب الشَّديد المتَّصل على الكافرين يتهدَّدهم، ويتوعَّدهم، ويخوِّفهم بسبب كفرهم

([1]) سنن الترمذي، باب في ثواب الشهيد، ح 1663، ج4، ص187. قال الترمذي حديث صحيح غريب.
([2]) انظر: الرحيق المختوم، ج1، ص97 .

وعنادِهم وظلمِهم [1]، قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الرعد: 31)** .

الخلاصة: بعد استعراض الشواهِد والأدِلَّة التي تركَّزت على معاني الابتلاء، وكيفيَّة العلاج، **يرى الباحِث:** أنَّ عاقبة الكفَار أليمة وشديدة مهما كانت حياتُهم فيها نوع من السكون والرَّخاء، لكنَّ مصيرهم ومآلهم إلى جهنَّم وبئسَ المهاد، بئسَ المَهدُ مهدُهم، وبئس الحياة حياتُهم.

وقد تركَّزت هذه المعاني في النُّقاط التالية:

1 . أنَّ الابتلاء هو سنَّة الله الكونيَّة لعبادِه، ويُصيب به المخلوقين بقدَر طاقاتِهم .

2 . أنَّ الله يُوقِع الابتلاء على المؤمنين رحمةً لهم، فإن صبَروا يؤجَروا، ولم يُغَيِّروا شيئاً، وإن لم يصبِروا يُؤثَموا ولم يُغيِّروا شيئاً .

3 . أنَّ اللهَ ﷻ يُرسِل إشارات إنذار لأهل المعاصي بالابتلاء، لتنبيهِهِم وهَز أركانهم ومشاعِرِهم، لكي يُسارعوا في الكَف عن المعاصي .

4 . عاقِبة الكافرين والطُّغاة الشَّقاء في الدُّنيا، والعذاب الأليم في الآخرة .

المطلب الخامس: الولاء والبراء وبيان أثرِه على المؤمنين

يعتبَر الولاء والبراء في الإسلام جزءاً من عقيدة المسلمين، بذلك يصبحان من لوازم ومقتضيات كلمة التَّوحيد (لا إله إلَّا الله)، فمَن كان الله معَه فهو منتَصِرٌ ولا غالِب له، وهو ناصِرُه ومؤيِّده، وكافِيهِ من شرور الأعداء، قال تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: 11)**، وفي ذلك استشعار بمعية المولى سبحانه وتعالى، وموالاتِه للمؤمنين.

وقبل الشُّروع في تفصيل الموضوع، لا بدَّ من التعرُّف على معنى الولاء والبراء في الاصطلاح:

الولاء: "هو الدُّنُو والتَّقرُّب، فولِيُّ الله: هو مَن والى الله بمُوافقتِه محبوباتِه، والتقرُّب إليه بمرضاته" [2].

البراء: "أن يتبرَّأ الإنسان من كل ما تبرَّأ الله منه، وأن يتبرَّأ من كُل عمل لا يُرضي الله ورسولُه، وإن لم يكُن كُفراً، كالفُسوق والعِصيان" [3].

([1]) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص418 .

([2]) شرح العقيدة الطّحاوية، ج2، ص509 .

([3])الولاء والبراء لابن عثيمين، ج1، ص1 .

من خلال التعرُّف على معنى وحقيقة الولاء والبراء، يتم التركيز على هذا الموضوع ابتداءً لِما له من أهميَّة كُبرى في صِحَّة إسلام المَرء، بحيث إنَّ التقرُّب إلى الله بما يحبُّه ويرضاه عبادة، والبراء من كُل ما تَبرَّأ الله منه عبادة أيضاً، وبما أنَّ الولاء والبراء جزء أصيل من هذه العقيدة الإسلامية الغرَّاء، كان لزاماً على المَرء المُسلم أن يعرِف هذه الحقيقة؛ لأنَّها تغرس في نفسِه محبَّة الله ورسوله والمؤمنين، وموالاتِهم، وبغض أعداء الله ومعاداتِهم. وقد دلَّت الآيات القرآنية والأحاديث النبويَّة على ذلك بنصوص كثيرة، منها:

1 . قال تعالى: **﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران:28).**

2 . وقال رسول الله ﷺ: **(إنَّ أوثَق عُرى الإيمان: أن تُحِب في الله، وتبغَض في الله)** [1] ، بهذه الأدِلَّة والبراهين الجليَّة التي تبيِّن مدى أهميَّة الولاء والبراء في الإسلام، يتَّضح أنَّ أصل المُوالاة الحُب، وأصل المُعاداة البُغض، وينشأ عنهما من أعمال القلب والجوارح ما يدخُل في حقيقة المُوالاة والمُعاداة، كالنُّصرة والأُنس والمُعاونة والجهاد والهجرة [2].

أولاً: آثار عقيدة الولاء والبراء على المؤمنين:

1 . أنَّ الله تعالى ناصِر المؤمنين على أعدائهم، ويدفع عنهم ما حلَّ بهم من العقوبة والعذاب[3] قال تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: 11).**

2 . أن يكون المؤمن في حفظِ الله ورعايتِه، فهو مولاه الذي يُبعِد عنهُ كُل مكروه وضرر، قال تعالى: **﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف: 196) .**

3 . أن جزاء الذين يوالون الكفار ويتَّبِعون منهجهم مصيرهم جهنم، قال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: 51).** قال ابن عطيَّة: "ومَن تولَّاهم بمعتقدِه ودينِه، فهو منهم في الكُفر، واستحقاق النَّقمة والخلود في النَّار" [4]، "ذلك أنَّ الولاء والبراء، هما الصُّورة الفِعليَّة للتَّطبيق الواقعي لهذه العقيدة، وهو مفهوم ضخم في حِس المُسلم بمقدار ضخامة وعظمة هذه العقيدة، ولن تتحقَّق كلمة التَّوحيد في الأرض، إلَّا بتحقيق الولاء لِمَن يستحق الولاء، والبراء

([1]) مُسند الإمام أحمد، باب من حديث البراء بن عازب، ح 18524، ج30، ص488، الحديث بشواهِده حسَنة، وذكَره الألباني في السلسلة الصحيحة ح998 ج2 ص698.

([2]) انظر: الوجيز في عقيدة السَّلف الصالح، ج1، ص133.

([3])انظر: تفسير إرشاد العقل السليم، ج8، ص94 .

([4]) تفسير بن عطيَّة، ج2، ص204 .

مِمَّن يستحق البراء، وبحسب بعض النَّاس، أنَّ هذا المفهوم العقدي الكبير يُدرج ضِمن القضايا الجزئيَّة أو الثانويَّة؛ لكن حقيقة الأمر بعكس ذلك. إنَّها قضيَّة إيمان وكفر" [1] ، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة: 23)** ،

فهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدل على وجوب موالاة المؤمنين والتقرُّب إليهم ومحبَّتهم حُبَّاً خالِصاً لا غُبار عليه، بعيداً عن أي مصلحة شخصية، أو منفعة دُنيويَّة، قال رسول الله ﷺ: **(ثلاث مَن كُنَّ فيه وجَدَ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مِمَّا سُواهُما، وأن يحب المَرء لا يحبُّه إلَّا لله، وأن يكرَه أن يعود في الكُفر كما يكره أن يُقذَف في النَّار)** [2]. وقد أكَّد محمد بن عبد الوهَّاب [3]، في بيان عداوة الكُفَّار والمُشركين فقال: "إنَّ الإنسان لا يستقيم له إسلام ولَو وحَّدَ الله وترْك الشِّرك، إلَّا بعداوة المشركين" [4]. كما ينبغي للمُسلم أن يعلَم أنَّه بحُب الكافر لكفره، أو تمَنِّي انتصار دِين الكفَّار على دِين المسلمين، فهذا هو الكفر الواضح في باب الولاء والبراء [5] .

استطاع الباحِث أن يُجمِل موضوع الولاء والبراء، مُبيِّناً حقيقته، بالشواهِد والبراهين الدَّالةُ على ذلك من القرآن والسنَّة؛ تحقيقاً للوصول نحو الهدَف والغاية التي تضمَّنه هذا الموضوع .

ثانياً: اللطائف والتوجيهات التربويَّة التي ينبغي على المُسلم أن يكون على دراية بها، بما يتعلَّق بالولاء والبراء:

1 . وجوب موالاة الله ورسوله والمؤمنين، ومحبَّتهُم والتقرُّب إليهم، والدِّفاع عنهم، ومعونتهم ونصرتهم .

2 . تحريم موالاة الكفَّار والمشركين، والتودُّد إليهم، كما هو حاصِلٌ مِن تقَرُّب ومُوَالاةِ العَرَب لِلاحتلال الصهيوني والأعداء، وهذا من شأنِه الدِّفاع عنهم، وتمنِّي زوال المسلمين وهزيمتهم، فهذا كفر صحيح وخروج عن المِلَّة .

3 . الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين وإن كانوا من الأقارب، يُساهِم في صحَّة إسلام المَرء.

([1]) الولاء والبراء في الإسلام، ج1، ص11 .

([2]) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ح 16، ج1، ص12 .

([3]) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية في جزيرة العرب، (1115هـ- 1206هـ)، الأعلام للزركلي ج6 ص257 .

([4]) مجموعة رسائل في التَّوحيد، ج1، ص355 .

([5]) انظر: الولاء والبراء والعداء في الإسلام، ج1، ص40 .

4 . أنَّ الولاء والبراء أوثَق عُرى الإيمان؛ لكي يعرف المُسلم درجة إيمانِه من خلال الحُب في الله، وموالاة المؤمنين، والبُغض في الله ومعاداة الكافرين.

فليختر المسلم لنفسه أي الطَّريقَين يريد، أَهِي طريق مُوَالاة المؤمنين، واتِّباع الحق، التي تدفع بصاحبها دخول الجنَّة، أَم مُوَالاة الكافرين والمشركين، والسَّير على نهجِهم، والتي تضُر بصاحِبها وتزُجُّ به في نار جهنَّم .

المطلب السادس: بيان قيمة الحياة الدُّنيا من الآخرة

أكَّد الله في كتابِه ذَمُّ الدُّنيا وتحقيرها، وبيَّنَ أنَّ حاصِل هذه الدنيا اللهو واللعب، والأكل والشرب، والغرور والفتور، إلَّا ما كان في طاعة الله عز وجل والتقرُّب إليه بعديد الطاعات وتنَوُّع العبادات التي يتوصَّل بها المسلم إلى تحقيق مرضات ربِّه تبارك وتعالى، بعيداً عن المعاصي والذنوب والآثام باجتنابه المحرَّمات والمهلكات، التي تؤدِّي به إلى ذِلَّةٍ من الله وغَضبٍ، وعذابٍ شديدٍ يوم القيامة، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (محمد: 36)**. وقد ذكَر الله ورسوله آيات وأحاديث واضحة وجليَّة في بيان هوان الدُّنيا وذَمِّها، منها:

قال تعالى: **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: 32)**. وقال رسول الله ﷺ: **(موضِع سَوط في الجنَّة، خيرٌ من الدُّنيا وما فيها)** [1] .
فهذه الشَّواهِد والأدِلَّة من القُرآنِ والسنَّة إن دلَّت على شيء فإنَّما تدُل على تحقير الدُّنيا، وعدَم مساواتِها بالآخرة بأي حال من الأحوال. لذلك تجد أنَّ المَولى ﷻ غَضِب على الكافرين وحذَّرَهُم، والسَّبب أنهم رضوا وطَمِعوا بحطام الدُّنيا الزَّائل والهالِك، واتَّبعوا شهواتِها وأهوائها، وآثروها على الآخرة، وتركوا عبادة الرحمن واستمرُّوا في عبادة الأوثان، واستكبارِهم عن الاستسلام والانقياد لِما جاء به النَّبي ﷺ عُلُوَّاً وظُلماً واعتراضاً على الدِّين، وكأنَّ حياتَهم اقتَصرت على اللَّهو واللَّعب، والأكل والشُّرب، والمال والنِّساء، مثلُهم مثلَ رجُلٍ جالس، وأمَامَه الطعامُ والشرابُ، وعلى يمينِه النِّساء، وعلى يسَارِه المال، فنَسُوا الآخرة، وقَدَّموا الدُّنيا، قال تعالى: **﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (النحل: 107)**، إنَّ هذه حال الدُّنيا، تُزيِّن للإنسان بأهوائها ومتاعِها ونعيمها، وفي لحظة لا يُتوقَّع حدوثِها يزول النَّعيم كلُّه ويتحطَّم، اسأل نفسَك، كم من غنِيٍّ تمتَّع في الدُّنيا وتنَعَّم في لِبسِه وأكلِه ومسكنِه، وفجأةً إذ

([1]) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، ح 3250، ج4، ص119 .

بحياتِه تنقَلِب رأساً على عقب، فيُصبح فقيراً لا مال ولا جاه له. والأدهى من ذلك وأمَر أنَّ بعض النَّاس يعيشون في غفلة وتيه، بل يظُنُّون أنَّ كُلَّ شيء يبقى ولا يزول، كما يقولون: دوام الحال من المُحال.

اعلم أنَّ الله ﷻ جعَلَ للإنسان عقلاً ليُميِّز به بين الصَّواب والخطأ، والسَّلب والإيجاب، والشيء الجَميل والقبيح، بهذا يَظهَر لنا أنَّه لا نِسبة ولا مِقياس للدُّنيا مقارنة بنعيم الآخرة، قال تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ **(الأعلى: 16- 17)** .

وقد جعَل المولى ﷻ سعادة الإنسان بمقدار ما عمل من الطَّاعات والعبادات، ومَدى تقوَاهُ لله حق التَّقوى، وما يصدُر عنْه من عمَل صالِح في دروب الخَير، بذلك يمتَلِك السَّعادة والسُّرور والفرح في حياتِه لاغتنامِها بطاعة ربِّه ﷻ فيَسعَد عندَ الموت، ويَسعَد بعدَ الموت حين لقاء ربِّه في الآخرة، ويتلذَّذ بنعيم الجنَّة بقدَر حُسنِ أعمالَه الصَّالحة في الدُّنيا. أمَّا الذي يسلُك طُرق الدُّنيا الفانية ولم يسعَ إلى تحقيق مرضات ربِّه ﷻ لم يسعد في الدُّنيا، وإن ظَهَر عليه علامات الفَرح والسَّعادة، فيتألَّم في النَّار بقدَر سوءِ أعمالِه في الدُّنيا، قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ **(طه: 123- 124)** .

بناءً على ذلك، كيفَ لِذي عقلٍ ولُب أن يُقرِّر ترجيح وتقديم الدُّنيا الفانية وأيَّامِها الخالِية على الآخرة، فيميل إلى أحضان الدُّنيا بزينَتِها من الأولاد والأموال والعمارات والسيَّارات والشَّهوات، ويترك ما عندَ الله من النَّعيم المقيم في الآخرة التي فيها الاستقرار والاطمئنان والرَّاحة الأبديَّة الباقية، قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ **(آل عمران: 14)**. ثمَّ أعادَ المولَى ﷻ الوَعد بالثَّواب وتأكيدُه والتَّرغيب في الآخرة، قائلاً: ﴿**وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ**﴾ **(محمد: 36)**، أي: إن تؤمِنوا بالله ورسولِه حق الإيمان، وتتقُوا ربَّكم حق التَّقوى بأداءِ فرائضِه واجتناب نواهيه، يُؤتِكم ثواب أعمالَكم وطاعاتكُم في الآخرة [1]

وإنّ الله أرادَ أن يُبيِّن تحقير وهوان الدُّنيا وتزهيدها، لكي لا تدخل في قلوب ونفوس النَّاس، وفي ذلك دعوة للتزهيد في الدنيا وبيان حقيقتها، ورغمَ أنَّه ذكر الرَّغبَة في صُوَر الزِّينة من المال والأولاد والذُّريَّة وغيرها، إلَّا أنَّه في موضِع آخر ذَكَر أنَّها فتنة واختبار للمؤمنين، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ **(التغابُن: 15)**. وفي هذه رسالة

([1]) انظر: تفسير المنير، ج26، ص138 .

واضحة جليَّة في تذكير المؤمنين بأنَّه لا قيمة للدُّنيا إلَّا بطاعة الله، وحُسن عبادته، والتقرُّب إليه، فالإيمان والتَّقوى في الحياة الدُّنيا، هما اللذان يُخرجانها عن كونِها لَعباً ولهواً، ويُطبعانها بطابع الجِد، ويرفعانها عن مستوى المتاع الحيواني إلى مستوى الخلافة الراشدة، المُتَّصلة بالملأ الأعلى، ويومئذٍ لن يكون ما يبذله المؤمن المُتَّقي من عرَض هذه الدُّنيا ضائعاً ولا مقطوعاً، فعنه ينشأ الأجر الأوفى[1].

الخلاصة: بعد استعراض الشَّواهِد والأدِلَّة والبراهين التي بيَّنت حقيقة الدُّنيا في هوانِها، وتحقيرها، وبعد البحث والاطلاع، استطاع الباحِث أن يُظهِر مكانة وقيمة الدُّنيا بالنسبة للآخرة، منها:

1 . أنَّ الدُّنيا دار ابتلاء وشقاء، وهَمٍّ وغَمٍّ، والآخرة دار البقاء والاستقرار والسكون والاطمئنان .

2 . أنَّ اتباع الدُّنيا في شهواتِها وأهوائها، فيه من الخسارة والحرمان ما لا يخفى، إلَّا باغتنام أوقاتها في طاعة الله .

3 . أنَّ الدُّنيا حُطامٌ واهٍ وطريقٌ منقطعٌ، ونعيمٌ محدودٌ زائل، وسبيل إلى الهلاك، والآخرةُ نعيمٌ دائم باقٍ، وسبيل إلى الارتقاء في درجات الجنَّة .

المطلب السابع: التَّفكُّر في عاقبة الأُمَم السَّابقة

ذَكر المولى ﷻ في كتابِه الكريم ما أعدَّه من التَّهديد والوعيد للكُفَّار والمشركين من الأقوام السَّابقة، والأمم الغابرة، بتنوُّع صنوف العذاب لهم، وذكر قصَصهم وأحوالِهم، بُغيَة التَّأمُّل والتفكُّر في عظيم قدرة الله على إهلاك الكفَّار الفجرة، وتحقيق العقوبة لهم، قال تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ (محمد: 10)** .

أريد أن أُبيِّن حقيقة إخبار النَّبي ﷺ بهذه القصص التي يرجع أصلها إلى آلاف السِّنين، قبل عهدِ النَّبي ﷺ، حيثُ إنَّه لم يُعاصِرهم، بل إنَّ كثيراً من العلماء قد نسَبوا مثل هذه الحقائق الغيبيَّة ، وكذا العلمِيَّة، بأنَّها إعجاز، فأكثروا من تعدُّد وجوه الإعجاز، واعتبروها وجهاً قائماً ومستقلَّاً بذاتِه.

إنَّ القرآن الكريم وحيٌ من عندِ الله ﷻ، والسنُّة النَّبويَّة هي كذلك وحي، فكلاهما وحيٌ من عندِ الله، إلَّا أنَّ القرآن الكريم بلفظِه ومعناه، والسنَّة كلام النَّبي ﷺ ولكنَّه وحيٌ من عند الله، قال تعالى: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: 3– 4).**

---

(1) انظر: في ظلال القرآن، ج6، ص3302 .

وقَول النَّبي ﷺ: **(ألَا إنِّي أوتِيتُ القرآن ومِثلهُ معه)** [1]، فكيف أخبَر عن هلاك قوم نوح وعاد وثمود، وإغراق فرعون وقومه، إن دلَّ هذا على شيء فإنَّما يدُلُّ على صِدق الوحي والنُّبوَّة، بمعنى: أنَّ القرآن هو كلام الله، والذي أُنزِل عليه القرآن هو رسول الله الصادق المصدوق. فقد تحدَّث العلماء عن هذه الأخبار الغيبية في مستقبل الزمان أو الماضي أو الحاضر، التي أخبَر عنها القرآن بأنَّها إعجاز، بما يُسمَّى (الإعجاز الغيبي)، فليست هذه الأمور الغيبية أو الحقائق الكونية، ونحوها من الأخبار التي صدقت أقوالها مواقع أكوانها، الوجه الذي انقطع عنه الخلق عن المجيء بمثل القرآن، فهذا ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة، بل تحدَّاهم بما برعوا وتميَّزوا بِه[2]؛ فالعرَب الذين نزَل القرآن في عهدِهم برعوا في اللغة والشعر، فأنزَلَ الله القرآن على نبيِّه؛ ليتحداهُم به، فعجَزوا على معارضته والإتيان بمثلِه، رغم أنَّهم هم أهل البلاغة والفصاحة والبيان، قال تعالى: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88)**، فهذا هو السِّر الذي أعجز الله به جميع الخلق إنساً وجناً على الإتيان بمثل هذا القرآن، إنَّه الوجه البلاغي للقرآن متضمِّناً الفصاحة والبيان.

وقد قالَ لنا الدكتور عبدالسلام اللُّوح في إحدى محاضراتِه لطلَّاب الماجستير في قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية غزة: كُل سورة في القرآن فيها إعجاز بلاغي، وليس كل سورة فيها أخبار غيبية، أو حقائق عِلميَّة تُسمَّى إعجازاً، ولكن هي دليل على صِدقِ الوحِي والنُّبوَّة". فالنبي ﷺ لا يعلَمُ الغَيب، وإنَّما الذي أعلَمَه بحقائق الأقوام الغابرة والأُمَم السالفة وأوصَلَ لهُ هذا الخَبَر هو المولى ﷻ، فارتَبط الخبر مع الواقع، بكُلِّ تأكيد دلَّ هذا الأمر على صِدق الذي أنزَل القرآن وصِدق الذي أُنزِلَ عليه.

إذن: يتبيَّن لي أنَّ هذه الأخبار الغيبيَّة هي من عند علَّام الغيوب الله الواحد القهَّار، أخبرَها لنبيه محمد ﷺ لبيان صدقِه وصدق ما جاء به؛ لتكون عبرة للناس جميعاً، قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف:111).**

فذكر هذه القصص للتَّفكُّر في عاقبة الأقوام الغابرة، ورسالة تنبيه للنَّاس بأنَّ الله قادِر على إهلاك المُكَذِّبين بالله ورسوله، أي: أفلا يسير هؤلاء المكذِّبون بالرسول ﷺ، فإنَّهم لا يجدون عاقبتهم إلَّا شر العواقِب، فإنَّهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة إلَّا وجدوا ما حولَهم قد بادوا

---

(1) مسند الإمام أحمد، حديث المقدام بن معدي كرب، ح 17174، ج28، ص410، اسناده صحيح.

(2) انظر: بيان إعجاز القرآن للخطابي، ص23 .

وهلكوا، واستأصلهم التَّكذيب والكُفر، فخمدُوا، ودمَّر الله عليهم أموالَهم وديارهم، بل دمَّر أعمالهم ومكرهم، وللكافرين في كل زمان ومكان أمثال هذه العواقِب الوخيمة والعقوبات الذَّميمة، وأمَّا المؤمنون، فإنَّ الله تعالى يُنجِّيهم من العذاب ويجزِل لهم كثير الثَّواب [1]. كما أنَّ في هذا بياناً واضحاً للمكذِّبين من قُريش للنَّبي ﷺ أن يتفكَّروا في عاقِبة الذين كذَّبوا أنبياءهم من الأقوام السَّابقة، حيث إنَّ قريشاً كانوا كثيري التنقُّل من مكان إلى آخر بهدف التِّجارة، ففي سفرهم إلى الشَّام كانوا يَرونَ نقمة الله التي أحَلَّها بأهلِ حجْرِ ثمود، ويرون في سفرِهم إلى اليَمن ما أحلَّ الله بسبأ [2]. "وذلك المشهد الذي يرسمُه التَّعبير، مقصود بصورتِه هذه وحركتِه، والتَّعبير يحمِل في إيقاعِه وجرسِه صورة هذا المَشهد وفرقعته في انقضاضِه وتحطُّمِه، وعلى مشهد التَّدمير والتَّحطيم والرَّدم، يلوِّح للحاضرين من الكافرين ولكل من يتَّصف بهذه الصِّفة بعد، بأنَّها في انتظارهِم هذه الوقعة المُدمِّرة التي تُدمِّر عليهم كل شيء، وتدفِنَهم تحت الأنقاض" [3]. لذلك وجب على النَّاس جميعاً الإسراع في التَّوبة، والرُّجوع إلى الله سبحانَه عاجلاً غير آجل، قبل أن يأتيهم مَلكُ الموت فجأة وهو لا يدري، مع تحقيق شروط التَّوبة الخمسة، وهي: الإخلاص لله في التوبة مخافة منه، والإقلاع عن الذَّنب، والنَّدم على فِعلِه، والعزم على ألَّا يعود فيه وردِ الحقوق إلى أصحابِها، وأن تكون في وقت تصلُح فيه التوبة [4]. ولا تيأسوا من رحمة الله، فإنَّ الله يَقبَل التَّوبة لمَن أراد أن يرجِع إليه بقلبِه توبةً نصوحاً، قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى: 25)**

بهذا المشهد العظيم وسرعة الإقبال على الله بالتوبة الصادقة، وحسن التَّفكر بعاقبة الأقوام السابقة والأمم الغابرة، **يتبيَّن للباحث:**

1 – أنَّ هذه الحقائق الغيبية التي تحدَّث عنها الله سبحانه في القرآن الكريم، وأخبَر بها محمداً ﷺ إنَّما هي دليل واضح على صدق الوحي والنبوة، وليسَت إعجازاً غيبيَّاً .

2 – التَّفكر في عاقبة الأمم السابقة والأقوام الغابرة، يجعل في قلب المؤمن الإيمان الصادِق بأنَّ الله قادر على كل شيء، وهذا من شأنِه تعجيل فرص التوبة والإقبال على الله .

(1) تفسير السَّعدي، ج1، ص785 .

(2) انظر: تفسير الطبري، ج22، ص162 .

(3) في ظلال القرآن، ج6، ص3290 .

(4) شرح العقيدة الوسطية لابن عثيمين، ج1، ص232 .

المطلب الثامن: دعوة للتَّفكُّر في أشراط السَّاعة

أشار الله في القرآن الكريم إلى أهلِ الكفر والبغي والفجور بقُرب السَّاعة، وقد حمَلت رسالة وعيد لهم، وللمُكذِّبين الشَّاكِّين بها، بأن استيقظوا وعودوا إلى ربِّكم بالإيمان، واعتناق دِين الإسلامِ قبل أن تأتيكم فجأة وأنتم غافلون، فكيف لهم النجاة إذا جاءتهم علامات الساعة الدَّالة عليها، قال تعالى: ﴿**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ**﴾ **(محمد: 18)**، فماذا ينتظرون بعد انقطاع آجالهم وفوات الأوان، ولقد جاءتهم رُسُلُهم بالبيِّنات والحُجَج الواضحة في صِدق هذا الدِّين، لكن لا حياة لمَن تُنادِي، فلا يتوقع منهم إيمان أو توبة، إلا بمجيء السّاعة، التي ظَهَرت علاماتُها، وبدأت مقدِّماتُها، رغم ذلك لا تجد أَمَلاً في إيمانِهِم .

لو تأمَّل الإنسان المسلم في القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة، لوجَد كثيراً من الآيات والأحاديث قد تحدَّثَت عن علامات وأشراط السَّاعة، والتي لا يعلم وقتها إلَّا الله ﷻ، وقد تأتي فجأة وفي وقت غفلة، وهي في الحقيقة أمْر مُفزِع للقلوب، قال تعالى: ﴿**يسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً**﴾ **(الأعراف: 187)** .

وقد قسَّمها العلماء إلى علامات صُغرى، وعلامات كُبرى:

أولاً: علامات السَّاعة الصُّغرى:

سأذكُر ما تيسَّر لِي من بعض هذه العلامات والأمارات للإيجاز والاختصار لا للحصر، كما أخبر عنها النَّبي ﷺ تحفيزاً وترغيباً للمؤمنين بالثَّبَات على هذا الدِّين، واستحضار عظمة الله ومراقبَته، والاستعداد لِلِقائه في كُلِّ وقتٍ وحينٍ، وتخويفاً وترهيباً للمُكذِّبين والمنافقين بتذكيرهم أنَّ لكُل بداية نهاية، ونهاية الحياة الموت، فينبغي عليهم أن يتأمَّلوا ويتفكَّروا في علامات الساعة، وقُربِ آجالَهم. **ومِن هذه العلامات:**

1 . **بعثة النَّبي محمَّد ﷺ**، قال رسول الله ﷺ: **(بُعِثتُ أنا والسَّاعة كهذِه من هذه، أو كهاتَين، وقَرنَ بين السبَّابة والوُسطى)** [1] .

2 . **انتشار عقوق الوالِدَين، والتَّطاول في البنيان**، جاء في حديث عمر بن الخطاب ﷺ، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: **(فأخبِرني عن السَّاعة، قال ما المسؤول عنها بأعلَم من السَّائل، قال: فأخبِرني عن أمارتها؟ قال: أن تَلِد الأَمَةُ ربَّتها، وأن تَرى الحُفاة العُراة العالَة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)** [2] .

3 . **تَضييعُ الأمانة**، عن أبي هريرة ﷺ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: **(فإذا ضُيِّعت الأمانَة، فانتظِر السَّاعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهلِه، فانتظِر السَّاعة)**[3].

4 . **ترك الجهاد واتِّباع الدُّنيا**، عن ابن عمر ﷺ قال: سمِعتُ رسول الله ﷺ، يقول: **(إذا تبايَعتُم بالعينة** [4] **، وأخذتُم أذنابَ البَقر، ورضيتُم بالزَّرع، وتركتُم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذُلّاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينِكم)** [5] .

5 . **عودة الإسلام غريباً كما بدأ**: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **(بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاء)** [6]. و الغرباء هم الصالحون في وسط عمَّ فيه الفساد والشرك .

([1]) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، ح 5301، ج7، ص53 .

([2]) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، ح 8، ج1، ص36 .

([3]) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سأل علماً، ح 59، ج1، ص21 .

([4]) العينة: وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم، إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثَّمن الذي باعها به. النهاية: ابن الأثير(237/1) .

([5]) سُنن أبو داوود، كتاب البيوع، باب النهي عن العينة، ح 3462، ج3، ص740، وقال الألباني هو حديث صحيح.

([6]) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بدأ الاسلام غريبا، ح 145، ج1، ص130 .

ثانياً: علامات السَّاعة الكُبرى:

إنَّ علامات السَّاعة رسالة إلى المُكذِّبين بالنَّبي وبما جاء به، وللمنافقين أيضاً، بأن يستيقظوا من غفلتهم، وينفضوا عن قلُوبِهم غبار الجحود والغفلة والوهَم وطول الأمَل، وأن يرجعوا إلى الله تائبين عائدين بقلوب صافية نقيَّة، قبل أن تأتيهِم السَّاعة فجأة وهم لا يشعرون، وقتها لا ينفع النَّدَم، وتبقى الحسرة تغمُر قلوبهم على ما فات من كُفر وعناد دون الإيمان بِرَبِّ الأرض والسَّماء، قال تعالى: **﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ (محمد: 18)**، فعلامات السَّاعة هي من الغَيب الذي انفرَدَ الله بعلمه، وقد أخفاه عن جميع الخلق إنساً وجنَّاً، ولا يعلَم قُربها لا مَلكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مُرسَل، لكي يكونَ الناس على استعداد في انتظار الموعِد، **ومِن هذه العلامات:**

العلامة الأولى: ظهور المسيح الدَّجال: سُمِّي بالمسيح لأنَّه يمسح الأرض، ولأنَّه ممسوح العَين، فهو ممسوح الخِلقة فعينُه طافئة كأنَّها عنبة، والدَّجال: أي الكذَّاب [1] . في الحَديث: **(قُلنا يا رسول الله: وما لَبثُه في الأرض، قال: أربعون يوماً، يومٌ كسَنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيَّامِه كأيَّامكم)** [2] .

العلامة الثانية: نزول المسيح عيسى ابن مريم ﷺ : قال رسول الله ﷺ: **(والذي نفسي بيدِه لَيُوشِكَنَّ أن ينزِل فيكُم ابن مَريم حكَماً مُقسِطاً، فيكسِر الصَّليب، ويقتُل الخنزير، ويضع الجِزية، ويفيض المال حتى لا يَقبَله أحد)** [3].

العلامة الثالثة: ظهور يأجوج ومأجوج: عن زينَب بنت جحش زوج النَّبي ﷺ، قالت: خرج رسول ﷺ يوماً فزِعاً محمَرَّاً وجهه، يقول: **(لا إله إلَّا الله، وَيلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلَّق بإصبعِه الإبهام والتي تليها، قالَت: فقلْتُ يا**

---

(1) انظر: الديباج شرح صحيح مسلم للسيوطي، ج1، ص215 .

(2) صحيح مسلم، كتاب الفِتن، باب ذكر الدَّجال وصِفته، ح 2937، ج4، ص2250 .

(3) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، ح 2222، ج3، ص82 .

رسول الله: أنهلك وفينا الصالِحون؟ قال: نعم إذا كثُر الخَبَث) [1]. وقال ابن كثير: "إنَّهم من سُلالة آدم عليه السلام، بل هُم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافِث" [2].

العلامة الرابعة: طلوع الشمس من مغربها: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تطلُع الشمس من مغربها، فإذا طَلَعت من مغربها، آمَن الناس كلُّهم أجمعون، فيومئذٍ لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكُن آمنَت من قَبل، أو كسَبت في إيمانِها خيراً)** [3] .

العلامة الخامسة: خروج الدَّابَّة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: 82). والدَّابة: هي حيوان تخرج من الأرض تُخاطِب الناس المشَكِّكين منهم أنَّهم لا يؤمنون بقدوم السَّاعة .

العلامة السادسة: الدخان: قال تعالى: **﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (الدخان: 10) .**

العلامة السابعة والثامنة والتاسعة، الخسوفات الثلاث: عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: **(اطَّلع النَّبي ﷺ علينا ونحنُ نتذاكَر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكُر السَّاعة، قال: إنَّها لن تقوم حتى ترَون قبلَها عشر آيات: فذكر الدُّخان، والدَّجال، والدَّابَّة، وطلوع الشَّمس من مغرِبها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرَب، وآخر ذلك نار تخرُج من اليَمن، تطرد الناس إلى محشرهم)** [4] .

العلامة العاشرة: نار تخرج من اليَمن: قال رسول الله ﷺ: **(أمَّا أوَّل أشراط السَّاعة، فنار تحشُر النَّاس من المشرق إلى المغرب)** [5].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفِتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفِتن، ح 2880، ج4، ص2208 .

(2) تفسير ابن كثير، ج5، ص372 .

(3) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب لا ينفع نفساً إيمانها، ح 4635، ج6، ص58 .

(4) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح 2901، ج4، ص2225 .

(5) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم، ح 3329، ج4، ص132 .

كما ظهر لنا من خلال الشَّواهِد، أنَّ للسَّاعة علامات وأمارات، أكَّدَ الله على ذِكرها في القرآن الكريم، وكذلك بيَّنتها السنَّة المطَهَّرةِ في كتب الحديث بعلامات ظاهرة بيِّنة، وبناءً على ذلك ينبغي على الإنسان المُسلم أن يُسارع في التَّوبة، والرُّجوع إلى الله تعالى قَبل ظُهورِها، وقد قال الإمام المراغي: "فإنَّ الذِّكرى لا تنفع حينئذٍ، ولا تُقبَل التَّوبة، ولا ينفع الإيمان" [1]، "والمُراد أنَّ أدلَّة الإيمان بالله تعالى، وصِدقِ رسولِه ﷺ وبالبعث كثيرة ساطِعة بالبُرهان في القرآن والفطرة والنَّفس والعقل، وعالَم الشَّهادَة والحِس، فإذا لم يُؤمِنوا في وقت قريب قبل مجيء الموت والقيامة، فلا ينفعهم إيمان حينئذ بعد انتهاء العُمُر، وزوال الدُّنيا التي هي دار العمَل والتَّكليف"[2]. "فينبغي أن يقع الاستعداد والخوف منها، لمَن جَزم ونظَر لنفسِه فأنَّى لهم الخلاص أو النَّجاة إذ جاءتهم الذِّكرى بما كانوا يُخبَرُون به في الدُّنيا، فيُكذِّبون به، وجاءهم العذاب مع ذلك" [3]. قال ابن جرير الطَّبري: "فهل ينظُر هؤلاء المُكَذِّبون بآيات الله من أهل الكفر والنِّفاق إلَّا السَّاعة التي وعدَ الله خلقَه بعثَهُم فيها من قبورِهم أحياء، أن تَجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها" [4]. قال ابن عباس ﷺ: (ليس شيء من الخَلق إلَّا يُصيبُه من ضرر يوم القيامة)[5].

الخلاصة: جاءت النُّصوص والأدِلَّة لِتُبيِّن علامات السَّاعة وقُرب مجيئها، لذلك ينبغي على الإنسان العاقِل، أن يتنبَّه ويتذكَّر أنَّ بالتزام أوامِر الله، واجتناب نواهيه، والإيمان بالله والتصديق برسوله ﷺ، والجهاد في سبيل الله والتَّضحية بالنَّفس والمال، بذلك يكون مستعدَّاً للقاء الله، أمَّا المنافق الذي لم يؤمن بالله حقاً، ولَم يُصدِّق برسوله حقاً، ولَم يُجاهِد في سبيل الله، يبتليه الله بالذُّل والانكسار، فالذُّل يُصَبِّحُه ويُمَسِّيه، وإذا جاءت السَّاعة فجأة حينها لا ينفَعُه النَّدم ولا الحسرة، فكيف يكون له النَّجاة والخلاص؟ .

([1]) تفسير المراغي، ج26، ص62 .

([2]) تفسير المنير، ج26، ص110 .

([3]) تفسير ابن عطيّة، ج5، ص116 .

([4]) تفسير الطبري، ج22، ص171 .

([5]) تفسير ابن كثير، ج3، ص469 .

المطلب التاسع: صفة الجنَّة وبيان ما أعدَّه الله للمؤمنين فيها

أعدَّ الله لعبادِه المؤمنين به -حقَّ الإيمان-، الذين اتَّقوا معاصيه وسخطه، وتمسَّكوا بطاعَتِه ورضوانِه، في الجنَّة ما لا تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، فكانت الجنَّة هي الاتجاه الذي يسير نحوه السَّالِكُ إلى الله والتقرُّب إليه، بغية الوصول إليها، كيف لا، وهي المَكْرمة والمِنحَة والجائزة الكبرى التي يحظى بها المؤمن يوم القيامة، قال تعالى: **﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (محمد: 15)**، كما أنعَمَ الله عليهم من كلِّ الثمرات التي لا مثيل لها في الدُّنيا، لا طعماً، ولا حلاوةً، ولا لِذَّة، ولا رائحة زكيَّة، وقد حصل لهم ذلك، فضلاً عن مغفِرَةٍ من الله ورضوان، فهو خير ما يُعطى به العَبد رضا الله سبحانه وتعالى. "وبدأ بالماء لأنَّه لا يُستغنى عنه في الدنيا، ثمَّ باللَّبن لأنَّه يجري مجرَى المطعوم لكثير من العَرَب في غالِب أوقاتِهم، ثُمَّ بالخَمر لأنَّه إذا حصلَ الرَّي والشَّبَع تشوَّقت النَّفس لِما يستلَذ به، ثمَّ بالعسَل لأنَّ فيه الشِّفاء في الدُّنيا مما يعرض من المشروب والمطعوم"[1]. قال ابن مسعود ﷺ: **(أَنْهَارُ الجنَّة تُفجَّر من جَبَل من مِسك)** [2].

إنَّها الجنَّة، وِجهَةُ عباد اللهِ المتَّقين الزَّاهدين المؤمنين بوحدانيَّة الله، وبنُبوَّة نبيِّه محمد ﷺ، فيها ما لا عَينٌ رأت ولا أُذُنٌ سَمِعت، ولا خَطَر على قلبِ بشر، قال تعالى: **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: 17)**، ولا يكاد المؤمِن أن يَصِل إلى الجنَّة إلَّا بتحقيق رضا الله ﷻ ابتداءً، ثمَّ بكَرَم الله ومنَّتِه ورحمتِه، واعلَم أنَّ الجنَّة ليست للجَميع، إنَّما هي للمُتَّقي المُطيع.

وقد ذكَر الله في القرآن الكريم آيات كثيرة ومشاهِد تحدَّثت عن وصف الجنَّة، وما أعدَّ الله للمؤمنين من صنوف النَّعيم المقيم الذي يتمَتَّعون به، ويتلذَّذون بكل ما أحَلَّهُ الله لهم، منها:

---

(1) تفسير المراغي، ج26، ص58 .

(2) تفسير ابن كثير، ج7، ص289 .

1 . قال تعالى: **﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ* بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ* لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ* وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ* وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ* وَحُورٌ عِينٌ* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ* جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الواقعة: 17- 24)**

2 . وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ (النساء: 57)**

ومَن يغوص في بحور آيات القرآن من كلام الرَّحمن، يجِد فيه خيراً وفيراً، وآيَاتٍ كثيرةٍ تحدَّثت عن عظيم نِعَم الله الذي أعدَّه لِعبادِه الذين يُقبِلون على الله بالأعمال الصالحة الخالِصة، وتقديمُها مَهراً لِجَنَّات ربِّ الأرض والسموات .

ومِن الأحاديث النبَويَّة في وصف الجنَّة أيضاً، وهي كثيرة، أَذكُر منها:

1 . قال رسول الله ﷺ: **(أُدخِلتُ الجنَّة، فإذا فيها جنابِذ [1] اللُّؤلُؤ، وإذا تُرابُها المِسك)** [2].

2 . وقال رسول الله ﷺ: **(قال الله: أعدَدتُ لعبادِي الصَّالِحين ما لا عَينٌ رأَت، ولا أُذُن سَمعَت، ولا خطَر على قَلبِ بشر، فاقرؤوا إن شِئتُم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: 17))** [3].

3 . وقال رسول الله ﷺ: **(مَن يدخُل الجنَّة ينعَم، ولا يبأس، ولا تُبلى ثيابُه، ولا يُفنى شبابُه)** [4].

4 . وقال رسول الله ﷺ **(إنَّ الله ﷻ يقول لأهلِ الجنَّة: يا أهل الجنَّة، فيقولون: لبَّيكَ ربَّنا وسَعدَيك، فيقول: هل رضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضَى، وقد أعطَيتَنَا ما لم تُعطِ أحداً من**

([1]) الجنابِذ: جمع جنبَذة: وهي القُبَّة، النهاية في غريب الحديث، ج1 ص305 .

([2]) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ذِكر إدريس عليه السلام، ح 3342، ج4، ص135 .

([3]) صحيح البخاري، كتاب بَدء الخَلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح 3244، ج5=4، ص118 .

([4]) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في دوام نعيم أهل الجنة، ح 2836، ج4، ص2181 .

خَلقِك، فيقول: أنا أعطِيكُم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكُم رضوانِي، فلا أسخَط عليكُم بعدَه أبداً) [1].

5 . وقال رسول الله ﷺ: **(ولو أنَّ امرأةً من أهلِ الجنَّة اطَّلَعَت إلى أهلِ الأرض، لأضاءَت ما بينَهُما، ولملأتْهُ ريحاً، ولَنصيفُها على رأسِها خيرٌ من الدُّنيا وما فيها)** [2].

6 . وقال رسول الله ﷺ: **(يأكُل أهلُ الجنة فيها ويشربون، ولا يتغَوَّطون، ولا يمتخطون، ولا يَبولُون، ولكن طعامُهم ذلك، جُشاءٌ** [3] **كرشحِ المِسك، يُلهَمون التَّسبيح والحَمد، كما تُلهمون النَّفس)** [4].

إنَّها الجنَّة التي وصفها الله بأرق الكلمات وأجمل العبارات وأحسن الألفاظ، ويحقُّ لها ذلك، لما لها من السِّمات والصِّفات الجميلة الرائعة في نعيمها الدَّائم، كان وصفها في ظِلِّ أشجارها، وفي ثمارها وصنوف أنهارها، وجمال حورها وقصورها، وفُرشِها المرفوعة، وأكوابها الموضوعة، ورائحة بساتينها الفوَّاحة بمِسك تربتها، وغير ذلك من شتَّى أنواع وألوان النَّعيم المقيم ..

الخلاصة: ظهر للباحث: من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في وصف الجنة ونعيم أهلها، أنَّ مقتضى عدل الله أن يُعطي المنازل في الجنَّة بقدَر أعمال العباد وتقواهم، وفي ذلك تظهر لنا منهجية القرآن في قوله: **﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (فصلت: 46)**. فالجنَّة لا يسلُك طريقها، ولا يتنسَّم عبيرَها، ولا يتذوَّق حلاوتها، إلَّا مَن عرَف طريق الحق واتبع سبيل الهدى والبرِّ والرَّشاد؛ استعداداً للرُّقي والارتقاء نحو المعالي.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح 6549، ج8، ص114 .

(2) صحيح البخاري، كتاب فضل الجهاد، باب الحور العِين، ح 2796، ج4، ص17 .

(3) جشاء: وهو الصوت يخرج من الفَم عند امتلاء المعدة، تكملة المعاجم العربية باب جشو ج2 ص219 .

(4) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في صفات الجنة وأهلها، ح 2835، ج4، ص2181 .

المبحث الثاني: الأساليب الواردة في التوجيهات التربويَّة العَقدِيَّة

سيتناوَل الباحِث في هذا المبحث أهَم الأساليب البلاغيَّة المنثورة التي وردَت في التوجيهات التربويَّة العَقديَّة في سورة محمد ﷺ، وإنَّ القرآن الكريم جاء بأساليب متنوعة تتوافق مع أحوال المُخاطَبين، وتراعِي مستوياتِهم؛ فهو متميِّز بخصائص عديدة عن بقيَّة العلوم، فحِينَما تتشابَه الأساليب البلاغيَّة مع بعضِها، أُقدِّم الآيةَ الأكثَرَ توضيحاً للأسلوب المطلوب .

المطلب الأول: أسلوب الجملة الخبريَّة

تعريف الجملة الخبرية: الخبر: ما احتمل الصدق والكذب لذاتِه [1]، سواءً كانت الجملة اسمية أو فعلية؛ لكن الخبر في القرآن دائماً صادق .

من خلالِ تتبُّعِ الجُمَلِ في الآياتِ التي ذُكِرت في سياق التَّوجيهات التربويَّة العقديَّة في سورة محمد ﷺ، يبدو للباحث، أنَّ عدد هذه الجُمَل الخبريَّة هي أربعُ آيات، وهي على النَّحو الآتي:

أولاً: قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُم﴾ (محمد: 1)**.

هذه جملة خبريَّة [2]، بيَّنت أحوال الكافرين والصَّادِّين عن دِينِ الله ﷻ بمصير ومآل أعمالَهم التي كانوا يعملونها من مكارِمِ أخلاق وغيرها، فهذه الأعمال لا تُقبَل عندَ اللهِ مع الكُفْرِ والصَّد [3].

وقد ابتدأت هذه الآية بذكر اسم الموصول (الذين)، يفيد العموم، فالآية لها سبب نزول، ولكن العبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب، بمعنى: "هو عامٌ في كلِّ مَن كفَر وصَد"[4]. والسؤال الذي يطرَح نفسَه، هل الكُفر هنا بمعنى الصَّد؟ **أقول:** إنَّ الكُفر شيء، والصَّدُّ شيءٌ

([1]) علوم البلاغة، ج1، ص43 .
([2]) انظر: فتح القدير، ج5، ص39 .
([3]) انظر: تفسير المنير، ج26، ص79 .
([4])الكشَّاف للزمخشري، ج4، ص314 .

آخر، قال الجزائري: "الكُفر: الإشراك بالله، والصَّد عن سبيل الله: هو صرف النَّاس عن اتِّباعِ النَّبي ﷺ، والدُّخول في الإسلام" [1] .

ثانياً: قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: 2)** .

هذه جملة خبريَّة ابتدأت بالاسمِ الموصولِ الذي يفيد العموم، ، فقد أرادَ المولى ﷻ أن يُبيِّن أحوال المؤمنين بالله ولِقائه، ورُسُلِه واليوم الآخِر، وما أُنزِلَ على نبيِّهِم وهو القرآن الكتاب الحق، والنتيجة أنَّ الله كفَّرَ عنهم ما صدَرَ منهم من الذُّنوبِ والخطايا والمخالفات.

وقد بيَّنَ المولى ﷻ في هذه الآية ارتباط السنَّة النبويَّة بالقرآن الكريم؛ حيثُ قال رسول الله ﷺ: **(ألَا إنِّي أوتِيتُ القرآن ومِثلهُ معه)**[2]، فلا يمكِن أن يتمسَّك الإنسان المُسلِم بالقرآن ويترك السنَّة، كيف لا وهما المنهجان الواضِحان اللَّذانِ سار عليهما واتَّبعهُما سلَفُنا الصَّالِح من الصحابة والتَّابعين ومن تبِعَهُم، واللَّذان يستقي منهُما المُسلِم في إصلاح جميعِ أمورِه، ويتَّبعهما في كل حياتِه؛ لينالَ رضا ربِّه في الدُّنيا والآخرة، وكان تخصيص الإيمان بالقرآن الكريم بعد ما كان الإيمان عامَّاً، ذِكر خاص بعد عام؛ تعظيماً وتكريماً للنَّبي محمد ﷺ، الذي أُنزِلَ عليه القرآن، وإشعاراً بأنَّ الإيمان لا يتم دونَه [3].

والسؤال الذي يطرَح نفسَه، هل تبقى أعمالُ المؤمنينَ قَبلَ إيمانِهم في الجاهليَّةِ مسَجَّلة عليهم؟ **أقول:** للعِلمِ إنَّ من رحمَةِ الله ﷻ ولُطفِه بعبادِه، أنَّ السَّيِّئاتِ التي يقترِفُها الإنسان قَبلَ إسلامِه، وتوبتِه منها، والرُّجوع إلى ربِّه بعد معصية وكفران، يُبدِلُها الله إليهم حسنات، وبالإيمان يُصلِح الله ﷻ به شأن كُلَّ مُؤمِن وحالِه وقلبِه، فالإسلام يُلغِي ويُمحِي ما قَبلَه من كُفرٍ ومعصيةٍ وذنب، قال تعالى: **﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: 70)**.

([1]) أيسَر التفاسير للجزائري، ج5، ص70 .
([2]) مسند أحمد، حديث المقدام بن معدي كرب، ح 17174، ج28، ص410 إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح .
([3]) انظر: تفسير المنير، ج26، ص77 .

ثالثاً: قولِه تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْـهَار﴾ (محمد: 12).**

جاءت الجُملَة الخبريَّة في الآية مؤكَّدة تأكيداً بيِّناً، بأنَّ عاقبة المؤمنين الصالحين الموحِّدين دخول الجنَّة صاحِبةِ النَّعيم المقيم، والخلود الدَّائم، وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدُل على صدقِ اللهِ مع عبادِه، بأنَّ دخول الجنَّة يسبِقه إيمان بالله تعالى، وعمل صالِح، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْـهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء: 122).** وقد جاء التَّأكيدُ في هذه الجُملة الخبريَّة بحرف التوكيد (إنَّ)، لِبيان مصير ومآل المؤمنين والكافرين في الآخرة، فهو يُصوِّر مكانة المؤمنين في عُلُوِّ شأنِهِم ورِفعتِها، بأنَّ اللهَ يَجزيهِم على أعمالِهم خيراً، حيثُ إنَّ نصيبَهُم وحظَّهم الوافِر دخولُ الجنَّة، والصورة الأخرى: هي للَّذين كفروا في بيان معيشتهم في الدُّنيا وسوءِ مكانتهم في الآخرة، قال الزمخشري في بيان أحوال الكافرين وتلهِّيهِم في الحياة: "ينتفعون بمتاع الحياة الدُّنيا أيَّاماً قلائل، ويأكلون غافلين غير مفكِّرين في العاقِبة، كما تأكُل الأنعام في مسارحها ومعالِفِها، غافِلة عمَّا هي بصدَدِه من النَّحْرِ والذَّبح" [1].

رابعاً: قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَـهْوٌ﴾ (محمد: 36)**

يتَّضح للباحث من خلال هذه الآية بيان حقيقة الدنيا وأحوالها، وفي ذلك إشارة إلى التحقير لِأثر الدُّنيا والتهوين لشأنها، وأما ما فيها من الطاعة والجهاد في سبيل الله وأمر الآخرة فليس بذلك[2]، "والإخبار عن الحياة بأنها لعب ولهو على معنى التشبيه البليغ ، شُبهت أحوال الحياة الدنيا باللعب واللهو في عدم ترتب الفائدة عليها لأنها فانية منقضية والآخرة هي دار القرار ، وهذا تحذير من أن يحملهم حب لذائذ العيش على الزهادة في مقابلة العدّو ويتلو إلى مسالمته فإن ذلك يُغري العدو بهم" [3].

([1])الكشاف للزمخشري، ج4، ص320 .
([2]) انظر: البحر المحيط، ج9، ص475 .
([3]) التحرير والتنوير، ج26، ص133 .

يرى الباحث : أنَّه لا يمكِن أن يقبَلَ اللهُ ﷻ أي عمَلٍ مهما كان قدرُه، وما يترتَّب عليه من منفعة طالَما أنَّ صاحِبَهُ كافِرٌ باللهِ، وجاحِدٌ بآياتِه، وصادٌّ عن دِينِه، فلا يستوي الإيمان مع الكُفرِ، قال تعالى: **﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان: 23).**

إنَّ أسلوبَ أعداءِ اللهِ لا ولم ولن ينتهي في صَدِّ الناسِ عن دِينِ الله، وفي ذلك يبذلون الغالي والنَّفيس، بُغيَةَ الكَيد بدعوةِ الإسلام، والنَّيلِ من عزيمَتِها وإسقاطِها، ما يؤدِّي إلى إضعافِ قدرةُ الدَّعوة الإسلاميَّة على استيعابِ النَّاسِ، والعَمَلِ على نقلِهم من طريقِ الضَّلال إلى طريقِ الهدايةِ. فالمعركة والحربُ مستمرة بين فريقِ المسلمين، وفريقِ الكافرين أعداءِ هذه الأُمَّة، فأموالُهُم تعودُ وبالاً عليهم وخسارة مُحقَّقة لهُم في انتهاءِ مُلكِهم وزوالِه، وعاقبتهم جهنَّم وبئس المصير، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: 36).**

المطلب الثاني: أسلوب الأمر

تعريفه: هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء [1] .

من خلال تتبُّع الجُمَل في الآيات التي ذُكِرَت في سياق التَّوجيهات التربويَّة العقدِيَّة في سورة محمد ﷺ، ظهَر للباحث، أنَّ الجُملَة التي وَرَدَ فيها أسلوب الأمر، هي آية واحدة، وهي:

قولُه تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد:19).**

في هذه الجُملة أمْرٌ من الله ﷻ إلى نبيِّهِ محمد ﷺ بالتمسُّكِ بكلمة التَّوحيد، والثَّبات عليها، والعملِ بمقتضاها، والحِرص على مراقبة النفس، والإيمان بأنَّه لا إله غيرَ الله ولا معبودَ سواه [2]، يقول الطاهر بن عاشور: " فالأمر في قوله: (فاعلم) كناية عن طلب العلم وهو العمل بالمعلوم، وذلك مستعمل في طلب الدوام عليه؛ لأن النبيَّ ﷺ قد علم ذلك وعلمه المؤمنين، وإذا حصل العلم بذلك مرة واحدة تقرر في النفس لأن العلم لا يحتمل النقيض فليس

---

(1) علوم البلاغة، ج1، ص75 .
(2) انظر: فتح القدير، ج5، ص43 .

الأمر به بعد حصوله لطلب تحصيله بل لطلب الثبات، فهو على نحو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ (**النساء: 136**). وأما الأمر في قوله: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ (محمد: 19) فهو لطلب تجديد ذلك إن كان قد علمه النبي ﷺ من قبل وعَمِله أو هو لطلب تحصيله إن لم يكن فعَلَه من قبل. وذكر (المؤمنات) بعد (المؤمنين) اهتمام بهن في هذا المقام وإلا فإن الغالب اكتفاء القرآن بذكر المؤمنين وشموله للمؤمنات على طريقة التغليب للعلم بعموم تكاليف الشريعة للرجال والنساء إلا ما استثني من التكاليف" [1].

أقول: من الواضح أنَّه لا مكانَ ولا وجودَ للسَّعادةِ إلَّا بالثبات على كلمة التوحيد والتمسك بها، والبُعدُ عنها هلاكٌ وشقاء، والأمر كذلك بالاستغفار من كلِّ ذنب، وفي ذلك إشارة للأمة مجتمعة بضرورةِ الاستغفار كذلك بسبب الإفراط في الذُّنوب والسيِّئات من بابِ أولى، لأنَّ اللهَ لا تخفى عليه خافية، لا في السرِّ ولا في الجهر، ولا في الليل ولا في النهار، ويعلَم ما هو كائن وما سيكون، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**﴾ (**آل عمران:5**) .

سؤال، هل النَّبي ﷺ يُخطئ أو يُذنِب؟ **أقول:** إنَّ اللهَ تعالى نزَعَ حظَّ الشيطان منه في حادثةِ شقّ الصدر، عن أنس بن مالِك رضي الله عنه، (**أنَّ رسول الله ﷺ أتاهُ جبريل عليه السلام وهو يلعَبُ مع الغِلمان فأخذَهُ، فصرعَه، فشقَّ عن قَلبِه، فاستخرَجَ القَلب فاستخرَجَ منهُ علقَة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثُمَّ غسلَه في طِستٍ**[2] **من ذَهَبٍ بماءِ زمزَم، ثُمَّ لأمَهُ**[3]**، ثُمَّ أعادَه في مكانِه**)[4].

المطلب الثالث: أسلوب الشَّرط

تعريفه: هو اقتران وتلازم جملتين بحيث تكون أحداهما شرطاً والثانية جواباً، وذلك بوجود أداة الشرط [5] .

من خلال تتبُّع الجمل في الآيات التي ذُكرَت في سياق التوجيهات التربوية العقديَّة في سورة محمد، تبيَّن لي أنَّ الجُملة التي وَرَدَ فيها أسلوب الشَّرط هي آية واحدة، وهي

([1]) التحرير والتنوير، ج26، ص105 .
([2]) الطِست: هو إناء كبير مستدير من نحاس، يغسَل فيه. المعجم الوسيط باب الضاد ج2 ص557 .
([3]) لأَمَه، لَأَمَ أي شفي، التحَم وَبَرأ، معجم اللغة العربية المعاصرة (ل أ م) ج3 ص 1984 .
([4]) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، ح 162، ج1، ص147 .
([5]) انظر: رسالة المباحث المرضية، ج1، ص55 .

قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (محمد: 36).**

يُخاطِب الله ﷻ المؤمنين بضرورة الإيمان به، وذلكَ باتِّباعِ أوامرهُ واجتناب نواهيه، فهذا شرطٌ ربَّانيٌّ لعبادِه، لكي يُؤتيهِم جزاء ذلك، الثَّواب الجزيل والأجر العظيم على ما بذلوا من التضحيات والعمل الصالح، فكان جواب الشَّرط (يؤتِكُم أجوركم) دليلاً واضحاً على فضلِ اللهِ وكرَمه لعبادِه بالخيرات والنعم الكثيرة التي لا تُعَد ولا تُحصى. " ووقوع (تؤمنوا) في حيز الشرط مع كون إيمانهم حاصلاً، يعين صرف معنى التعليق بالشرط فيه إلى إرادة الدوام على الإيمان، إذ لا تتقوم حقيقة التقوى إلا مع سبق الإيمان، **وَالظَّاهِرُ أَنَّ جُمْلَةَ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ إِدْمَاجٌ، وَأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ جَوَابِ الشَّرْطِ هُوَ جملَة ﴿وَلا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ﴾. وَعطف ﴿وَلا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ﴾ لِمُنَاسَبَةِ قَوْلِهِ: ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾، أَيْ أَنَّ اللَّهَ يَتَفَضَّلُ عَلَيْكُمْ بِالْخَيْرَاتِ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُنَاسَبَاتُ أَحْسَنَ رَوَابِطَ لِنَظْمِ الْمَقْصُودِ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاعِظِ لِأَنَّ الْبُخْلَ بِالْمَالِ مِنْ بَوَاعِثِ الدُّعَاءِ إِلَى السَّلْمِ**" [1]. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل الإيمان بمعنى التقوى؟ **أقول:** إنَّ الإيمان درجة ومنزلة تسبِق التقوى، ودليل ذلك، أنَّ هناكَ آياتٌ كثيرةٌ في كتاب الله ﷻ يتم فيها تقديم الإيمان على التقوى، من ذلك، قولِه تعالى: **﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: 179).**

بعد استعراض الأدلة والأقوال في ارتباط التقوى بالإيمان في هذه الجملة الشرطية، **يبدو للباحِث:** أنَّ التقوى شرطٌ في قبول الإيمان والعَمل الصالح .

المطلَب الرابع: أسلوب التوكيد

تعريفه: تابع يذكَر في الكلام لدفع ما قد يتوهمه السامع، مما ليس مقصوداً [2] .

من خلالِ تتبُّع الجُمل في الآياتِ التي ذُكِرَت في سياق التوجيهاتِ التربويَّة العقَديَّة في سورة محمد، يبدو للباحِث أنَّ الجُملة التي وَرَدَ فيها أسلوب التوكيد هي آية واحدة، وهي على النحو الآتي:

([1]) التحرير والتنوير، ج26، ص134 .

([2]) النحو الواضح في قواعد اللغة، ج1، ص389 .

قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (محمد: 34).**

من الواضح أنَّ اللهَ لا يغفِر الذنوب لِمَن أصرَّ على الكفرِ بآياتِ الله، ومنعَ النَّاس من الدُّخولِ في الإسلام، واتِّباعِ الحق، ثمَّ ماتَ على ذلك من غيرِ توبة، فلَن يغفِرَ الله لهم لا بشفاعة ولا بغيرها [1]. "**وَهَذِهِ مَسُوقَةٌ لِبَيَانِ عَدَمِ انْتِفَاعِهِمْ لمغفرة الله إذا مَاتُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ فَهِيَ مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِئْنَافًا ابْتِدَائِيًّا. وَاقْتِرَانُ خَبَرِ الْمَوْصُولِ بِالْفَاءِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ أَشْرَفُ مَعْنَى الشَّرْطِ فَلَا يُرَادُ بِهِ ذُو صِلَةٍ مُعَيَّنٌ بَلِ الْمُرَادُ كُلُّ مَنْ تَحَقَّقَتْ فِيهِ مَاهِيَّةُ الصِّلَةِ وَهِيَ الْكُفْرُ وَالْمَوْتُ على الْكفْر**" [2].

فقد جاءت هذه الجملة في صيغة التأكيد بحرف التأكيد (إنَّ) لِبيان أنَّ وعدَ الله حق في تحريم المغفرة على الذين يموتون على الكفر، قال أبو السعود: "حُكْمٌ يُعمُّ كلَّ من ماتَ على الكفر" [3].

يبدو للباحِث: أنَّ من ماتَ على الكُفرِ يستلزِم دخول النَّار، والسَّبب: أنَّ مغفِرة الذُّنوب تُوجِب دخول الجنَّة لصاحِبها، وبالتالي من ماتَ على الكفر مصيره جهنَّمَ والعياذُ بالله، وهذه إشارة لكلِّ مَن أغرتهُ الدُّنيا بمتاعِها وأهوائها، ودعتْه لارتكاب النَّواهي والمُهلِكات، بسرعة الرجوع إلى الله قبل فواتِ الأوانِ، قائلاً: جئتُ إليكَ ربِّ تائباً منيباً طَمعاً في رضاك، مستأنِساً بقوله تعالى: **﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه: 84).**

المطلب الخامس: أسلوب ضرب الأمثال

تعريفه: قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حُكِي فيه، بحالِ الذي قِيل لأجلِه، أي يشبه مضربه بمورده [4].

(1) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص790 .
(2) التحرير والتنوير، ج26، ص129 .
(3) تفسير إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ج8، ص102 .
(4) مباحث في علوم القرآن لِمناع القطان، ج1، ص291 .

من خلالِ تتبُّع الجُمل في الآياتِ التي ذُكِرَت في سياق التوجيهاتِ التربويَّة العقَديَّة في سورة محمد، تبيَّن لي، أنَّ الجُملة التي وُرِد فيها أسلوب ضرب الأمثال هما آيتان، وهما على النحو الآتي:

أولاً: قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾(محمد: 3)**

بدأت الآية باسم الإشارة (ذلك) وهي إشارة إلى أحوال الفريقين الكافرين والمؤمنين، وبيان جزاء كل فريق منهما، يقول الزمخشري مُوضحاً ضرب الأمثال في هذا الموضوع، في قوله: " فإن قلت: أين ضرب الأمثال؟ قلت: في أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار، واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين. أو في أن جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين" (1). وفي هذا إشارة بضرورة العبرة والعظة من مصير ومآل كل فريق سواءً في الدُّنيا وما بيَّنَه الله لهم في الآخرة من جزاء، قال تعالى: **﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: 7)**، في ذلك إشارة إلى الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكه الإنسان، فهما طريقان، إمَّا طريقُ الجنَّة فهي خاصةٌ للمؤمنين الصابرين الصادقين، وإمَّا طريق النَّار للطُّغاة من الكافرين والمنافقين.

أقول: فضرب الأمثال يساعد في تقريب المعاني إلى عقول الناس، بصورة واقعيَّة وتشبيهات مناسبة تستقر في الأذهان، وهذا من شأنِه تقبُّل النفس للأخذ به، فهو بليغ في الموعظة ويشجع المستمع على قبولها، ما يؤدي إلى توسيع أفق التفكير عند المستمع والقارئ، يبيِّنُه القرآن بصورة حسِّية، وكأنَّ الجزاء مُشاهَد رأي العَين لكي يعتبِرَ الناس به.

ثانياً: قوله تعالى: **﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (محمد:15)**

---

(1)الكشاف للزمخشري، ج4، ص316 .

يتَّضح للباحث من خلال هذه الآية بيان وصف جمال ومحاسن الجنة التي وعدَها الله لعباده المتقين الذين اتبعوا سبيل الحق واجتنبوا سبيل الشيطان، هي الجنَّة صاحبة البساتين الرائعة والنعيم الدائم والخلود الأبدي، قال الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى قوله تعالى: **﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾**؟ قلت: هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار؛ لانطوائه تحت حكم كلام مصدّر بحرف الإنكار، ودخوله في حيزه، وانخراطه في سِلْكِه، وهو قوله تعالى: **﴿أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ (محمد:14)**، فكأنه قيل: أَمَثَلُ الجنة كمن هو خالد في النار، أى كمثل جزاء من هو خالد في النار" [1] . ثمَّ شرعَ بذكرِ أنواعِ الأنهار الجارية بصنوفِها المختلفة من المشروبات بألوانِها الخلَّابة، قال ابن عاشور: "فأما إطلاقِ الأنهار على أنهار الماء فهو حقيقة، وأما إطلاقِ الأنهار على ما هو من لَبَن وخمر وعسل، فذلك على طريقة التشبيه البليغ، أي مماثلة للأنهار"[2] .

وللنَّظِر في آيات الله عن أحوال المؤمنين نجد فرقاً كبيراً بين مَن يرتقي بدرجاتِ الجنَّة نحو المعالي وصولاً إلى الفردَوسِ الأعلى، وبين مَن يُلقى به في دركاتِ جهنَّم وصولاً إلى قعرِها، "فالخلودُ صفةٌ مشتركة بين أهلِ الجنَّة، وأهلِ النَّار، ولكن شتَّان ما بين النَّوعَين، الأوَّلون خالِدون في النَّعيمِ المُقيمِ، والآخرون خالِدُون في العذابِ الأليمِ" [3] .

أقول: جاءَ ضرب المَثل هنا، لِيُظْهِر عدم تسوية أصحاب النار، وأصحاب الجنَّة .

([1])الكشاف للزمخشري، ج4، ص321 .

([2]) التحرير والتنوير، ج26، ص96 .

([3]) تفسير المنير، ج26، ص104 .

المطلب السادس: أسلوب التحذير والترهيب

تعريفه: والترهيب وعيد، وتهديد بعقوله تترتب على اقتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت، والعظمة الإلهية، ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي [1].

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكِرت في سياق التوجيهات التربوية العقدية في سورة محمد تبيَّن لي أن الجملة التي ورد فيها أسلوب التَّحذير والترهيب هي آية واحدة، وهي على النحو الآتي:

قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ (محمد: 10)**

جاء السياق في هذه الآية ليُبيِّن ما حدَث للأقوام السابقة والأمم الغابرة وما حلَّ بهم من تدمير، وهدم لبيوتهم وفقدان للأهل والأولاد، في ذلك تحذير ووعيد وترهيب للكافرين وكل من سَلكَ سبيل الأقوام الغابرة [2].

وقد ذكرَ القرآن الكريم العقوبة والعذاب في صيغة التهديد والترهيب للتَّحذير من مخالفة شرع الله وعدم قَبول الحق والانقياد إليه، والسؤال الذي يطرح نفسَه، هل إنَّ الله يعجِّل بالعقوبة للكافرين دون إنذارهم؟ **أقول:** إنَّ من رحمة الله بعبادِه أن أرسَل الأنبياء ليُبَلِّغوا الناس الدِّين ويُذَكِّرونَهم بالله، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: 24)**، وفي الحقيقة أنَّ اللهَ ذو رحمةٍ واسِعةٍ؛ إذ لا يُعاجِل الناس بالعقوبةِ رغمَ الإفراط في المعصيةِ فلا يكون ذلكَ سبيلاً للناس بالاغترار بسعة رحمةِ الله، فإنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ للمؤمنين التَّائبين، ولكنَّه شديدُ العقابِ على كلِّ مَن طغى وتجبَّر وتكبَّر وبارزَ اللهَ في المعصية، قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف: 167)**. وهذا جَمْعٌ بين التحذير والوعيد، تحذير للكافرين ومَن نهجَ نهجَهم أن يتَّعظوا ويعتبروا ممن كان قبلهم ورسالة لهم بأن يرجِعوا إلى الله ويمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه، ووعيد لهم أيضاً حال استمرارهم على الكفر والبغي سينالُهم ويصيبهم ما أصاب الأقوام الغابرة في الدنيا بالدَّمار والاستئصال، وهلاك وعذاب نافذ في الآخرة .

(1) أصول التربية الإسلامية وأساليبها لعبد الرحمن النحلاوي، ج1، ص231 .
(2) انظر: أيسر التفاسير، ج5، ص76 .

المطلب السابع: أسلوب الاستفهام

تعريفه: طلب الفهم، وهو طلب العلم بشيء لم يكُن معلوماً من قبل بأدوات خاصة، وهي الهمزة، هل، مَن، ما، كيف، كم، أين، أيَّان، متى، أنَّى، وأي [1] .

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكِرت في سياق التوجيهات التربوية العقدية في سورة محمد تبيَّن لي أن الجملة التي ورد فيها أسلوب الاستفهام هما آيتان، وهما على النحو الآتي:

أولاً: قوله تعالى: **﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد: 14)** .

جاء سياق الآية؛ ليُوضِّح حجم التَّبايُن والاختلاف الظَّاهر بين المؤمنين والكافرين، فهو استفهام انكاري؛ إذ يُنكِر عليهم تسوية الحق بالباطِل [2]،

مِن المُلاحَظ أنَّ أسلوب الاستفهام قد جاء في القرآن الكريم بمعاني كثيرة، وذلك حسب موضعه من خلال السياق، فالخطاب في التعبير القرآني بهذا الأسلوب؛ إذ يخبر المولى ﷻ بأنَّه لا يستوي مَن هو على بصيرة من أمرِ دينِه علماً وعملاً، وَمَن هو أعمَى القلبِ، فهو سجين هواه، وأسير دنياه؛ إذ تدعوه نفسه لاتباع الشهوات والأهواء، فيراها حسنةً. قال الزمخشري: "**فإن قلت: فلم عرّى في حرف الإنكار؟ وما فائدة التعرية؟ قلت: تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوّى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه، وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجرى فيها تلك الأنهار، وبين النار التي يسقى أهلها الحميم** [3]. فالآية فيها حثٌّ نحو التبصُّر بأمور الدِّين، وحصول البصيرة يحتاج إلى نور، والنور موجود في كتاب الله ومنهجه الواضح، فالذي يتبع المنهج الإلاهي يستنير به، والذي يتبع هواه يضل به.

ثانياً: قوله تعالى: **﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ (محمد: 18).**

---

[1] البلاغة جامعة المدينة، ج1، ص373 .
[2] التحرير والتنوير، ج26، ص95 .
[3]الكشاف للزمخشري، ج4، ص321 .

جاء سياق الآية ليُشير إلى النَّاس الذين اغترُّوا بالحياة الدنيا وشغلتهم أموالُهم وأنفسهم عن طاعة الله والإيمان به، والمقصود بهم الكافرون والمنافقون؛ لأنَّ السياق يدورُ بالإنكار عليهم؛ إذ لا يفلتون من العقاب، وقد ذكر ابن عاشور في الغرض من الاستفهام: "والاستفهام إنكار مشوب بتهكُّم، وهو إنكار وتهكم على غائبين" [1]. إنَّ في عمومِ هذه الآية الكريمة بياناً على أنَّ لكلِّ بداية نهاية، ونهاية الحياة هي الموت، ونهاية النَّعيم الزوال، فالإنسان يسعى في الدُّنيا لتحقيق رغباتِه وأهوائه، كم تجد مِن النَّاس اشتغل عاملاً في مؤسَّسة ربحيَّة لم يُراعِ مخافة الله ولا عظمته في قلبِه فبقي يغشُّ في عملِه طوال وقتِه، فكيفَ يكون حالُه ومصيره حينما يكتشفه صاحب العمل؟ فالمُحسِن لابدَّ من مكافئته، والمسيء لابد من معاقبتِه وطَردِه وإلاَّ تنهار المؤسَّسة وتفشل؛ لمساواة المُحسِن والمسيء بمقدار واحد، وكم تاجراً كدح وتعب في تجارته، بغية جمع الأموال والربح، فأحصى مالَه قُبَيل وضعه في تجارة لأموال غير مشروعة، وصولاً إلى نتائج غير متوقعة، إذ يسارعه خبر الخسارة المُفاجئ، فكيف يكون حاله حينئذ؟ فلا ينفع النَّدَم وهكذا فكيفَ يكونُ حال العُصاة الذين سارعوا إلى الذُّنوب حين تُباغتهم فُجاءة الرَّحيل عن الدُّنيا واستقبال أوَّل منازل الآخرة؟.

أقول: لابد من اغتنام الوقت وانتهاز الفرصة قبل فوات الأوان.

---

[1] التحرير والتنوير، ج26، ص102 .

الفصل الثاني

التوجيهات التربوية المستنبطة من مواقف المنافقين وأساليبها من خلال سورة محمد

المبحث الأول : تقلُّب المنافقين في أحوالِهم

المطلب الأول : أحوال المنافقين مع القرآن

قبلَ البِدءِ والشُّروعِ في تفصيل أحوال المنافقين مع القرآن من خلال سورةِ محمَّد، لا بُدَّ من بيان حقيقة النِّفاق في اللغة والاصطلاح:

1 . **النِّفاق لغة:** "بعد الرُّجوع إلى معاجم اللغة، تبين أن كلمة نفاق تأتي بمعنى: إِخْفَاءِ شَيْءٍ وإغماضِه" [1].

2 . **النِّفاق اصطلاحاً:** قال ابن كثير: النفاق: هو "إظهار الخير وإسرار الشر" [2]. وقال الرَّاغِب: النِّفَاق: وهو "الدّخولُ في الشَّرْعِ من بابٍ والخروجُ عنه من باب" [3].

أمَّا المنافق: "هو الذي يضمر الكفر اعتقادًا ويظهر الإيمان قولًا" [4] .

وقد أخبَر المولى ﷻ في كتابِه الكريم عن أحوال المنافقين ومَحلِّ إقامتهم في صفوف الأمة الإسلاميَّة، وبيَّن حقيقة تواجدهم ومدى عدائهم للإسلام؛ لكي يتجنَّبَهم المسلمون، ويحذروا طريقهم، فإنَّهم لأشدُّ خطراً من الكافرين على أمة الإسلام، إذ إنَّ صفاتَهم من أقبَح الصِّفات التي يتَّصف بها البشر وأرذلها وأشدُّها خطراً، والسَّبب في ذلك يرجع إلى ضعفِ إيمانِهم، وبعدِهم عن تعاليم الإسلام وتطبيق أحكام القرآن، حيثُ إنَّ المؤمنين الصادقين يبحثون عن أيِّ أمْرٍ ينزِل من عندِ الله ﷻ ليطَبِّقوه طمعاً في ثوابِه وتحقيق رضاه، بعكس المنافقين الذين يبغضون ما أنزَل الله

([1]) مقاييس اللغة، ج5، ص454 .

([2]) تفسير ابن كثير، ج1، ص176 .

([3]) المفردات في غريب القرآن، ج1، ص819 .

([4]) التعريفات، ج1، ص235 .

ﷺ لاسيما آيات الجهاد، والحثُّ على قتال الأعداء، قال تعالى: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: 20)**، فإذا نزَلَت آيات القتال والجهاد في سبيل الله تحُضُّهم على قتال المشركين والكفار، تجِد الذين في قلوبهم مرض، قال القرطبي: أَيْ "شَكٌّ وَنِفَاقٌ" [1]، كأنَّ أعيُنهم شاخصة خوفاً ورُعباً من الموت. أمَّا المؤمنون بالله فيشتاقون لِنزول آيات الجهاد، ويحرصون عليها؛ لينالُوا رضا الله وثوابه.

فكيفَ لهؤلاء المنافقين أن يفهمُوا آيات الله والتي تُرغِّبهم في الجهاد في سبيل الله، وهم كارهون لما أنزل الله؟ أقول: إمَّا أنَّهم لا يعقلون آيات القرآن، أو عَدَم استعدادهم لقَبولِ الآيات بسبب إغلاق قلوبِهم ابتداءً، ثمَّ لإضمار الكفر في القلب، قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)**، يقول سيد قطب: "وتدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير. وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير، فأَقْفالُ قلوبهم تحول بينها وبين القرآن" [2].

بعد التَّعرُّف على معنى النفاق في اللغة والاصطلاح، وموقف المنافقين من سماع القرآن، **سيتناول الباحث هذا الموضوع بإيجاز، مبيِّناً أنواع النفاق وأقسامه، وصفات المنافقين في القرآن:**

أولاً: أنواع النفاق:-

ذكرَ ابن كثير أنَّ النِّفاق: "اعتقاديٌّ، وهو الذي يخلّد صاحبه في النار، وعمليٌّ وهو أكبر من الذنوب" [3].

1 . نفاق اعتقادي يُخرج من الملَّة، من صورِه: بُغض النبي ﷺ وتكذيبه، وتكذيب ما جاء به، والمسرة بانخفاض دِينِه، والفرح لهزيمة المؤمنين، وكراهية نَصرِهم [4]. فهو الذي يُظهر الإيمان،

([1]) تفسير القرطبي، ج16، ص243 .
([2]) انظر: في ظلال القرآن، ج6، ص3297 .
([3]) تفسير ابن كثير، ج1، ص176، عند تفسير (آية: 8) من سورة البقرة .
([4]) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنَّة، ج1، ص94 .

ويبطن في قلبه خلاف ذلك، صاحبه مُخلَّد في الدَّرك الأسفل من النار، قال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (النساء: 145).**

واعلم: أنَّ الكفر أعمُّ من النفاق، فَإِذَا ذُكِرَ الْكُفْرُ شَمِلَ النِّفَاقَ، وَإِنْ ذُكِرَا مَعًا كَانَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا مَعْنًى، وقتها يتبيَّن أَنَّ الْكَافِرَ مَنْ أَظْهَرَ كُفْرَهُ، وَالْمُنَافِقَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِه [1].

2 . **النفاق العملي: لا يُخرِج من الملَّة**، ومن صورِه: الأعمال الظَّاهرة التي تُخلِف العَمل الصالح، مثل: التحدُّث بالكذب، وخيانة الأمانة، وإخلاف الوعد [2]، قال رسول الله ﷺ: **(أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر)** [3].

بهذا يتبيَّن أنَّ النفاق العملي لا يخلِّد صاحبه في النار، لأنَّه في هذه الحالة يكون مسلماً في الظاهر والباطِن؛ لكن يتوجَّب عليه التوبة والرجوع إلى الله والعودة عن هذه المعصية،

ثانياً: أقسام النفاق:

1 . **نفاق أكبر** يُخرج من الملّة لمنافاته أصل الدين بالكليَّة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة: 1).**

2 . **نفاق أصغَر**: يُنقِص الإيمان وينافي كمالَه، ولا يُخرِج صاحِبه منه [4]، قال رسول الله ﷺ: **(آيَةُ المُنافِقِ ثلاث، إذا حدَّثَ كَذَب، وإذا اؤتُمِنَ خان، وإذا وعَدَ أخلَف)** [5] .

ثالثاً: صفات المنافقين في القرآن:

لا شكَّ أنَّ في القرآن الكريم آيات كثيرة تحدَّثت عن صفات المنافقين، وقد أنزلَ المولى ﷻ سورة كاملة سُمِّيت سورة المنافقون، لذا سيذكُر الباحِث بعض هذه الصفات وأهمُّها التي لها علاقة بالموضوع، مع عدَم الإسهاب في تفصيلها:

---

(1) انظر شرح العقيدة الطحاوية، ج2، ص453 .

(2) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنَّة، ج2، ص94 .

(3) صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب علامة المنافق، ح 34، ج1، ص16 .

(4) انظر: شرح أصول السنَّة للإمام أحمد، ج1، ص41 .

(5) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح 33، ج1، ص16 .

1 . عدَم فُهم آيات القرآن، قال تعالى: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد: 16).** فهم لا يحتملون قراءة القرآن ولا سماعَه، فكيف بهم يلتزمون بأحكامِه وتعليماتِه؟ رُبَّما حَمْلُ الأثقال والأحجار العظيمة على ظهورِهم أهْوَن عليهم من سماع آيات القرآن أو تلاوتِه.

2 . الخوف العظيم من نزول آيات القتال، قال تعالى: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: 20).** فكيف بهم يذكرون اسم الله على ألسنتِهم؟ تجِدُهم لا يحتَمِلون أحداً أن يُذكِّرهم بالله، فقلوبهم فارغة من الإيمان، وعدم محبَّتهم للرحمن .

3 . إغلاق قلوبهم عندَ قراءة القرآن، قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)**، لذا حالُهم حالُ الكفَّار في سماعِهم للقرآن ومحاربته، ويحبُّون قوانِين البشر التي تستجيب لأهوائهم، وتتوافَق مع مصالِحهم ، يقول الرازي: "فشتان بين من حفظه بنفسه، وجمعه فِي صدره، وتدبره من قلبه، وتلاه فِي كل أوان أزاده، وعلى أي حال أحبه فِي النور والظلمة والهواء والماء، وبين من عميت بصيرته كَمَا لا يتمكن من قراءته ولا التفكر فِيهِ، ولا التدبر المأمور بِهِ إلا فِي الرجوع إلى غيره فِيهِ، وانقطعت عَلَيْهِ سبل الاتباع والاتعاظ والتفكر والتدبر عِنْدَ عدمه" [1].

المطلب الثاني: أحوال المنافقين مع الرسول ﷺ

حذَّر القرآن من المخاطِر التي تترتَّب على وجود المنافقين في دولة الإسلام، وبيَّن خطورتهم الواضحة على المجتمع الإسلامي عموماً؛ إذ إنَّ خطورتَهم أشد على المسلمين من خطورة الأعداء، وإيذاءهم أقسى وأشد، بمعنى أنَّ عداء اليهود والكفار ظاهرة وبيِّنة، وعداء

([1]) فضائل القرآن للرازي، ج1، ص48 .

المنافقين في خفاء، قال تعالى: **﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ (المنافقون: 4)**، لذا وجَب على المسلمين أن يتَّقوا شرَّهم، والانتباه لمكرهم، والحيطة والحذَر من كيدِهم، فقد فضحَهم الله تعالى، وبيَّنَ ملامحهم وسماتُهم للنبي ﷺ، قال تعالى: **﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 30)**، فهم معروفون عند النبي ﷺ بصفات وسمات واضحة في وجوههم، فلا بُدَّ أن يُخرجوا على ألسنتهم ما في قلوبِهم، "فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر"[1].

وليحذر المنافقون من غضبِ الله وسخطِه عليهم، إذ إنَّهم يعانِدُونَ النبي ﷺ ويخالفونه قصداً عن إصرارٍ وعمَدٍ، وهذا العناد لا يُفيدُهم شيء، ولا ينقِص من عظمة الله وقوتِه، بل سيُبطِل كل أعمالَهم التي كانوا يبذلون قصارى جهدِهم في معاونةِ أهل الباطل، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 32)** .

سيتعرَّض الباحِث في هذا الموضوع إلى قضيَّتين لهما من الأهميَّة بمكان .

أولاً: الإخبار عن صفات المنافقين ومعرفتهم دليل واضح على صدق نبوة محمد ﷺ .

أخبَر النبي ﷺ بأحوال المنافقين وأهَم صفاتِهم والسمات التي تميَّزوا بها، وأقوالِهم المتعددة؛ حيث إنَّ النبيَّ ﷺ بشَر، فكيف عَلِم بصفاتِهم وميَّزهُم عن غيرهم من المؤمنين الصادقين ظاهراً وباطِناً؟ فإنَّ الذي أخبَرهُ وأعلَمَه بذلك هو الله، قال تعالى: **﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد: 30)**، وإلَّا كيف به أن يعلَم سِرَّ المنافقين وشرَّ كيدَهم الدَّفين، وكيف به أن يشعُر بوجودِهم في المدينة بداية تأسيس الدَّولة الإسلامية، ويُهيِّئ المجتمع لذلك؟ فلو لم يكن يُوحى إليه ما استطاع كشفَ أخبارِهم، والتَّعرُّف على صفاتِهم، فإنَّه لا يعلَم الغَيب إلَّا الله، قال تعالى: **﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: 65)**.

([1]) تفسير السعدي، ج1، ص789 .

ويتعجب المُسلِم في واقعنا اليوم من بعض النُّفوس المريضة الضعيفة، التي باعَت عرضها وشرفها ونفسها رخيصةً للاحتلال الصهيوني وغيره أعداء هذه الأمَّة الإسلامية، الذين لطَّخوا أيديهِم في دماء المجاهدين ، وانتهكوا حرمات المسلمين، إذ إنَّهم يضعون أيديهم يداً بيد مع العدو الصهيوني وغيره من الكفار، فوقعوا في وحلِ العمالة، والتخابُر مع الاحتلال الصهيوني، ضِدَّ إخوانِهم وأهلِ بلدهم، فمِن الصَّعب أن تكشف هؤلاء المنافقين، العملاء الجواسيس: هم عيون الاحتلال على المؤمنين المجاهدين، ويتم تقديمَهم للعدالة، حينِها خَسروا أنفسهم ودينِهم، والعدو لا يعتَرف بهم، إن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على صدق نبوَّة نبينا محمد ﷺ وصدق ما جاء به .

فمعرفة المنافقين لا تكون بالتخمين، وإنَّما هي وحيٌ من الله لنبيه محمد ﷺ، إنَّها تُبنى على الحقيقة والدليل والبرهان، كما يتم بيانه في قصة حاطب بن أبي بَلتَعة:

لمَّا هَمَّ النبي ﷺ على فتح مكة، جاء حاطِب ﷺ ليرسِل تحذيراً بواسطة امرأة إلى أهل مكة، يبلِّغهم بمجيء النبي ﷺ وعزمه على قتالهم، فأخبَر الله النبي ﷺ وأظهرَه على ذلك الكتاب، فأرسَل علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، رضوان الله عليهم للحاق بالمرأة التي تحمل الكتاب عند روضة خاخ [1]، فلحقوا بها وأخذوا منها الكتاب، فلما اعتذر حاطبٌ ﷺ، وما صدر ذلك منه عن كفر، وإنَّما قلبُه مطمئن بالإيمان، قال النبي ﷺ لأصحابِهِ: **(لقد صدقكم)**، وبرَّأه من النفاق بقوله: **(إنَّه قد شهِدَ بدراً، وما يُدريكَ لعلَّ الله أن يكون قد اطَّلع على أهلِ بدرٍ فقال: اعملُوا ما شئتُم، فقد غفَرتُ لكم)** [2] .

في هذه القصة دليل واضح على صدق النبي ﷺ، وصدق ما جاء به، إذ هو وحي من عند الله تعالى في أربعة أمور:

1 . عِلمُ النبي ﷺ بما قام به حاطب.

2 . معرفته بوسيلة الاتصال بين حاطب وأهل مكة، وهي امرأة، ليست رجلاً .

([1]) روضة خاخ: هو موضِع بين مكة والمدينة، شرح مصطفى البغا، صحيح البخاري ج4 ص89 .

([2]) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس ح 3007، ج4، ص59 .

3 . تحديد المكان الذي نزلَت به المرأة عند روضة خاخ .

4 . لقد أخبَره المولَى ﷻ بإيمان حاطِب، وتبرئته من النفاق .

إنَّ الأخبار الغيبيَّة بالمشاهِد والوقائع التي جاء بها النبي ﷺ وإخبارِه بأسماء المنافقين، والتعرُّف على صفاتِهم وأحوالهم، دليل واضح على صدق نبوَّتِه، بالدليل القاطع والبرهان السَّاطِع، كيف لا وهو يُوحى إليه من الله، قال تعالى: **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: 4).** بالتالي إن كانت الأخبار هي من عندِ الله، فمُحمَّد الذي أُنزِل عليه القرآن هو رسول الله.

ثانياً: أوَّل ظهور لِفئة المنافقين كان في العهد المدني .

بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، وقد دَخل الكثير من القبائل في دين الله ﷻ، رغبَةً وحُبَّاً بهذا الدِّين الجديد، الذي فيه العدل والرحمة، وتُخيِّم عليه الطَّمأنينة والسكينة، ويحفُّه الأمن والاستقرار، وتحيط به معاني الأخوة والمحبَّة، وتُظِلُّه عناية الرحمن، بعدها شكَّل النَّبي ﷺ جيشاً يستندُ عليه، ويُدافع به عن دعوتِه، فلا بد للحقِّ من قوة تحميه، حينئذٍ لم يكتفِ النبي ﷺ من عداء قريش والمشركين له، ولا من اليهود في المدينة، بل ظَهَرت قوةٌ حَقودةٌ ماكرةٌ تنصب له العداءَ، إنَّه عداءٌ من نوع جديد، لم يكن للمسلمين مثلَه في مكة، لعدم حاجة المنافقين لذلك، إذ هو حديثُ عهدِه، إنَّه عداءُ المنافقين للنَّبي ﷺ، فلم تظْهَر وجوه هذه الفئة من النَّاس إلَّا بعد غزوة بدر، فكان زعيم هذه الفئة الماكرة هو عبدالله بن أبي بن سلول –رأسُ المنافقين–، إذ لم يدخل في دين الله حبَّاً ورغبة، وإنَّما بسبب حقدَهُ على النبيِّ ﷺ وحسداً له، إذ كان يحلُم بمنصِب وجاه يتطلَّع له، وذهاب مكانتِه وجاهِه التي كان يسيطِر على المدينة قبل مجيء النبي ﷺ إليها.

قال ابن هشام في السيرة النبوية: "قدِمَ رسول الله ﷺ المدينة، وسيّد أهلها عبد الله بن أبيّ بن سلول العوفيّ، لم يختلف عليه اثنان سواء من الأوس أو الخزرج وقتها، حتى جاء الإسلام، وكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوّجوه، ثمّ يملكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ وهم على ذلك، فلمّا انصرف قومه عنه إلى الإسلام، ضغن (حقد)، ورأى أنّ رسول الله ﷺ قد استلبه ملكا، فلمّا رأى قومه قد أبَوا إلّا الإسلام دخل فيه كارها، مصرّا على نفاق وضغن" [1] .

([1]) سيرة ابن هشام، ج1، ص585 .

ولم يكن يفكر إلا في تشتيت المجتمع الإسلامي وتوهين كلمة الإسلام، وكان يوالي أعداءه، وكانت له اتصالات ببني النضير يؤامر معهم ضد المسلمين، حتى قال لهم: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ولئن قوتلتم لننصرنكم [1]. فأنزَلَ اللهُ قولَه: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (الحشر: 11- 12)** .

بهذا المشهد الأليم على النَّبي ﷺ وغضبِه من فعل المنافقين، وكأنَّ التاريخ يعيد بعضه، إذ إنَّ بعض المسلِمين من العَرب وغيرهم يقيمون علاقات وِدِّية مع الأعداء من اليهود وغيرهم، بدعوى مصالِح مشتركة، بل هي إبراز روح المحبَّة والمودَّة لهذا العدو، وهذا من شأنِه أن يتجرَّأ العدو في قَتل أطفال المسلمين الأبرياء ويستبيح دماءهم.

حتَّى قالَ بعضُ المنافقين في غزوةِ الأحزابِ: (كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط) [2].

إنَّ من هديِ النبي ﷺ المعاملة بالحسنى مع الجميع المؤمنين والمنافقين وغيرهم، حرصاً منه على هدايتهم وإصلاحهم .

قال ابن القيم: "أما سيرته ﷺ في المنافقين، فإنه أُمر أن يقبل منهم علانيتهم، ويكِل (يترك) سرائرهم إلى الله، وأن يُجاهدهم بالعلم والحجة" [3].

([1]) الرحيق المختوم، دور المنافقين قبل غزوة بني المصطلق، ج1، ص300 .

([2]) انظر: المرجع السابق ص284 .

([3]) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيِّم، ج3، ص145 .

المطلب الثالث: أحوال المنافقين مع المؤمنين

إنَّ المنافقين يسعون دائماً لإرضاء الكافرين الأعداء، بحُسن ملاطفتهم والتودُّد إليهم ومحبتهم وموالاتِهم، رغمَ بُغضِهم وشدَّة عداوتهم، مع ذلك يتمنُّون زوال دولة الإسلام والقضاء عليه، طَمعاً بما عند العدو من النَّعيم الزائل، فُهم مهزومون خاسرون بإذن الله، فخاب أملهم وطاشَ سهمُهم، والخزي والعار لهم، خسِروا الدُّنيا والويلُ لهم في الآخرة. إنَّ سبب إفساد المنافقين في الأرض، يرجع إلى تولِّيهِم عن التحكيم لشرع الله، والبُعدِ عن تعاليم القرآن، قال تعالى: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: 22)**. فهذه إشارة لهم إن تولَّوا عن تنزيل الله ﷻ، وفارقوا أحكام القرآن، وأدبروا عن محمد ﷺ وعما جاءَ به، أن عصوا الله في الأرض، فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء وَتُقَطّعُوا أرْحامَكُمْ وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرّق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألّف به بين قلوبكم[1].

ويتبين أنَّ الالتزامَ بأحكام القرآن، والانصياع لأوامِره، يبعَث في نفوس المؤمنين المصلحين الحُبُّ والأمَلُ وعدم اليأس، ويدعو إلى التَّجمُّع والتآلُف بين المسلمين، فهذه سماتُ المؤمنين يتحلَّون بها؛ إذ تنتشِر المحبَّة في قلوبهم، ومشاركة إخوانِهم في مناسباتِهم أحزاناً وأفراحاً، فيفرحوا بفرحهم، ويتألَّموا ويحزنوا لحزنِهم، مع مواساة فقيرهم، والدِّفاع عن ضعيفهم ومناصرتِه، قال رسول الله ﷺ: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه)** [2].

ينبغي الاهتمام بأحوال المؤمنين والوقوف بجانِبهم، وتحقيق مبدأ التكافُل والترابط بينهم، أهُو خيرٌ أم الذين يتصنَّعون بمكارِم الأخلاق رياءً وشهرة وسمعة أمام النَّاس؟ بالرغمِ من إضمار وإخفاء العداء لهم، وبث روح اليأس والوَهم والهزيمة في نفوس المسلمين .

إنَّ أهميَّة هذا الموضوع تكمُن في ضرورة التعرُّف على صفات المنافقين الذين ينصبون العداء في الخفاء للمسلمين، ويركِّزون على الأخطاء .

([1]) انظر: تفسير الطبري، ج22، ص177 .
([2]) صحيح البخاري، كتاب المظالِم، باب تشبيك الأصابع في المسجد، ح 481، ج1، ص103 .

بناءً على ذلك سيذكر الباحث بعض أحوال المنافقين مع المؤمنين، منها:

1 . إفساد المنافقين في الأرض، ويظُنُّون أنَّهم مصلِحون بإظهار بعض العبادات كالصلاة وقراءة القرآن، ومكارم الأخلاق من فعل الخير بإطعام الطعام، وصلة الأرحام، قال تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 11– 12).**

2 . موالاة الكافرين والتقرُّب إليهم، بهدَف إرضائهم، قال تعالى: **﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا* الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: 138– 139)**، فهم يحبون أن يجلِسوا مع اليهود خوفاً منهم وطمعاً، ولكن إن جلَسوا مع المؤمنين للإصلاح وقتها يضعون الشروط والعراقيل والعقبات، قال سيد قطب: " فإن كان المسلمون في شدة ظهروا بعدائهم وجهروا ببغضائهم وإذا كانوا في رخاء ظلت الدسائس سرية والمكايد في الظلام" [1]. كما يقال: أَسدٌ علَيَّ وفي الحروب نعامَةٌ.

3 . بغض المؤمنين وعدَم محبَّتِهم، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران: 118)**، فهذا تحذير للمؤمنين بأنَّ المنافقين لا خير فيهم أبداً، فهم يسعون في مخالفة المؤمنين، وإفشاء وكشف أسرارهم، ويضمرون ويخفون العداء لهم، فيصدُّون عن سبيل الله بكل السُّبُل والوسائل المتاحة من المكر والخديعة، بل يدافعون عن العدو بكل ما أوتوا من قوة وطلاقة لسان، وربما يصل بهم الحد أن يتحدَّثوا نيابة عن العدو، وقدوتُهُم في ذلك عبدالله بن أبي بن سلول –رأس المنافقين–.

4 . نشر الإشاعات المرجفة الكاذبة، لتثبيط الناس عن الجهاد، وتخذيل المجاهدين، الأمر الذي يترتَّب عليه تهديد الأمن المجتمعي، والسِّلم الأهلي، قال تعالى: **﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورا﴾ (الأحزاب:12)** .

([1]) في ظلال القرآن، ج6، ص3294 .

5 . الفَرح والسرور لِما يصيب المسلمين من كُربات ومِحَن، بل ويحزنون من كل البُشريات والانفراجات التي تأتي على المسلمين، قال تعالى: **﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران:118)** .

المطلب الرابع: أحوال المنافقين مع الكافرين

عقَّبَ الله ﷻ في القرآن الكريم عن مواقِف المنافقين مع الكافرين، وموقفهم السَّلبي تجاه المؤمنين بآياتٍ كثيرة، فهو موضوعٌ كبيرٌ واسع النطاق، يُمثِّل قضية من أخطر قضايا القرآن، لِما له من أهميَّة جليلة تكمُن في معرفة الخطَر الكبير الذي يترتَّب على المجتمع الإسلامي من الفساد العظيم، وأثَره على المؤمنين، والسبب في شدَّةِ انحدار المنافقين إلى الحضيض في مُوالاتِهم للكافرين، قال تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (محمد: 26)**، ويرجع ذلك الضلال لِبعدِهم عن منهج الله تعالى ابتداء، ثم لموالاة اليهود من بني قريظة والنضير وتآمُرهم سرا على المؤمنين[1] .

وللعلم، هذا هو حال المنافقين وديدنهم في مَدى قُربِهم لإخوانِهم الكافرين من اليهود وغيرِهم في كل زمان ومكان، "واليهود في المدينة هم أول من كرهوا ما نزل الله لأنهم كانوا يتوقعون أن تكون الرسالة الأخيرة فيهم" [2]. كيف لا وهم الذين يتستَّرون بالكفر، ويشنُّونَ الحروبَ والكيد على المؤمنين خِفيَةً وسرَّاً فهم لا يعلمونَهم ولكنَّ الله يعلمهم .

إذن كيف ينفعهم هذا التَّآمُر والمكر تجاه المؤمنين، والله عَالِمٌ بحالِهم، وكاشِف أمرهم؟ قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ (النساء: 81)**. **أقول:** إنَّ مِلَّةَ النفاقِ واحدةٌ على مدار التَّاريخ، وتعاقُب الأزمِنة، وكأنَّ القرآن الكريم ينزِلُ للتَّوِّ في بيان مَكْرِ المَاكِرينَ، وتآمُر المتآمرينَ، فهم يشاركون الاحتلال الصهيوني في حصارِ المستضعفين المسلمين في غزة،

([1]) انظر: تفسير المراغي، ج26، ص70 .
([2]) في ظلال القرآن، ج6، ص3297 .

فخطرُهم كبير وَجِدٌّ خطير على الأمَّة الإسلامية عموماً، لما يترتب عليه من الفساد العظيم ما لا يخفى، فهم واليهود على حدٍّ سواء في عدائهم للمؤمنين المجاهدين .

ما الفائدة التي تترتَّب على قُربِهم وولائهم لليهود؟ **أقول:** أنَّ العدو الإسرائيلي لا يُمكن أن يُعطيهِم أيَّ مكاسِب سواء كانت مادية أو معنوية إلَّا بثمَن، والثَّمَن التنازل والخضوع والانكسار .

فإذا كان الكفار ينصبون العداء للمؤمنين سِراً وجهراً، فإنَّ المنافقين بكل تأكيد يكيدون ويمكرون للمؤمنينَ سِرَّاً وخِفيَةً، بالتالي خطَرُهم أكبر، وإيذاؤهم أمكَن، لاحتكاكِهم المباشر واختلاطِهم مع المسلمين، وعقابهم أشد؛ حيثُ إنَّهم كما أخبَر المولى ﷻ مجموعون مع اليهود والمشركين في جهنَّم وبئس المهاد، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: 140).**

فالعلاج يكمن في سرعة توبتهم وعودتهم إلى الله سبحانه وتعالى، بإيمانٍ ويقين خالِص، لا تشوبه شائبة ولا يعكره كدر، بِحُسنِ موالاتِهم للمؤمنين ومحبتهم، وذلك بتمسكهم بالمنهج الرباني المستقيم الواضح، فلا قيمة لهم ولا نجاة إلَّا بذلك .

إنَّ للمنافقين صفات كثيرة، كما عقَّبَ عليها القرآن الكريم، وبيَّنتها السنَّة المُطهرة، أذكر بعض هذه الصفات التي لها علاقة مباشرة بالموضوع، منها:

1 . من أشد وأخطر هذه الصفات هي: الكفر بالله، وعدم الإيمان بنُبوَّة محمد ﷺ، قال تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 13).**

قال الطبري: معناه، "آمنوا كما آمن الناس الذين تعرفونهم من أهل اليقين والتصديق بالله وبمحمد ﷺ، وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر" [1] .

([1]) تفسير الطبري، ج1، ص292 .

2 . من هذه السمات الخبيثة السيِّئة: الاستهزاء والسخرية بالرسول ﷺ وبالمؤمنين، قال تعالى: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة: 65- 66)**. وحيث إن خطر الكفار والمنافقين على الأمة الإسلامية عظيم لذا أمر الله رسوله بجهادهم فقال: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة:73)**.

يقول سيد قطب: "وظلت الحرب سجالا بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى أجلاهم في آخر الأمر عن الجزيرة كلها وخلصها للإسلام" [1] .

الخلاصة: لا بد للمؤمن أن يكونَ نبيهاً لمَّاحاً فطِناً في معرفة هؤلاء المنافقين من خلال صفاتِهم وشدَّة حيرتهم وتقلُّب أفكارِهم ومواقفهم بناءً على تحقيق المصالح، فهم ليسو مع المؤمنين إلَّا بالأقوال والأفعال الظاهرة، ولكنَّهم أقرَب للكافرين بقلُوبهم وباطِنهم، قال تعالى: ﴿ **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ (النساء: 143)** .

المطلب الخامس: أحوال المنافقين مع الشياطين

حذر الله عبادَه من خطورة اتباع الشيطانِ وخطواتِه، وطُرقِه التي يدعو بها، قال تعالى: **﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: 168)**. وفي ذلك نهيٌ جلي للناس عن السير في هذا الطَّريق وتحذيرهم، لأنه يؤدي إلى سرعة الرجوع عن دين الله وتركِه باتباع الشهوات. قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: 25)**. قال قتادة: (هم أعداء الله أهلِ الكتاب، وقيل: هُمُ أهل النِّفاق، وهذه الصِّفة بصفة أهل النفاق أشبَه منها بصفة أهل الكتاب) [2].

---

[1] في ظلال القرآن، ج6، ص3298 .

[2] تفسير الطبري، ج22، ص181 .

أقول: كلا القَولَينِ وارِد؛ لأنَّ المنافقين وأهلِ الكتاب قد نصبُوا العَداء للنَّبي ﷺ، وتربَّصوا به الدوائر، يقول الإمام ابن كثير مبيناً كيفية ارتداد المنافقين عن الدِّين بعد الإيمان، وقد زين لهم ذلك الكفر وحَسَّنَهُ في أعيُنِهِم، وغَرَّهُم في طولِ الأمَلِ [1]، وقال الجزائري مبيناً معنى إملاء الشيطان للناس:"أي واعدهم بطول العمر ومناهم" [2].

بذلك يظهَر لي أنَّ عاقبة اتباع مسلَك الشيطان فيما يدعو إليه وخيمة، هو الهلاك بفعل المعاصي والإشراك بالله، والخروج عن طاعته، والسبب أنَّ الشيطانَ عدوٌّ للإنسان، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر:6)**، فإن دلَّ ذلك على شيء فإنَّما يدُلُّ على حرصِ الشيطانِ لإغواء بني آدَم، وهذا من شأنِه أن يبعده عن منهجِ الرحمن، ويتَّضح من ذلك أنَّه لا فرقَ بينَ المنافقِ والشيطانِ كلاهما عدوٌّ للإسلامِ وحمَلةِ القرآنِ.

إنَّ الشيطانَ في وسواسِهِ يُزيِّن للإنسانِ الإيقاعِ في وحلِ المعصيةِ، ونقلِه من طريقِ الهدايةِ إلى طرق الضلالِ. قال قتادة: "كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان" [3]. وقال ابن عثيمين رحمه الله: "كل شيء حرمه الله فهو من خطوات الشيطان سواء كان عن استكبار، أو تكذيب، أو استهزاء، أو غير ذلك؛ لأنه يأمر به، وينادي به، ويدعو إليه" [4] .

بعد ذكر خطورة اتباع مسلك الشيطان والعاقبة الوخيمة التي ترتَّبت على استبدال طريق الرحمن بمنهج الشيطان، كان لزاماً على الباحِث كما شخَّص المَرَض، ينبغي أن يُعالِج المَرض والعَرَض على حدٍّ سواء، في خطوات عدة، منها:

1 . يجب على الإنسان المؤمن أن يعرِف عدُوَّه ابتداءً، والأخذ بأسباب النجاة، لكي لا يقع في وحلِ معصيتِه،، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: 101).**

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، ج7، ص320 .

([2]) أيسر التفاسير، ج5، ص85 .

([3]) الدر المنثور في التفسير، ج1، ص404 .

([4]) تفسير العثيمين، سورة البقرة، ج2، ص234 .

2 . التحَصُّن والالتجاء إلى ربِّ الأرض والسماء، مستعيذاً به من شرِّ الشيطان، قال تعالى: **﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ (المؤمنون: 97)** .

3 . مجاهدة النفس بطاعة الله وكثرة الذكر والاستغفار والدعاء، بذلك يكفيه الله شرور الشيطان، قال تعالى: **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (الزمر: 36)** .

4 . اليقين التام الجازم بأنَّ طريق الإيمان يوجه نحو الفضيلة وحسن الأخلاق، والنفاق يوجه نحو الرذيلة والمعصية والكفر والفساد .

المطلب السادس: أحوال المنافقين في الحرب

أمَرَ اللهُ تعالى المسلمين بضرورةِ الجهادِ في سبيل الله، لِكَي تكونَ كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، الأمر الذي يترتَّب عليه إخراج النَّاس من عبادَةِ العبادِ إلى عبادَةِ ربِّ العباد، وهو الله ﷻ، وكذلك ردُّ اعتداءات الكفار على بلادِ الإسلام وحماية المسلمين من شرِّهِم وكيدِهم، ما يؤدِّي إلى نشر الأمن والاستقرار في بلاد الإسلام، قال تعالى: **﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: 190)**. وهذا ما بيَّنَه رُبعي بن عامر ﷺ حينما ذَهب لِيُفاوضَ زعيم الفُرس رستم في غزوة القادسيَّة، فقال: **(اللهُ ابتعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَن شاء مِن عبادَةِ العِباد إلى عِبادةِ الله ﷻ، ومِن ضِيقِ الدُّنيا إلى سعتها، ومِن جورِ الأديان إلى عدلِ الإسلام، فأرسلنا بدينِه إلى خَلقِهِ لِندعوهُم إليه)** [1].

وبما أنَّ سورة محمد تتحدَّث عن جانِبِ القتال في سبيل الله، كان لزاماً على الباحِث أن يُبيِّن موقِف المنافقين حال الأمر بالجهاد في سبيل الله، الأمر الذي يُبيِّن مَدىَ الكذب والخداع الذي يُبطِنه المنافقون في قلوبهم، فهذا حالُهم إذ يتَّبعون شهواتِهم، وما تدعوهُم إليه أنفسهم، قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد: 16)** . إنَّه حالُ المنافقين في التكاليف العملية كالجهاد في سبيل الله، إذ يَشقُّ عليهم ذلك الأمر، ونظروا نظرة المصروع الذي يشخص بصره خوفًا وهلعًا[2]. إنهم فقدوا نور الصدق مع الله، قال تعالى: **﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: 40)**.

---

(1) البداية والنهاية، غزوة القادسية، ج7، ص47 .
(2) انظر: تفسير المراغي، ج26، ص64 .

إنَّ الجهادَ في سبيل الله، لهو تكليف شديد ثقيل على نفوس المنافقين، وكشف غموض الإيمان الذي يظهروه كذباً وخداعاً، حيثُ إنَّ الجهادَ في سبيل الله يقتضي حُبُّ المؤمنين في تقديمِ أرواحِهم وأموالِهم رخيصة من أجل الله ﷻ، وهذا من شأنِه بذل أقصى جهدِهم في تحقيق مرضاتِ الله ﷻ بالتضحية بالنفس والمال. وهذا على غيرِ مرادِ المنافقين الذين يتسَتَّرونَ بالإيمان، فهم يتذمَّرون من تكاليف العبادات العملية كالصلاة والزكاة، فتركُهم للجهاد من باب أولى، وفي الوقت الذي يتآمَر به جميع قوى البغي والكفر على المسلمين تآمُراً علنيَّاً، وتُحاك بحقِّهِم المكائد في وضَحِ النهار، فإنَّك تجِدُ المنافقين يسعَون لضربِ صَفُّ المؤمنين من الداخل، لضعفِ همَّتِهم، وخفضِ معنوياتهم، وتآكُل قوتهم، لِبَسطِ قوة الأعداء على أرض الإسلام، بغيَة تحقيق المكاسِب والمناصِب التي يتوقَّعون تحصيلها، وقد ذكَرَ صاحب الرحيق المختوم بما ملخصه، إنَّ للمنافقين دوراً بارزاً في المعارِك والحروب، في غزوة أحد وقبل بَدءِ المعركة، حيثُ إنَّ المسلمين يهيِّئون أنفسَهم لقتال العدو، وبعد طلوع الفجر أصبح المسلمون أمام جيش الكفر، إذ يرونَه ويرونَهم، وفي هذا المشهَد الصعب، وفي هذه الأوقات الحاسمة، حينِها تمرد عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين، فانسحب بنحو ثلث العسكر . ثلاثمائة مقاتل . قائلاً: (ما ندري علام نقتل أنفسنا)؟ ومتظاهراً بالاحتجاج بأن الرسول ﷺ تركَ رأيه وأطاع غيره، ولا شك أن سبب هذا الانعزال لم يكن هو ما أبداه هذا المنافق، وإنَّما هدَفهُ الرئيس في هذا الظرف الدقيق، أن يُحدِثَ البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين، ما يؤدي إلى ضعف همَّة المسلمين والمجاهدين، وانهيار معنوياتِهم، بينما يتشجع العدو، وتعلو همته لرؤية هذا المنظر، فيكون ذلك أسرع إلى القضاء على النبي ﷺ وأصحابه المخلصين؛ لكي تتحقَّق أمنية الرياسة إلى هذا المنافق وأصحابه[1]. وفي ذلك بيانٌ لِحقيقةِ المنافقين، إذ إنَّهم يُخفون في قلوبهم من الكيد والمَكرِ للمسلمين ما لا يخفى، خلاف ما تكلموا به من الإيمان، قال تعالى: **﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ (آل عمران: 167)** .

(1) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري، ج1، ص229 .

وقد وصَفَ اللَّهُ المنافقين في كتابِه وصفا دقيقاً، يدلّ على حقيقتهم، وإظهار تآمرهم وخِداعِهم للمسلمين، وجُبنِهم وقعودِهم عن الجهاد في سبيل الله، وفرارهم من ميدان المعركة، وإظهار البُخلِ الشديد الذي يمثِّل عصَب الجيش، من إعداد للمجاهدين، وتطوير عدَّتِهم، ومهاراتِهم القتالية، بل ختَمَ الله تعالى على قلوبهم القاسية المُقفلة بسبب نفاقهم، قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (محمد: 16)**، وقد ذكر صاحب التفسير المنير في بيان وصف المنافقين: "أي أولئك المنافقون هم الذين ختم اللَّه على قلوبهم بسبب نفاقهم، فلم يؤمنوا ولم يهتدوا إلى الحق، ولا اتجهت قلوبهم إلى شيء من الخير، واتبعوا شهواتهم وأهواء نفوسهم في الكفر والعناد" [1].

وقد أقبَلَ المنافقون على الدُّنيا وتمسَّكوا بحطامِها الزائل، وتركوا الجهاد في سبيل الله وانشغلوا عنه باتباع أهوائهم، وتحقيق رغباتِهم في غير رضوان الله، الأمر الذي يترتَّب عليه الذُّلَّ في حياتِهم، والشقاء في معيشتهم، فقد روى أبو داود بسنده عن ابن عمر ﷺ في بيان نتيجة ترك الجهاد، قال رسول الله ﷺ: **(إذا تبايعتُم بالعِينة، وأخذتُم أذنابَ البَقر، ورضيتُم بالزَّرع، وتركتُم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذُلَّاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينِكم)** [2] .

فهذه إشارة إلى المنافقين والسؤال ما هو المانع من التضحية وبذل الروح رخيصة لله ﷻ؟ وما الذي يؤخرُكُم عن القتال في سبيل الله شرَفُ الأمَّة الإسلامية وعزَّتها؟ **أقول:** إنَّ سببَ امتناعِ المنافقين عن الجهاد والتضحية في سبيل الله، يرجع لأمرين اثنين:

الأول: إمَّا امتناعهم لخوفِهم الشديد من الحَرب والموتِ لفراغِ قلوبهم من الإيمان. قال تعالى: **﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ (النساء:77)** .

الثاني: وإمَّا كُرههم للجهاد في سبيل الله، بالتالي هَلاكُهم أولى، فلا يُرجى منهُم منفعة، لحقدِهم الدَّفين على المسلمين، فوجُودُهم عبء كبيرٌ على الدَّولة الإسلامية، قال تعالى: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ**

([1]) تفسير المنير، ج26، ص109 .

([2]) سُنن أبو داوود، كتاب البيوع، باب النهي عن العينة، ح 3462، ج3، ص740، وقال الألباني هو حديث صحيح.

آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: 20).

المطلب السابع: سوء أحوال المنافقين والكافرين عندَ الموت

إنَّ مِن سنَّة الله في الكَونِ أن كتَبَ على خلقِه المَوت، فالكُلُّ سيموت ولم يبقَ إلَّا صاحِبُ المُلكِ والجبروت، قال تعالى: **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: 26– 27)**. والموت: إبانة الروح عن الجسد [1]. أو هي مفارقة الروح الجَسد حقيقة. إنَّها الحقيقة الغائبة التي لو عَلِمَ الإنسانُ ما يحِلُّ به أثناء الموتِ وبعدَه، لذرفَت العيون، ورقَّت القلوب، وصَلُحَت الأعمال، وازدادَ الإيمان؛ لكنَّ العبد الغافِل عن ذِكْرِ الله وطاعتِه، الجاحِد بآياتِ الله ورُسلِه، لا تنفعُه العِبرة، ولا تُصلحُه الموعظة، ولا يُرجى منه منفعة، وإنَّما تجِدُ منه الشرَّ والمَضرَّة، حينها كيف يكون موقفه عندَ الموت، قال تعالى: **﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (محمد: 27)**. هؤلاء المنافقون والكافرون الذين اتَّبعوا أهواء الشيطان وتأثروا به، فكيف يفعلون إذا جاءتهم ملائكة الموت لقبض أرواحهم على أقبح الوجوه وأفظعها، إذ في يوم الوفاة لا نصرة لهم ولا مفر [2] .

وفي هذا الصَّدد فقد يتركَّز الحديث في بيان سوء أحوال المنافقين والكافرين عندَ الموت؛ لذا أخبَرَ الله تعالى في القرآن الكريم، عن كيفيَّة توفِّي الملائكة لهؤلاء الذين يستمرُّون في الكَيدِ والعداءِ للإسلامِ وأهلِه، وقبضِ أرواحِهم؛ إذ إنَّهم يستهزؤون بآيات الله ويسخرون بها، فقد تضربهم الملائكة على وجوههم وأدبارهم ضرباً، وتبشِّرهم بعذاب الحريق، قال تعالى: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: 50)**، فالملائكة يقبضون أرواح الكافرين بأمرِ اللهِ لهم، بشدة وقسوة، دون رفقٍ ولين بلا رحمة

([1]) المفردات في غريب القرآن، ج1، ص1781 .

([2]) انظر: تفسير المراغي، ج26، ص70 .

ولا شفقة بهم، بل يضربونَهم بمقامع من حديد على وجوههم وأدبارهم، تعذيباً لهم جزاء كفرهم وعنادهم[1].

وفي هذا المقام يتواصَل الحديث عن الأسباب التي أدَّت بالمنافقين بأن يُصيبَهم هذا المصاب الأليم حين قبضِ أرواحِهم ونزعِها، والوصول بهم إلى هذا الحَد، بأشنع صورة، وأقبَح حال. "ذلك الضرب الأليم لهم من الملائكة عندَ قبضِ أرواحهم بسبب أن هؤلاء المنافقين قد اتبعوا ما يغضب الله ﷻ من الكفر والمعاصي، وبسبب أنهم كرهوا ما يرضيه من الإيمان والطاعة" [2] .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هؤلاء المنافقين والكافرين بخطَرِ وجودِهم؛ حيث إنَّهم أعداء للحجر والشَّجر والبَشر، حتى الدواب لم تسلَم من شرِّهم، فقد رُوي في صحيح البخاري من حديث أبي قتادة ﷺ قال: **(كنا جُلُوساً عندَ رسولِ اللهِ ﷺ إذ طَلَعَت جَنازَة فقال رسول الله ﷺ: مستريح ، أو مستراح منه، فقالوا: يا رسول الله: ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب)** [3]. يقول الإمام الرازي في بيان سبب العقاب الذي يوقعه الله على العُصاة، في قوله: "إِنَّمَا يَتَوَلَّدُ مِنَ العقائد الباطلة التي يكتسبها الْإِنْسَانُ، وَمِنَ الْمَلَكَاتِ الرَّاسِخَةِ الَّتِي يَكْتَسِبُهَا الْإِنْسَانُ" [4] .

فقد يُعجِّلُ الله للكافِرين والمنافقين العقوبة في الدُّنيا قَبلَ خروج الروح من الجَسد، فقسوةٌ في نزع أرواحِهم وشدة في الدُّنيا، وعذاب لا ينفذ في الآخرة، قال تعالى: **﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: 50)**، قال ابن تيمية: "وهذا ذوق له بعد الموت" [5] .

([1]) انظر: أوضح التفاسير، ج1، ص217 .

([2]) تفسير الوسيط لطنطاوي، ج13، ص242 .

([3]) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، ح 6512، ج8، ص117 .

([4]) مفاتيح الغيب للرازي، ج15، ص495 .

([5]) مجموع الفتاوى، ج4، ص267 .

وقد أخبَر الله ﷻ في القرآن الكريم، عن الجمع بين الكافرين والمنافقين في جهنَّم، في قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جميعاً﴾ (النساء: 140)**، فهذه إشارة لهم ورسالة ربَّانيَّة، "إنَّهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات يجتمعون في جهنَّم على العذاب" [1].

وكذلك كما أنَّ المنافقين الذين عاونوا الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين وأخذها عنوةً ورغماً عن أهلها، سيجمعُهم الله في الآخرة، في جهنم وبئس المهاد .

الخلاصة: بعد استعراض الشواهِد والأدلة في كيفية قبض أرواح الكافرين والمنافقين عندَ الموت، وسوءِ أحوالِهم، فقد خلُصَ الباحِث بنتيجتين:

1 . أنَّ سبب عقوبة المنافقين كَونَهُم أطاعوا أعداء الله، وكرهوا معاداتِهم .

2 . أنَّ نزعَ أرواح الكافرين والمنافقين بهذه الصورة، بضرب الوجوه والأدبار، هي حقيقة غيبيَّة من الأفضَل والأولى عدم السؤال على الكَيْفِ؛ لأنَّنا لم نُشاهِد الملائكة ولم نشاهِد المقامِع التي يضربون بها، مع الإيمان الصادق بوقوعِه .

المطلب الثامن: ابتلاء المنافقين مع الإنفاق في سبيل الله

إنَّ الإنفاق في سبيل الله صفة وعلامة يتَّسِم بها المؤمنون، لِعِلمهم أنَّ المال الذي بأيديهم هو مالُ الله ﷻ بلا شكٍّ أو ريب، بل إنَّهم مستخلَفون عليه، فيستهلِكون منه باعتدال لأنفسهم، ويتصدَّقونَ منه في وجوه الخير وعلى الفقراء مواساةً لهم، قال تعالى: **﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد:7)**.

أمَّا المنافقون فقد أُصيبوا بمرض يفسد القلوب، ومن أصيب به خسر الدنيا والآخرة، وهو البُخلُ [2] والشُّحُّ [1]، إذا ما أنفقوا ينفقون وهم كارهون غير راضين عن ذلك، وإنَّما ينفقون رياءً

---

(1) الوجيز للواحدي، ج1، ص296 .

(2) البخل: هو المنع من مالِ نفسِه، التعريفات الباء ج1 ص42 .

وسمعة، يَحسبون أنَّ اللهَ بحاجةٍ إلى أموالِهم، قال تعالى: **﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (محمد: 36)**. يقول ابن كثير مبيِّناً هذا المعنى: "أي: هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئا، وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساة لإخوانكم الفقراء، ليعود نفع ذلك عليكم، ويرجع ثوابه إليكم" [2] .

إنَّ الله ﷻ لم يفرِض وجوب الصدقات إلَّا لعلمِه مقدرة العباد عليها، فلا يسألهم أموالهم كلها، وإنما يسألهم بعض أموالِهم، وهو في الواقع تحصين للإنسان من المصائب، وكذا تحصين للأموال نفسها بأن يبارك الله بها، وفي الحقيقة الناس خلفاء لله في ماله [3].

ولِيعلَم المسلم أنَّ بهذا الإنفاق على الفقراء وفي أبواب الخير المتعدِّدة، كالجهاد في سبيل الله، وعلى مراكز تعليم القرآن، هو خير له في الدنيا والآخرة، بها يفرح القلب، وتزكو النفس، ويُطهَّر المال، أمَّا إن بخلَ في إنفاق المالِ باتجاهه الصحيح، فقد خَسِرَ الأجر والثواب في الآخرة، وربَّما يعطي مجالاً للأعداء بالغلبة عليه وعلى إهدار ماله وسرقتها، لِعدَم إنفاقه في سبُل الخير، لكي يستفيدَ منه المجاهدون في مقارعةِ الأعداءِ، والعمَل على تطوير القدرات والمهارات القتالية، وتقوية الترسانة العسكرية، لأنَّ الإنفاق من أُسُس بناء المجتمع الإسلامي، قال تعالى: **﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء﴾ (محمد: 38).**

عجباً لهؤلاء النَّاس! فقد أعطاهُم الله الكثير، ويبخلونَ عليه بالقليل، فالمولَى ﷻ يكافئ المؤمِن على إحسانِه، ويُعاقِب المنافِق على بُخلِه. "واللَّه هو صاحب الغنى المطلق المتنزه عن الحاجة إلى أموالكم، فهو الغني عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه دائما" [4]. عن أنس بن

([1]) الشح: أشد البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل، وقيل البخل مع الحِرص، النهاية في غريب الحديث شحح ج2 ص448 .

([2]) تفسير ابن كثير، ج7، ص323 .

([3]) انظر: التفسير الواضح، ج3، ص475 .

([4]) تفسير المنير، ج26، ص139 .

مالِك ﷺ قال: كان النَّبي ﷺ يقول: **(اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بِك منَ الهَمِّ والحَزَن، والعَجزِ والكَسَل، والجُبْنِ والبُخل)** [1].

يسعى الإنسانُ عادةً إلى جَمعِ وتحصيل الأموال، لِجلبِ قُوْتِه وقُوتِ أبنائِه، بتعَبٍ ومشقَّة بحسب طبيعة العمل، فحينما يأتيه التكليف بالإنفاق يشعر بالحرج وضيق الصدر، فيتذمَّر ويرفُض إعطاء الصدقة، فالمال محبوب للنفس، قال تعالى: **﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ (محمد: 37)** يقال: هذا للمنافقين يعني يظهر نفاقكم [2]، قال قَتَادَةُ: (قد عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ فِي إخراج الْأَمْوَالِ إخراج الأضغان) [3].

وقد أخبَر المولى ﷻ في كتابِه الكريم عن صفات ذميمة اتَّصف بها المنافِقون، وهي صفة البُخل، قال تعالى: **﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: 67)**، وفي بيان قوله عن بخل المنافقين من خلال قبض أيديهم، أربعة أقوال: أحدها: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله. والثاني: عن كل خير، والثالث: عن الجهاد في سبيل الله. والرابع: عن رفعها في الدعاء إلى الله [4]؛ فالمنافق الذي لا يؤمن بالآخرة ولا ثوابها كيف يشعر بقيمة ما يُنفِق؟ فالمسألة في نظره خسارة في المال، فهذا الرزق الذي يعطيه الله للمنافقين في الدنيا هو سبب في شقائهم وإذلالهم فيجعلهم يجمعون المال بعمل وتعب ثم ينفقونه بلا ثواب، أي: يخسرونه [5].قال تعالى: **﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: 54)**

المطلب التاسع: ابتلاء المنافقين وكشف أخبارهم وإحباط أعمالهم

كشف الله ﷻ في كتابِه أسرار المنافقين وذكَرَ أخبارَهم، وأظْهَرها؛ لِكي يبقى المؤمِن منهم على حذرٍ ويقظةٍ وانتباه، لِما يُشكِّل من خطر كبير على الإسلام وأهلِه، فهم منسوبون

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من الجبن، ح 6369، ج8، ص79 .

(2) بحر العلوم، ج3، ص307 .

(3) تفسير ابن كثير، ج7، ص324 .

(4) انظر: زاد المسير في علم التفسير ، ج2، ص276 .

(5) انظر: تفسير الشعراوي، ج9، ص5398 .

للإسلام ظاهِراً، وفي الواقع هم للكُفرِ أقرَب، وقد عَلِمَ المولى ﷻ صفاتِهم، وهتَكَ أستارَهم، حيثُ إنَّهم يتسَتَّرون بالإسلام، والإسلام منهم براء، قال تعالى: **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ* ولَوْ نَشَاء لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 29– 30)**. قال الزجاج: المعنى: "لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة وهي السيماء فلعرفتهم بتلك العلامة" [1]. فيُظهِر المولى ﷻ ما في قلوبهم من أحقاد للنبي ﷺ وللمؤمنين، وإظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم، وكانت صدورهم تغلى حنقاً عليهم، فيعرفهم النبي ﷺ بأعيَانِهِم توجيهاً من الله ﷻ، فلا يستطيعون إخفاءها لأنَّ الله يعلم ما في قلوبهم من الحقد والنفاق [2].

وأقول: إن كان ذلك حالُهم وديدَنَهُم، فلا تكاد تجِد منهم فائدة، ولا ترسخ في قلوبهم عبرة ولا عظة، فإن وُجِدُوا في دولَةٍ أو مدينةٍ يُفسدوا أهلها، ويكونوا سبباً في إهلاكِها، وإن قرأوا وصلُّوا وتصدقوا، فسرعان ما يخرجون من الدِّين، فهم يتقلَّبون بما يناسِب رغباتِهم، وتحقيق أهدافهم، في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبدالله ﷺ، قال النبي ﷺ: **(يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية)** [3].

وليَعلَم الناس أجمعون، أنَّ المنافقين موجودون في المجتَمَع الإسلامي في كل وقت، وإن اختلَفت الوجوه والأسماء، فهم أشد خطراً على الإسلام، حيثُ إنَّهم كانوا يُسرُّون النفاق في عهد النبي ﷺ، وفي واقعنا يُظهِرونه، لكن يربطُهم العداء والهدَف الذي يصبون إليه، وهو زوال الإسلام، والحاق الضَّررِ به، وتشويه صورتِه، وهزيمة أهلِه.

قال رسول الله ﷺ: **(إن أخوَف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان)** [4].

وفي هذا ابتلاءٌ عظيم لهؤلاءِ المنافقينَ بكشفِ أسرارهم، وإظهار أخبارهم، ليتميَّز بذلك المؤمن من المنافق، قال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾**

([1]) معاني القرآن للزجاج، ج5، ص15 .

([2])انظر: الكشاف للزمخشري، ج4، ص327 .

([3]) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح 1063، ج2، ص740 .

([4]) مسند الامام أحمد، مسند عمر بن الخطاب، ح 143، ج1، ص289، سنده قوي.

(محمد: 31)، قال القشيري: "بالابتلاء والامتحان تتبين جواهر الرجال، فيظهر المخلص، ويفتضح المماذق [1]، وينكشف المنافق، فالذين آمنوا وأخلصوا نجوا وتخلصوا، والذين كفروا ونافقوا وقعوا في الهوان وأذلّوا، ووسموا بالشقاوة وقطعوا[2].

والمتأمِّل في كتاب الله، يجِدُ أنَّ اللهَ وصَفَ المنافقينَ وصفاً دقيقاً، والحكمة في ذلك، تنويه وتنبيه للناس من عدَم الاقتراب منها، والوقوع في وحْلِها، من هذه الصفات:

1 . الإفساد في الأرض وعدم الإصلاح.

2 . خداع المؤمنين، والكَسَل عند القيام للصلاة، وقلة الذكر، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ **(النساء: 142)**

3 . يزعمون أنَّ القوة والمنعة عندَ أعداء الله: قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا**﴾ **(النساء: 139)** .

4 . الأمر بالمنكَر، والنهي عن المعروف: قال تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ**﴾ **(التوبة: 67)** .

5 . الجُبن والخوف الشديد من الموت في سبيل الله: قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾ **(الأحزاب :19)**.

فلعلَّكَ تجِد المنافقين يتقرَّبون من المؤمنين، بل إنَّهم يُسلِّطون ألسنتهم على المجاهدين، وعلى علماء المسلمين، بالتقليل من إنجازاتِهم وقدراتِهم، فإن فُرِضت المعركة على المجاهدين، لا هم يُقاتِلون ولا هم يصمتون، فإذا انتهت المعركة، يتنكَّرون لإنجازات المجاهدين وثباتِهم وانتصارِهم، قائلين: إنَّ الجهاد في سبيل الله سبَبٌ في قتلِ الأطفالِ، وهدمِ البيوتِ، إنَّهُم يُحَمِّلونَ

([1]) مماذق: أي غير مُخلِص، مختار الصحاح م ذ ق ج1 ص292 .
([2]) لطائف الإشارات للقشيري، ج3، ص414 .

الجهادَ أعباء المعركة وما نتجَ عنها من أضرار، ولا يُنسِبُونَ قتلَ الأبرياء، واستباحة الحرمات للاحتلال الصهيوني وغيره من الأعداء .

وقد بيَّن المولى ﷻ لنبيِّه ﷺ، كيفية أقوالُهم، "أي: مجراه وأسلوبه وإمالته عن الاعتدال لما فيه من التذويق والتشديق، وقد كانت ألسنتهم حادة، وقلوبهم خاربة" [(1)].

الخلاصة: إنَّ من الواجِب على المؤمنين معرفة النفاق وصفاتِه، والحياد عن طريقه وتجنبه، بل الحذَر من المنافقين والبقاء على يقظة من كيدِهم ومكرهم، والبعد كل البعد عن صفاتِهم التي بينها المولى عز وجل في كتابه، وبيان خطرها الواضح على أبناء الإسلام، كيف لا وهو سبب الفساد والإفساد العظيم في الأرض .

ولا تنسوا أنَّ الله مطَّلِع على قلوبكم وأعمالِكم، فأصلِحوا ما في قلوبكم، كما تحبون أن يَظْهَرَ الصلاحُ في أعمالِكُم .

وتحقيقاً لهذه الغايات فقد خَلُصَ الباحِث إلى نتيجَتَين، وهما:

1 . عاقبة المنافقين وخيمة ونهايتهم سيئة، قال تعالى: **﴿وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (التوبة: 68)** .

2 . إمكانية التوبة لمَن أرادَ أن يرجع ويتوب، فالتوبة أبوابُها مُشرَعَة، قال تعالى: **﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيماً﴾ (النساء: 146)** .

([1]) البحر المديد، ج5، ص375 .

المبحث الثاني : الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية من مواقف المنافقين

المطلب الأول : أسلوب التوكيد [1]

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكِرت في سياق التوجيهات التربوية من مواقف المنافقين في سورةِ محمد تبيَّن للباحث أن الجمل التي ورد فيها أسلوب التوكيد هما آيتان، وهي على النحو الآتي:

أولاً: قولِه تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: 25)** .

جاءت الآية في هذا السياق، بأسلوب توكيد بأداة التوكيد **(إِنَّ)** لِتؤكد أن الشيطان أساس كل فتنة ورأس كل خطيئة، وترغيبِه للناس بطول الأمَل والبقاء في الحياة، فضلاً عن تزيينه الضلال والقبح في أعينِهم. قال ابن عاشور: " والارتداد على الأدبار على هذا الوجه : تمثيل للراجع إلى الكفر بعد الإيمان بحال من سار ليصل إلى مكان ثم ارتدّ في طريقه، ولما كان الارتداد سيراً إلى الجهة التي كانت وراء السائر جُعل الارتداد إلى الأدبار، أي إلى جهة الأدبار" [2]، وَالْآيَةُ تَتَنَاوَلُ كُلَّ مَنْ دَخَلَ فِي ضِمْنِ لَفْظِهَا [3]؛ فارتدادهم ما كان ليكون لولا أنَّهم رفضوا الإيمان الحق، وقد بارزوا الله باتِّباعِهم الشيطان، مما أدَّى إلى رجوعِهم وارتدادِهم عن طريق الحق، حيثُ إنَّهم قد تركُوا الإيمان الذي جاءهُم به رسول الله ﷺ من المعجزات الظاهرة والآيات القاهرة والدلائل الواضحة، والبراهين الباهرة، بسبب تزيين الشيطان لهم الخطايا والكبائر وسهولة الوقوع فيها [4].

ثانياً: قولِه تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 32)**

([1]) سبق بيانه، ص59 .

([2]) التحرير والتنوير، ج26، ص115 .

([3]) البحر المحيط في التفسير، ج9، ص473 .

([4]) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، ج13، ص72 .

جاء البيان القرآني في صورة وعيد وتوبيخ وتقريع للكافرين والمنافقين من خلال سياق الآية ليُؤكِّد للذين خالَفوا النبي ﷺ وعاندوه، فضلاً عن الذين يُلاحِقون علماء المسلمين، ويُعادُون أولياء الله، ويمنعوهم من أداءِ واجِبهم الدَّعوي في هداية النَّاس، أنَّهم لن يضرُّوا إلَّا أنفسَهُم، وفي ذلك دلالة على شِدَّة ما أعدَّه المولى ﷻ من العذاب لِمَن يُعادِي دُعاةَ الحق، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربِّه ﷻ: **(مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحرب)** [1]. قال السعدي: "هذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها، من الكفر بالله، وصد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلا إليه" [2].

المطلب الثاني: أسلوب الشرط [3]

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكِرت في سياق التوجيهات التربوية من مواقف المنافقين في سورة محمد، **يبدُو للباحث** أن الجملة التي ورد فيها أسلوب الشرط هي آية واحدة، وهي على النحو الآتي:

قوله تعالى: **﴿وَلَوْ نَشَاء لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 30).**

جاء السِّياق بأسلوب شرط أداته (لو)، و جواب الشرط مقترن باللام في قوله: (لأريناكَهم)، وذلك لِبيان تكريم النبي ﷺ باطِّلَاعِه وتعريفِه بأحوال ودخائل المنافقين، فلا يخلو أحدٌ منهم من اللحن[4]. قال الزمخشري: "فإن قلت: أي فرق بين اللامَين في (فَلَعَرَفْتَهُمْ ولَتَعْرِفَنَّهُمْ؟) قلت: الأولى هي الداخلة في جواب (لو) كالتي في (لَأَرَيْناكَهُمْ) كُرِّرت في المعطوف، وأما اللام في (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ) فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف (فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) في نحوه وأسلوبه [5] .

([1]) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ح 6502، ج8، ص105 .

([2]) تفسير السعدي، ج1، ص789 .

([3]) سبق بيانه، الفصل الأول ص58 .

([4]) لحن القول: الكلام المُحال به إلى غير ظاهره، التحرير والتنوير ج26 ص122 .

([5])الكشاف للزمخشري، ج4، ص327 .

فقد وكَّلَ اللهُ النبيَّ بمعرفةِ المنافقين من خلال اللحنِ في قولهم لحكمة اقتضاها، حيثُ إنَّ اللهَ سلكَ في ذلكَ مسلَكَ الرَّمز [1].

المطلب الثالث: أسلوب الاستفهام [2]

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكِرت في سياق التوجيهات التربوية من مواقف المنافقين في سورة محمد، **ظَهَر للباحث** أن الجملة التي ورد فيها أسلوب الاستفهام هما آيتان، وهما على النحو الآتي:

أولاً: قوله تعالى: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: 22)** .

جاء سياق الآية؛ لكي يَرسُمَ مشهدَ توبيخ وتقريع للمنافقين في مَدى كراهية أوامِر النبي ﷺ، والإعراض عن الإيمان، وهذا من شأنِه الإفساد في الأرض ومن صورِه: السرقة، الرشوة، وسفك الدماء، والظلم، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم ومعاداة الأقارب والإساءة إليهم. وقد بيَّن محمد سيد طنطاوي في نوع الاستفهام بقوله: " والاستفهام للتقرير المؤكد، وعسى للتوقع"[3]، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب؛ لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع، أي: فهل يتوقع منكم إن أعرضتم عن الإيمان الذي تلبستم به ظاهراً أن تفسدوا في الأرض بأنواع الفساد [4]. والاستفهام مستعمل في التكذيب لما سيعتذرون به لانخذالهم، ولذلك جيء فيه ب (هل) الدالة على التحقيق لأنّها في الاستفهام بمنزلة (قد) في الخبر، فالمعنى: أفيتحقق إن توليتم أنكم تفسدون في الأرض وتقطعون أرحامكم [5] .

([1]) التحرير والتنوير، ج26، ص122 .
([2]) سبق بيانه، الفصل الأول ص64 .
([3]) الوسيط لطنطاوي، ج13 ص238 .
([4]) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، ج13، ص70 .
([5]) التحرير والتنوير، ج26، ص112 .

اعلم أنَّ المَيل إلى الذُّنوب والآثام بعدَ طاعَةٍ وإيمان، فإنَّ العُدُولَ والبُعدَ عن الإسلام نظيرُه الكفر والإشراك رأس كلِّ فسادٍ وقطيعة وشر، فالفساد إنما هو شعارٌ يرفعه الكفار، بالتالي الابتعاد عن حُضْنِ الإسلام هو في الواقع كفيلٌ بقطعِ الأرحام، وعدمِ الاطمئنان.

ثانياً: قوله تعالى: **﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (محمد: 27).**
جَاءَ هَذَا الِاسْتِفْهَامُ الَّذِي معناه التوقيت عَقِبَ ارتداد المنافقين وأهل الكتاب عن الإيمان، وبعدَ عِلْمِ اللهِ بأقوالِهم، وجزاؤهم بسبب طواعية الكاذبين على ما أنزل الله [(1)].

إنَّ التعبير القرآني في سياق الآية يدلُّ على صعوبة الموقف لدى الكافرين والمنافقين عند الموت جاء بأسلوب استفهام يفيد التعجب، يقول الطاهر بن عاشور: "والمقصود : وعيدهم بأنهم سيعجل لهم العذاب من أول منازل الآخرة وهو حالة الموت، ولما جعل هذا العذاب محققاً وقوعُه رتب عليه الاستفهام عن حالهم استفهاماً مستعملاً في معنى تعجيب المخاطب من حالهم عند الوفاة ، وهذا التعجيب مؤذن بأنها حالة فظيعة غير معتادة إذ لا يتعجب إلاّ من أمْر غير معهود ، والسياق يدل على الفظاعة" [(2)].

سؤال، هل سوء عاقبة الميِّت عندَ المَوتِ يقتصِر على المنافقين فقط؟ أم هو على الكافرين والمنافقين على حدٍّ سواء؟ أقول: من خلال سياق الآية وما قبلها يبدو للباحِث أنَّ العقابَ يشمَلُ المنافقين والكافرين؛ لأنهم كفروا من بعدِ ما تبيَّنَ لهم الحق والإيمان، باعتبار أنَّ المنافقين فئة من الكفار، وجاء بالفعل المضارع (يضربون) الذي يفيد الاستمرارية، دليلٌ واضحٌ على أنَّ الملائكةَ مستمرُّون في ضَربِ كل كافِر ومنافق عندَ الموت على وجوهِهم وأدبارهم، ففي ذلك مأساةٌ كبيرةٌ يتبعُها كربٌ عظيم .

([1]) انظر: البحر المحيط، ج9، ص474 .
([2]) التحرير والتنوير، ج26، ص18 .

الفصل الثالث

التوجيهات التربوية التعبُّديَّة والأخلاقية والسلوكية وأساليبها من خلال سورة محمد

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : توجيهات تربوية تعبدية :

خلقَ اللهُ ﷻ النَّاسَ أجمعين لِحكمةٍ عظيمةٍ جليلة، بُغيَةَ عبادَتِه وحُسنِ طاعتِه، والخضوعِ والتَّذَلُّل بين يديه، والانقيادِ لأوامِره، قال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)** فلا تكونُ العِبادةُ إلَّا للهِ تعظيماً لِشأنِه، فهذه هي الغاية من وجودِ الإنسان، والتي تَتَحَقَّق في نصرة شريعته، والجهاد في سبيلِه، واتباعِ هداه، وغير ذلك .

المطلب الأول: :نصر الله مشروط بنُصرَةِ دِينِهِ وتطبيقِ شرعِه

أشارَ المولى ﷻ في القرآن الكريم مُخاطِباً عباده المؤمنين بضرورةِ تحقيقِ نصرة ربِّهم باتِّباعِ منهجِه، والقيام بأوامِره، لكي يتكرَّم عليهم برضوانِه، ويمُنَّ عليهم بنصرِه، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)**، وقد ذكرَ السعدي موضِّحاً كيفيَّةَ تحقيقِ نصْرِ اللهِ لعبادِه، قال: "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره" [1]. وفي ذلك رسالة واضحة إلى كلِّ مَن يرجو تحقيقِ نصرِ الله ﷻ والعزة والتفوُّق والغلبة على الأعداء، فلا يكونُ ذلك إلَّا بنُصرةِ دينِه وكتابِه، واتباعِ منهجِه وتطبيقِ شريعتِه، ونُصرةِ رسُولِه ﷺ ودعوتِه، حينِها يتحقَّق وعدُ اللهِ الصادِق بنصرِ عبادِه المؤمنين، وتقوية سواعِدِهم، وجعلِ البركة في سلاحهم، وقوة شكيمتِهم، قال تعالى: **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: 47)**. وقوله: **﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: 40)** .

([1]) تفسير السعدي، ج1، ص785 .

واعلَم أنَّ اللهَ ﷻ ليسَ بحاجة لعباده، وإنَّما العبادُ هم المحتاجون لِعظيمِ كَرمِه، وسِعةِ عَطائِه، وطمأنة قلوبهم، وتحقيقِ ثوابِه الجزيل لهم، قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (محمد:38).** يقول الإمام الطبري مبيِّناً معنى قوله تعالى: **﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:7):** "ويقوِّكُم عليهم، ويجرّئكم، حتى لا تولوا عنهم، وإن كَثُر عددهم، وقلَّ عددكم" [(1)].

وسيتناوَلُ الباحِثُ أسبابَ نَصْرِ الله لِعبادِه، فهي كثيرة جدّاً، سأذكُر بعضَها بإيجاز، كما يلي:

1 . تحقيق صدق الإيمان بالله ﷻ، والقِيام بواجبات القرآن، ومُجاهَدة الكفار والشيطان، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: 2) .**

2 . نصرة أولياء الله ﷻ، والوقوف بجانبِهم، وعدم معاداتِهم، يتكفَّلُ اللهِ لهم بحُسنِ العاقِبة، قال تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: 11) .**

3 . تحقيقُ نصرةِ الله ﷻ بالأقوال والأفعال وفي كل الأحوال، سواء في السر والجَهرِ، أو في الشدة والرخاء، قال رسول الله ﷺ: **(احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَك)** [(2)] .

4 . الزُّهدُ في الدُّنيا، والنظَر نحو الآخرة في تحقيق تقوى الله ﷻ والإيمان به، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (محمد: 36) .**

5 . طاعة الله ورسوله ﷺ، وذلك بالانتباه والحذَر الشديد من الاقتراب من كلِّ ما نهى الله ﷻ عنه، طمعاً بكرَمِه، ورغبةً بما عندَه، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 33) .**

وبذلك تتجلَّى منهجيَّة القرآن في إصلاح المجتمعات، وتتمثَّل بإصلاح النفسِ ابتداءً، ثمَّ بالانتقال تدريجيَّاً خطوة تتلوها خطوة لإصلاح المجتمع، الأمر الذي يترتَّب عليه انتشار الدِّين

([1]) تفسير الطبري، ج22، ص161 .

([2]) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة، ح 2516 ، ج4، ص667، قال عنه الترمذي: حسنٌ صحيح، وقال الألباني: صحيح.

الإسلامي بأثرِه الطَّيِّب في نفوس الناس، وبناءً على ذلك يتوجَّب على الإنسان المسلم أن يبدأ بنفسِه في التغيير نحو الأفضل من الداخل، بإنشاء دعوة الحق في قلبِه، وهذا من شأنِه أن يجعل من نفسِه قدوة وأسوةً لِغَيرِه، لكَي تتحقَّق الغاية من نزولِ القرآن، كما ورد في صحيح ابن حبان من حديث فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْد ﷺ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاع: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ، مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِه وَيَدِهِ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوب)**[1]، فجهاد النفس مقدم على جهاد العدو، ولكي يجاهد المسلم عدوَّه لا بد أن يحارب نفسَه التي بين جنباتِه لتفعل ما أمِرت به وتنتهي عمَّا نهيت عنه، فإن لم يستطع نُصرةِ نفسِه فكيف به أن ينصر دين الله ﷻ؟ [2] .

الخلاصة: في الوقت الذي تمُرُّ به الأمَّة الإسلاميَّة وما تعرَّض إليه من بعضِ الإشكالات والتَّحدِّياتِ التي تواجهها، كيفَ لا وهي تترقَّب وتنتظِر نُصرة الله ﷻ لها، فهي تحتاج إلى طاقة كبيرة تُمكِّنُها من الخروج من هذا المُصاب الجلَل، وهذه الطَّاقة تتمثَّلُ في التَّجرُّد من كُل الأهواء والإغواء، وتتمثل في التحاكُم إلى القرآن ومجاهدة الشيطان، وتأثير منهج الله في النفوس والسلوك والأخلاق، سواء في السر أو العلانية، فإن كانت الأمَّة الإسلاميَّة بشَبَابِها وشيوخِها، ونسائها وبناتها، تمسَّكت بهذه الصفات، لهيَ كفيلةٌ بتحقيقِ نصرِ الله بلا شك، وموعودون بالثبات والعزة والتمكين، حينِها ينطبِق عليهم قوله تعالى: **﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)** . وقد ذكر الرازي في بيانِ كيفيَّة تحقيق المؤمن العابد المجاهد نصر ربِّه ﷻ بما أمرَه وطلَب منه، فقال: "الْمُؤْمِنُ يَنْصُرُ اللَّهَ بِخُرُوجِهِ إِلَى الْقِتَالِ وَإِقْدَامِهِ، وَاللَّهُ يَنْصُرُهُ بِتَقْوِيَتِهِ وَتَثْبِيتِ أَقْدَامِهِ، وَإِرْسَالِ الْمَلَائِكَةِ الْحَافِظِينَ لَهُ مِنْ خَلْفِهِ وقدامه" [3].

---

(1) صحيح ابن حبان، باب الهجرة، ج11، ص204.

(2) انظر: زاد المعاد لابن القيم، ج3، ص6 .

(3) مفاتيح الغيب للرازي، ج28، ص42 .

المطلب الثاني: الهداية والتقوى بتوفيق من الله

إنَّ خيرَ نعْمَةٍ أنعمها الله ﷻ على عباده المسلمين أن هداهُم وأرشدهم للإيمان وزيَّنَهُ في قلوبهم، وألهمَهُم طريق التقوى ووفقهم للوصول إلى رضاه، كيف لا وهي بمثابة الهداية إلى هذا الدِّين العظيم، والتقوى هي الالتزام بما أمر الله والانتهاء عن كل ما نهى الله، ولا يتخلص المسلم من الذنوب، ولا تُقبَل القرُبات، إلا بتحقيق تقوى الله ﷻ، لما لها من عظيم الأثر على المسلمين، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: 17)** .

بعدَ ذكرِ هذه المقدمة، لا بدَّ من بيان حقيقة الهداية والتقوى في الاصطلاح؛ لكي تَعُمَّ الفائدة، ويتَّضِح المطلوب .

1 . الهداية: ذكر ابن كثير أنَّها بمعنى: "الإرشاد والتوفيق"[1]، والهداية: هي الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب [2]؛ فهي الطريق التي يتوصَّل بها إلى الهدَف والغاية، للوصول نحو المراد .

2 . التقوى: هي اجتناب النواهي والمعاصي والمحرمات، وأداء الفرائض والطاعات [3] .

وقد ميَّز اللهُ ﷻ أهل الإيمان عن غيرِهم بالهداية وحُسنِ العاقبة، حيثُ إنَّ الله ﷻ وفَّقَهم للإيمان، ودلَّهم على طريق الخير والتقوى والرضوان، وأمَّا الكافرون فلهم الخسران في الدنيا والآخرة، وقد ذكَر ابن كثير: "وخصت الهداية للمتقين" [4]، والمتأمِّل في كتاب الله ﷻ يجد أنَّ آياتٌ كثيرة تحدَّثت عن اختصاص هداية الله للمؤمنين، قال تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: 82)**. وهذهِ إشارةٌ واضحةٌ للفرقِ الكبيرِ بينَ ذَوي الهداية والرشد أصحاب العقول النيرة والقلوب المطمئنة، وبينَ ذَوي الضلالةِ والبغي أصحاب العقول المظلمة والقلوب المقفلة، حيثُ إنَّ المولى ﷻ بيده قلوب

([1]) تفسير ابن كثير، ج1، ص137 .

([2]) التعريفات، ج1، ص256 .

([3]) تفسير الطبري، ج1، ص234 .

([4]) تفسير ابن كثير، ج1، ص163 .

العباد؛ فقد ثبتَ عن النبي أنَّه قالﷺ: **(إنَّ القُلوبَ بينَ أصبعينِ من أصابعِ الرحمنِ ﷻ يُقلِّبهُما)**[1]، وفي ذلك بيانٌ إلى استحبابِ الدعاء للنَّفسِ بالهدايةِ، والثَّباتِ على طريقِ الحقِّ والإيمان .

واعلَم أنَّ اللهَ ﷻ هو الذي يعينُ المؤمنين على أداءِ العبادات، والتَّحلِّي بجميلِ الصفاتِ وعظيم الأخلاق، ويُرشدُهم إلى هذه الأمور، قال تعالى: **﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ (مريم:76)**.

هؤلاء المؤمنون الذينَ يتفكَّرون في عظيمِ نِعمِ اللهِ تعالى التي لا تُحصى، ووفَّقهُمُ الله تعالى لهذه الأعمال الصالحة، ودلَّهم عليها، دليلٌ واضِحٌ على أنَّ الهداية بيدِ الله ﷻ، قال تعالى: **﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: 56)**، وقوله: **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: 17)**، يقول سيد قطب: "فكافأهم الله بزيادة الهدى، وكافأهم بما هو أعمق وأكمل، والتقوى: حالة في القلب تجعله أبدا واجفا من هيبة الله، شاعرا برقابته، خائفا من غضبه، متطلعا إلى رضاه، متحرجا من أن يراه الله على هيئة أو في حالة لا يرضاها، هذه الحساسية المرهفة هي التقوى، وهي مكافأة يؤتيها الله مَن يشاء مِن عباده، حين يهتدون هم ويرغبون في الوصول إلى رِضى الله" [2]. بمعنى أنَّ الذين قصدوا الهداية إلى طريق الخير، وفقهم اللّه تعالى، وشرح صدورهم، فآمنوا بالله وعملوا بما أمرهم به، وثبّتهم على الهدى والتصديقِ بنبيِّه محمد ﷺ، وزادهم هدى بالتوفيق، وألهمهم رشدهم، وأعانهم على التقوى بالتوفيق للعمل الذي يرضاه [3].

وقد أرسَلَ اللهُ ﷻ الأنبياء والرسُل لأسبابٍ كثيرةٍ متعدِّدَةِ الأهدافِ والغَايَاتِ، منها هدايَةُ النَّاسِ وإخراجِهم من ظُلُماتِ الكُفرِ، إلى نورِ الإيمان، وعقَّبَ القرآنُ على ذلك بآياتٍ كثيرةٍ تُبيِّنُ أهميَّة الدَّعوة إلى الله ﷻ، قال تعالى: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: 24)** .

([1]) سنن ابن ماجه، دار الفكر، باب دعاء رسول الله ﷺ، ح 3834، ج2، ص1260، قال الألباني: صحيح .

([2]) في ظلال القرآن، ج9، ص49 .

([3]) انظر: تفسير المنير، ج26، ص109 .

بناءً على ذلك ومما سبَق، وبعدَ التدقيقِ والتَّأمُّل في آياتِ الله ﷻ بما يتعلَّق بهذا الجانِب، وبعدَ الاطلاعِ والبحثِ والتنقيبِ، **يرى الباحث أنَّ الهدايةَ نوعان ، ويتم بيانُهَا كما يأتي:**

النوع الأول: هدايةُ الرُّسُل والدُّعاة والصالحين المُصلِحين من عبادِ الله ﷻ، إلى النَّاسِ بالإرشادِ والتوجيه نحوَ اتِّباع النَّبيِّ ﷺ، والتَّمسُّك بمنهجِه، واقتفاء أثره، والاقتداء به، ومما يدُلُّنا على ذلك، قولُه تعالى: **﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: 20) .**

النوع الثاني: الهداية الخاصَّة بتوفيقٍ من الله ﷻ، وبها يعينُ اللهُ ﷻ العبادَ على طاعتِه، وحُسنِ تقوَاهُ، حيثُ إنَّه قد تفرَّدَ واستقلَّ بها دونَ سواه، وما يدُلُّنا على ذلك، قوله تعالى: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: 56)**، فالعبادُ كلُّهُم متوجِّهونَ إليه، مشفقون من خشيتِه، ودليلُ ذلكَ أنَّ الإنسانَ حينَ يُصيبُه مكروهٌ، أو يشعرُ بالخطَر، فيقول: يا إلهي يا إلهي، فهي الفطرة التي خلَقَهُمُ اللهُ عليها، بل إنَّ بعضَ الأنبياءِ ما استطاع هداية ابنِه ولا زوجَتِه .

والهدايةُ لا تُقدَّر بثَمَن، لأنَّها مكافأة وهدِيَّة من الله ﷻ لِمَن أرادَ أن يشرح صدره للإيمان، ويتحلَّى بأخلاق الإسلام وتعلُّم القرآن، فهو يفعل ما يشاء ويختار، ليكون شعارنا الاقتداء بهدي النبي ﷺ فهو خير الهُدى، وهذا من شأنه أن يكونَ المَرءُ بِمَقْرَبَةٍ من ربه ﷻ ويسأل رضاه وينتظر لقاءه، الأمر الذي يترتَّب عليه إعانَةُ اللهِ العبادَ على التقوى وإلهَامِهِم الخيرُ والرشادُ، ويزيدَهُم بصيرةً وعِلْماً، قال تعالى: **﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (البقرة:272)**، وقد روى البخاري في صحيحِه من حديثِ البراء بن عازب ﷺ، أنَّه قال: **(رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعَرِ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ بن رواحة،**

اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ) (1) .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب، ح 2870، ج3، ص1103 .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كُلَّ عَبْدٍ فَهُوَ مُضْطَرٌّ دَائِمًا إلَى مَقْصُودِ هَذَا الدُّعَاءِ وَهُوَ هِدَايَةُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَإِنَّهُ لَا نَجَاةَ مِنْ الْعَذَابِ إلَّا بِهَذِهِ الْهِدَايَةِ وَلَا وُصُولَ إلَى السَّعَادَةِ إلَّا بِهِ فَمَنْ فَاتَهُ هَذَا الْهُدَى : فَهُوَ إمَّا مِنْ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ أَوْ مِنْ الضَّالِّينَ" (1) .

من أجل ذلك يرى الباحِث أنَّ بعضَ الأنبياءِ لم يستطيعوا تحقيقَ الهدايَةَ لآبائهم وأبنائهم وزوجاتِهم، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدلُّ على أنَّ الهداية لا يملِكها نبيٌّ مُرسَل ولا ملَكٌ مُقرَّب، فهي بتوفيقٍ من الله ﷻ ورحمةٍ منه، وسأذكُر مواقف هَؤُلَاءِ الأنبياء كما وردَ في كتابِ الله ﷻ، وهي على النحو التالي:

1 . موقف سيدنا نوح مع ابنه؛ حيثُ إنَّ نبيَّ اللهِ نوحٌ لم يستطع هداية ابنه؛ إذ إنَّه أقربُ الناسِ إليه، فلذة كبدِه، ومُهجة فؤادِه، رغمَ أنَّ الهلاكَ أوشكَ أن يلحَقَ بابنه، مع ذلك لم يستجِب الابن لدعوة أبيه للإسلام، قَال تعالى: **﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود 42-44].**

فقد حزِن نوح عليه السلام حزناً شديداً وتألَّم لفراقِ ابنه الكافِر، حينها رفع أكُفَّ الضراعة يدعو ربَّه ﷻ بأن يُنجيه، شفقةً ورأفةً بابنه العزيزُ على قلبِه، قَالَ تَعالَى: **﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (هود: 45) .**

فَجَاءَ التنبيه من الله ﷻ إلى نوح عليه السلام بالإعراض والتَّوقُّف عن ذلك الدعاء والرجاء؛ لنجاة من كفر بالله، قال تعالى: **﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود: 46) .**

ولم يتوقَّف الحد إلى عدَم مقْدرةِ نوح هداية ابنه مُهجَة قلبِه، بل إنَّه لم يستطيع جَلب الهداية لِزوجتِه أيضاً شريكَةُ حياتِه، قال تعالى: **﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم: 10)**، بمعنى أنَّ المرأتين زوجَتان لنبيين من عباد الله ﷻ،

---

(1) مجموع الفتاوى، ج22، ص399 .

وهما نوح عليه السلام، ولوط عليه السلام، فخانتاهُما في الدِّين، بمعنى: أنَّهما كانتا على غيرِ دِينِ زوجيهما، وهذا هو المراد بالخيانة لا خيانة النسب [1].

2 . موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه؛ حيثُ إنَّ نبيَّ الله إبراهيم عليه السلام لم يستطع أن يجلبَ الهداية لوالِدِه، فلم يستجِب والدَه لدعوة ابنه لِدخول الإسلام، فقدَّمَ له أجمَل العبارات وأرق الكلمات، حيثُ كان الحوار بين إبراهيم عليه السلام مع أبيه بأسلوبٍ جميل، وعبارة لطيفة في قوله: (يا أبَتِ)؛ إذ إنَّها تدُلُّ على مدى أدَب الابن مع أبيه، وعلامة من علامات البِر للوالدَين، وتتمثَّل بخفضِ الصوتِ عندَ حوار الوالدَين، ومخاطَبتِهِم بأرق الكلمات، بكلِّ أدبٍ وحُبٍّ واحترامٍ، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً) [مريم: 41– 45]**. وَرغْمَ ذلكَ الحوار اللَّطيفِ الهادئ، ومع هذا الأسلوب الراقي، إلَّا أنَّ أباهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَةِ وَلَدِهِ، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً) [مريم: 46]**.

3 . موقِف سيدنا محمد ﷺ مع عمِّه أبي طالب، حيثُ إنَّ نَبِيِّنا محمداً ﷺ لم يستطِع جَلبَ الهداية لأقرَب الناس إليه، وهو عمهُ أبو طالِب، الذي نهضَ بحَقِّه على أكمَلِ وجه، وبسطَ عليه حمايتِه، وصادق وخاصم من أجلِه [2]، رغمَ هذا الجُهد الكبير الذي بذلَه لكي يتوصَّل لدخول عمِّه الإسلام ويهديه إليه، لعلَّه يدخُلَ في هذا الدِّينِ قبل وفاتِه، لكنَّه أرادَ الموتَ على دِينِ الكُفر والشرك، فقد قبِلَ على نفسِه هذه المِيتة استكباراً وعلوَّاً، حتى وهو على فراشِ الموت، فقد جاء في صحيح البخاري، (**أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: " يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا**

([1]) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص874 .

([2]) انظر: الرحيق المختوم، ج1، ص48 .

أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) [1].

وللعلم فإنَّ من الأدَب وحسن الخلق التوجه إلى الله ﷻ مستعيناً به ومتوكِّلاً عليه، وأن تكونَ متجنِّباً للضَّلالةِ ومتَّبعاً الهداية؛ لكي تحظى بالوصول إلى المنازل العالية، وهذا من شأنِهِ أن يجعلَ الإنسانَ المسلمَ أكثرَ فهماً وتمسُّكاً بالهداية بإخلاصٍ ونيَّةٍ حسنة، الأمر الذي يترتَّب عليه الشعورُ بالسعادة والطمأنينة، قال رسول الله ﷺ: **(وإذا سألت فاسألِ الله، وإذا استعنت فاستعِن بالله)** [2]. ولا تتم السعادة إلَّا بلزوم دِينِ الإسلام وترك ما سواه من الأديان، وذلك بمعرفة الحق والعمل به، وبهِ يكون الإنسان المسلم مستشعراً عظمةَ الله ﷻ، الأمر الذي يترتَّب عليه خضوع العبد المسلم لله ﷻ، والتَّذَلُّل بين يديه .

وقد حرِص النَّبي ﷺ على الإكثار من سؤال الله ﷻ له الهداية؛ لترغيبِ المسلمين من الإكثار منه؛ حيث قال: **(اللهمَّ إنِّي أسأَلُكَ الهُدَى والتُّقَى والعَفافَ والغِنَى)** [3]. فمَن قامَ بهذه الخاصِّيَّة وسألَ الله تعالى الهداية، والتزَمَ بمقتضيات التوحيد، وابتعدَ عن الإشراكِ بالله ﷻ، نالَ ثوابَ الدنيا وثواب الآخرة، وحظِيَ بالأمنِ والاستقرار في حياتِه، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: 82)**. وكذلك إنَّ الصبر على الابتلاءات طريق ممهَّد ومُبسَّط إلى الهداية في الدنيا بالرشاد وفي الآخرة للجنان، قال تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: 157_155)**

إنَّ من ثمار وفوائد الهداية، أنَّه لا حُزنَ كائن في الدنيا، ولا خَوفَ متوقَّعٌ في الآخرة إن شاءَ الله، نتيجة اتباع هدْيُ النَّبيِّ ﷺ والاقتداء به، قال تعالى: **﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(البقرة: 38)**، وقد قال ابن كثير في توضيح معنى الآية: " مَنْ أَقْبَلَ

([1]) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عندَ الموت لا إله إلَّا الله، ح 1360، ج2 ص95 .

([2]) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة، ح 2516، ج4، ص248، قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح .

([3]) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوّذ من شر ما عمل، ح 2721، ج4، ص2087 .

عَلَى مَا أَنْزَلْتُ بِهِ الْكُتُبَ وَأَرْسَلْتُ بِهِ الرُّسُلَ ﴿**فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾ أَيْ: فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ ﴿**وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا" [1].

أقول: إنَّ الهِدايةَ من اللهِ ﷻ مرحلَةٌ تسبِقُ عمليةَ التقوى، وذلك لتقديمِها عن التقوى في آيات القرآن ابتداءً، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ **(محمد: 17)**، حيثُ إنَّ الإنسانَ قبلَ هدايتِه والتعرف على أحكام القرآن، وتعاليم الإسلام، لم تتَّضِح عندَه صورة التقوى والإخلاص بمعناه الواضح، إذ إنَّه يحتاج إلى مُدَّةٍ من الزمن لكي ترسخَ معاني التقوى في قلبِه، الأمر الذي يترتَّب عليه تطبيقُها على أرض الواقِع، وتحقيقها في كلِّ طاعةٍ من شأنِها تُرفع الدرجات، والابتعاد عن كلِّ ما لا يُرضي رب الأرض والسموات، بذلك يتبيَّن أنَّ الهدايةَ طريقٌ مُبسَّطٌ وجِسْرٌ قوي من خلالِه تسيرُ عليه التقوى .

الخلاصة: للعلم فإنَّ الهداية إلى طريق الإسلام، والتَّمسك بمنهجِ الله، هي بتوفيق من الله ﷻ ورحمة منه، وإنَّ هِدَايَةَ التوجيهِ والدَّلَالَةِ وَالإِرْشَادِ، تكون بتوجيه من الدُّعاة والصالِحين والمصلِحِين من عبادِ الله.

المطلب الثالث : التوبة والاستغفار

قبْلَ البدءِ والشروعِ في إيضاحِ هذا الموضوع، يتعيَّن على الباحِث بيان حقيقة التوبة والاستغفار في الاصطلاح، ثُمَّ بيان نوعَي الاستغفار وفضائله وما توصَّل إليه الباحِث من خلاصة ونتيجة.

أولاً: حقيقة التوبة والاستغفار .

1 . **التوبة:** هي ترك الذنب لقبحه خوفا من الله، ورجاء لما أعده لعباده، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة [1]، قال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ **(النور: 31)** .

([1]) تفسير ابن كثير، ج1، ص240 .

2 . **الاستغفار**: هو طلَبُ المغفرة بالمقال والفعال[2]. قال تعالى: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: 10)** .

يُعَدَّ الاستغفار مِن أهم العبادات القلبية والقوليَّة التي يتوجَّه بها العَبدُ المؤمن إلى الله ﷻ طلَباً للمغفرة والرحمة، إذ إنَّ أهميَّةَ هذه العبادة تكمُنُ في أنَّها الدَّواء الحقيقي لإزالَةِ الذنوبِ، وهذا مِن شأنِه استشعار المؤمِن عظمَةِ الله ﷻ ومراقبتِه، الأمر الذي يدعوه إلى سرعةِ الرجوع إليهِ والاستغفار من كل معصية، قال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد: 19)**، قال ابن عطية: "وهذا خطاب للنبي ﷺ، وكل واحد من الأمة داخل معه فيه" [3]، أقول فيما أميلُ إليه والله أعلم: هو أنَّ الخطابَ في الآيةِ يشمَلُ جميع المؤمنين، وليسَ خاصاً بالنَّبيِّ ﷺ؛ وذلك لأنَّ النبيَّ ﷺ معصومٌ عن كلِّ خطأ ونقص، حيْثُ إنَّ كلَّ المآسي والمعاصي التي يقترفها بنو آدمَ لم تُقتَرَف إلَّا بسبب إغراء الشيطان لهم، وبكلِّ تأكيدٍ أنَّ نبيَّنا محمداً ﷺ يعلَمُ أنَّ اللهَ ﷻ هو المعبود الحق، لا إلهَ غيرَهُ ولا معبودَ سواه، وقد نزعَ اللهُ حظَّ الشيطانِ منه، عن أنس بن مالِك ﵁: **(أنَّ رسول الله ﷺ أتاهُ جبريل ﵇ وهو يلعَبُ مع الغِلمان فأخذَهُ، فصرعَه، فشقَّ عن قَلبِه، فاستخرَجَ القَلب فاستخرَجَ منهُ علقَة، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثُمَّ غسلَه في طِستٍ[4] من ذَهَبٍ بماءِ زمزَم، ثُمَّ لأمَهُ[5]، ثُمَّ أعادَه في مكانِه)** [6] .

وفي ذلك رسالة إلى العَبدِ المؤمن ذو المشاعِر والأحاسيس الرقيقة الجيَّاشة، الذي يشعر دائماً بتقصيره بحقِّ الله ﷻ مهما بذَل مِن جهد، ويشعر وقد غُفِر له، وبالتالي لِيَعْلَم أن الاستغفار ذكر وشكر على الغفران، الأمر الذي يترتَّب عليه الشعورَ بمكانةِ وعُلُوِّ منزلةِ النبي ﷺ، الذي يُوجِّهُهُ اللهُ ﷻ إلى الذكر والاستغفار لنفسه، ثُمَّ للمؤمنين والمؤمنات. وهو المستجاب

([1]) الإسلام أصولِه ومبادئه، التوبة، ج2، ص155 .

([2]) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ج1، ص362 .

([3]) تفسير ابن عطية، ج5، ص116 .

([4]) الطِست: هو إناء كبير مستدير من نحاس، يغسَل فيه. المعجم الوسيط باب الضاد ج2 ص557 .

([5]) لأَمَه، لَأمَ أي شفي، التحَم وَبَرأ، معجم اللغة العربية المعاصرة (ل أ م) ج3 ص 1984 .

([6]) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، ح 162، ج1، ص147 .

الدعوة عند ربه. فيشعرون بنعمة الله عليهم بهذا الرسول ﷺ، وبفضل الله عليهم وهو يوجهه لأن يستغفر لهم ليغفر لهم [1]. وقد بيَّنَ ابن كثير، في أنَّ الله تعالى لا تخفى عنهُ خافية، في قولِه تعالى: **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد: 19)** ": "أَيْ: يَعْلَمُ تَصَرُّفَكُمْ فِي نَهَارِكُمْ وَمُسْتَقَرَّكُمْ فِي لَيْلِكُمْ" [2] .

ثانياً: أنواع الاستغفار .

قال ابن القيم –رحمه الله–: "وأما الاستغفار فهو نوعان : مفرد ومقرون بالتوبة" [3].

1 . الاستغفار المفرد : كقول نوح عليه السلام لقومه، قال تعالى: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: 10).** فالاستغفار المفرد كالتوبة بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله تعالى: **﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ (الأنفال: 33)**، فإن الله لا يعذب مستغفرا، وأما من أصر على الذنب وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار مطلق ولهذا لا يمنع العذاب .

2 . الاستغفار المقرون، وفيه يتمُّ اقترانُ الاستغفار مع التوبة في موْضِعٍ واحد، كقوله تعالى : **﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود: 3).** وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

فالاستغفار يتضمن التوبة والتوبة تتضمن الاستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق [4] .

ثالثاً: فضائل وثمار الاستغفار

1 . نزول الرحمات، قال تعالى: **﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النمل: 46)**، فالاستغفار سبب لنزولِ الرحمات، فأكثروا من الاستغفار ولا تمِلُّوا ولا تيأسوا .

---

[1] انظر: في ظلال القرآن، ج9، ص50 .

[2] تفسير ابن كثير، ج7، ص317 .

[3] مدارج السالكين لابن القيِّم، ج1، ص314 .

[4] انظر: المرجع السابق، ص314 .

2 . مغفرة الذنوب والرزق في المال والولد، قال تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح:10– 12)**. قال ابن كثير: "وَمَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ وَحَفِظَ عَلَيْهِ شَأْنَهُ وَقُوَّتَهُ"[1] .

3 . دخول الجنة، قال رسول الله ﷺ: **(سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ " قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ)** [2] .

رابعاً: مواطِن يتَّبعها المُسلم يُستحب فيها الاستغفار

وقد جعَلَ المولى ﷻ الاستغفار سبباً لِلتَّكفير عن الذنوب؛ لأنَّ الإنسانَ ليس معصوماً عن الخطأ؛ فكثيرٌ من الناس يجهلون الأثر الذي يترتَّبُ على الاستغفار، فهو بحاجة ماسَّة للاستغفار إذا ما وقعَ في وحل المعاصي، ما أجملها من أوقاتٍ في ليل أو نهار، وباغتنامِ كل دقيقة وكل ثانية بالاستغفار، لكي تدخُلَ الطَّمأنينة والراحة النفسية في قلبِكَ، وهُناكَ مواطِن كثيرة يُستحَبُّ فيها الإكثار من الاستغفار، أذكُر بعضها بإيجاز، وهي على النحو التالي:

1 . يُستحبُّ الاستغفار بعدَ كل صلاة، **(كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)** [3] .

ولقد سألَ أبو بكرٍ الصديق ﷺ النبيَّ ﷺ، عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: **(قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)** [4] .

2 . وقت السَّحَر، قال تعالى: ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات: 18)** .

([1]) تفسير ابن كثير، ج4، ص329 .

([2]) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ح 6306، ج8، ص67 .

([3]) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد كل صلاة، ح 591، ج1، ص414 .

([4]) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، ح 834، ج1، ص166 .

3 . في الحج ، قال تعالى: **﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: 199)** .

خامساً: الخلاصة والنتيجة التي توصَّلَ إليها الباحِث:

من الواضح أنَّ في قوله تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد: 19)**. توجيهاً للنَّبيِّ ﷺ من الله ﷻ بالدُّعاءِ لأُمَّتِه، وفيها أيضاً بيان منهجيَّة القرآن، في مشروعيَّة الدُّعاء والاستغفار للمسلمين جميعاً أحياءً وأمواتاً، سواءً في مقام العبادة البدنية كالحجِّ والصوم، أو في مقام العبادة القولية كالدعاء والاستغفار .

إنَّ المُتأمِّلَ في القرآنِ الكريم والمتدَبِّرَ لآياتِه، يجِدُ الدَّليل القاطِع والبرهان الساطع، على عِظَمِ مكانَةِ هذه العبادة التي هي من أسهَلِ العبادات وأيسرها على الإطلاق، قال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد: 19)**، بحيثُ يشعر المؤمن بمدى قُربِه إلى الله ﷻ، وهذا من شأنِه أن يُشعِرهُ بالاطمئنان بأنَّه في حفظِ الله ورعايته، والخشية مِنْهُ في كلِّ وقتٍ وحين لشعورِه بمراقبةِ الله ﷻ لكل حركاتِه وأحوالِه سواءً في السِّرِّ أو العلانية، وهذا إنْ دَلَّ على شيء فإنما يدُلُّ على عظيم التَّربية الإيمانية، بناءً على تعاليم الإسلامِ وأخلاقِه، التي يتمتَّع بها المُسلِم في خضوعِه لربِّه والتَّذلُّل بينَ يدَيهِ، والبقاء على حذَر ويقظَة تامَّة، وذلك بمدى استطاعتِه للبعدِ عن أي خطيئة، والانتهاء من كُل معصية .

المطلب الرابع: الأمر بطاعة الله وطاعة رسوله والإخلاص في العمل

إنَّ من الواجِب على المُسلِمِ أن تكونَ عبادَتَه خالصة لله وحدَه، لأنَّ الإخلاصَ في العَمل سببٌ وشرطٌ لِقبولِهَا عندَ الله ﷻ، حيثُ إنَّ الله تعالى قد أمَرَ به في قولِه: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: 2)**. وفي ذلك إشارة واضحة من المولى ﷻ إلى عبادِه بضرورة التَّحَلِّي بهذه العبادة الجليلة، ألا وهي إخلاصُ العَمَل إليه، وهو أمرٌ منه إلى طاعتِه وطاعةِ رسوله ﷺ، والتحذير من إبطالِ العمَل بما يُفسدْهُ كالردة والرياء[1] وغيره من

([1]) الرياء: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه، التعريفات ج1 ص113 .

السيِّئات، كما في قولِه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 33)** .

وحتى تعُمَّ الفائدة ويتَّضح المطلوب لا بد على الباحِث من بيان حقيقة الطاعة والإخلاص في الاصطلاح، وهو على النحو التالي:

أولاً: المُراد بالطاعة والإخلاص في الاصطلاح:

1 . الطاعة: تُطلَق على: الانقياد، وأكثر ما تُقال على: الائتمار لما أمر، والارتسام فيما رسم[1].

2 . **الإخلاص كما عرَّفه الصابوني:** "أن يقصد بالعمل وجه الله وحده" [2]، ويقول الباحِث: حقيقة الإخلاص: أن تكونَ أفعالُ الإنسانَ وأقوالُه يُقصدُ فيها وجهَ الله وحدَه، دون الجمعِ في النَّوايا، كانتظار مَدحٍ من النَّاسِ أو جَلبِ رضاهُم، قال تعالى: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة: 5)،**

يقول ابن عُثيمين –رحمَه الله– : "لو كانَ في الإنسانِ شيءٌ يسير مِن الرِّياءِ، لَم يَكُن مُخلِصاً تمام الإخلاص، ورُبَّما يكون هذا الشيء اليَسير مِن الرِّياء في قلبِه رُبَّما يكون سبباً لهلاكِه في آخر لحظة" [3].

وقد جعلَ المولى ﷻ طاعَةَ النبيِّ ﷺ داخِلة في طاعتِه، وذلك تكريماً وتشريفاً لمكانة النبيِّ ﷺ وعُلُوِّ منزلتِه عندَ ربِّه ﷻ، فيُفهَمُ من ذلك الاقتران هو أنَّ طاعَةَ النبيِّ ﷺ بصدقٍ وإخلاص، لهي طريقُ الوصول إلى تحقيقِ رضا الله ﷻ، الأمر الذي يترتَّب عليه راحةٌ في النفسِ وطمأنينةٌ في القلب وسرورٌ وسعادةٌ في الدنيا، ونجاحٌ ونجاةٌ في الآخرة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 33)**. وقول النبي

---

(1) انظر: مفردات غريب القرآن، ج1، ص529 .

(2) صفوة التفاسير للصابوني، ج1، ص58 .

(3) مجموع فتاوى ابن عُثيمين، ج3، ص193 .

ﷺ: **(مَن أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ)** [1]، وإنَّ الحصول على هذه السعادة في الدنيا والفوزَ في الآخرة، مشروطَةٌ بتحقيق طاعةِ اللهِ ورسولِه ﷺ، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: 69)**، وهذهِ الكرامَةُ الرفيعة، إذ يلتقي من خلالها الصديقون والشهداءُ والصالحون عندَ ربهم، فلا تكون إلَّا بأداءِ وتطبيقِ كلِّ ما فرَضَه اللهُ ﷻ على عبادِه، والأخذِ بما سنَّه النبي ﷺ من السُّنَن والنَّوافِل، قال الطبري يعني بذلك جل ثناؤه: "ومَن يطع الله والرسول بالتسليم لأمرهما، وإخلاص الرضى بحكمهما، والانتهاء إلى أمرهما، والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لِطاعته في الدنيا من أنبيائه، وفي الآخرة إذا دخل الجنة [2].

ثانياً: آثار وثمار العبادة التي ترتَّبت على إخلاصِ الطاعة لله ورسوله:

إنَّ المتأمِّلَ والناظِرَ في كتابِ اللهِ ﷻ يجِدُ تكريمَ اللهِ ﷻ لمَن سلَّمَ أمرَه إلى اللهِ ورسولِه طائعاً عابداً مُنقاداً لأوامِرهما ومنتهياً عمَّا نهيا عنه، ولذا لا بد من القيام بهذه العبادة وتحقيقها على الأمر المطلوب، والوجه المناسِب لها بملازمتها للعمَل الصالح، وكافة دروب الخير والبر؛ "لأنَّ العبادة: اسم جامِع لكل ما يُحِبُّه اللهُ ﷻ ويَرضاه، مِن الأعمالِ والأقوالِ الظَّاهِرَة والباطِنة"[3]، **ومن ثمار هذه العبادة ما يلي:**

1 . تحقيق الهداية إلى طريقِ الحق، قال تعالى: **﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: 54)** .

2 . مِن ثمار الإخلاص والطاعة رفعة مكانَة الإنسان عندَ ربه ﷻ، هذا ما بيَّنَه النبيِّ ﷺ لسعد ابن أبي وقَّاص ﷺ: **(فتعمَلَ عملاً تبتغِي به وجه الله ﷻ، إلَّا ازدَدتَ به درجةً ورفعةً)**[4].

([1]) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب مَن يقاتل وراء الإمام، ح 2957، ج4، ص60 .

([2]) تفسير الطبري، ج8، ص530 .

([3]) تفسير السعدي، ج1، ص39 .

([4]) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ح 4409، ج5، ص178 .

3 . دخول الجنَّة، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء: 13)** .

4 . مرافقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في عُلُوِّ الدرجات في جنات رب الأرض والسموات.

5 . الفوز العظيم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 71)** .

هذه الآيات تؤصِّلُ لقاعدةٍ عظيمةٍ جليلة من قواعِد وأُسُس هذا الدِّينُ العظيم، تُبنى على أساس من الإيمانِ والتقوى، وتُراعِي في ذلك أعلى درجات الحُبِّ والقُربِ إلى اللهِ ﷻ، بمعنى أنَّ الإنسانَ المُسلمَ إن أحَبَّ ربَّهُ أطاعَه والتزَمَ بأمرِه، وانتهى عن كلِّ ما يُغضِبُه ولا يُرضيه، والجديرُ بالذِّكرِ في هذا المقام أنَّ المريضَ الذي بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى العلاج، يذهَبُ إلى الطَّبيبِ المُختص، لكي يُشخِّصَ حالتَه، ويكشِفُ على المريض ويفهَم عِلَّتَه والعَرَض بناءً على الفهم الدقيق، الأمر الذي يترتَّب عليه وصف علاج مناسِب له، فيتناوَلَه ويلتزِم بتعليمات الطَّبيبِ خطوةً بخطوة، حتى يتعافى ويشفى من المرض والعَرَض على حدٍّ سواء .

أقول: إن كانَ حالُ البشر تتقيَّد بتعليمات الطَّبيبِ للعلاج، فالانقيادُ للهِ ﷻ ولرسولِه ﷺ بالسَّمعِ والطَّاعة بما أمَرَ به، وتجنُّبِ كُلَّ ما نهى عنه من بابِ أولى، قال تعالى: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر:7)**. وفي ذلك توجيهٌ من المولى ﷻ إلى المُسلِمين أن يأخُذُوا بأوامِرِ الرسول ﷺ، وأن ينتهوا عمَّا نهى عنه ولا تتبعه أنفسهُم، وعدَم مخالفته والتهاوُن بأوامِره ونواهيه، فإن لم يفعلوا فإنَّ الله شديد العقاب لِمَن خالَف وعصى المُصطَفى ﷺ، والأجود أن يكون حُكم الآية عاما في كل ما أتى رسول الله ﷺ ونهى عنه [1].

الخلاصة: إنَّ كلَّ عملٍ يُرجى به مرضاتِ اللهِ ﷻ ينبغي أن يكونَ مُخلِصاً إليه، مقروناً بنيَّةٍ خالصةٍ يُقصَدُ مِن خلالِها الامتثالِ لأوامِرِ الله ورسوله ﷺ، طمعاً في تحقيقِ مرضاته، فيُشتَرطُ

([1]) انظر: الكشاف للزمخشري، ج4، ص503 .

في صِحَّة العمَل حضورِ النيَّة الخالصة كما قال رسول الله ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)** [1]. وقولِه ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ)** [2].

ويجب على الإنسان أن يخلص النية لله ﷻ في جميع عباداته، وأن لا ينوي بعباداته إلا وجه الله والدار الآخرة، وهذا هو الذي أمر الله ﷻ به في قوله: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: 5)**، أي مخلصين له العمل، وينبغي أن يستحضر النية، أي: نية الإخلاص في جميع العبادات، والتي تتحقَّق في ثلاثة أشياء:

1. نية العبادة.
2. ونية أن تكون لله.
3. ونية أنه قام بها امتثالاً لأمر الله [3]. ولذلك فالأفضلُ على الإنسانِ المُسلِمِ أن تكونَ طاعتُه موافقة لشرعِ اللهِ ﷻ، وهذا مِن شأنِه أن يتساوى مَدحُ النَّاسِ له أو ذمُّهم، الأمر الذي يترتَّب عليه إخلاصِ العَمل لله ﷻ بناءً على هذه المعادلة .

سائلاً المَولى ﷻ أن يرزقنا الإخلاصَ في القول والفعل، وأن يُجنِّبنا الرِّياءَ ما ظَهَر منه وما بطَن، ونفعنا وإيَّاكم بالقرآن الكريم والسنة المطهرة وفي كلِّ خير .

المطلب الخامس: الدعوة للإنفاق في سبيل الله

أَمَرَ الله ﷻ المُسلمين بالإنفاق والصدقة على الفقراء والمحتاجين مواساةً لهم وَعَوناً، لِما في ذلك من الأجرِ العظيمِ والثواب الجزيل الذي ترتَّبَ على ذلك، حيثُ إنَّ له من الأجر العظيم ما لا يخفى على مَن استشعَرَ بعظَمةِ هذه العبادة، حين يتحقق فيها الإخلاص وعدم إيذاءِ الغير، رغبَةً بما عندَ اللهِ من الخير، قال تعالى: **﴿وأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: 254)**. هذا وقد حذَّرَ اللهُ ﷻ المُسلمين مِن البُخلِ على مَن هم بحاجة إلى الصدقة مِن مالِ اللهِ الذي

([1]) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ح 1، ج1، ص3 .

([2]) سنن النسائي، من غزى يلتمس الأجر والذكر، ح 3140، ج6، ص25، حكم الألباني حسن صحيح .

([3]) انظر: شرح رياض الصالحين، ج1، ص14 .

أعطاكُم إياه، فقال: **﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء﴾ (محمد: 38).**

سيتناول الباحِث في تفاصيل هذا الموضوع بيانُ حقيقةُ الإنفاق في سبيل الله، والغَرض الذي من أجلِه شُرِعَت، وأثرها على المُنفِق والمُنفَق عليه، بالأدلة والبرهان، وذلك كما يلي:

أوَّلاً: تعريف الإنفاق في الاصطلاح: هو اسم لِما يُنفَق من المال أو غيرِه، وقد يكون واجباً وتطوُّعاً [1]. وقيل: "إخراج المال من اليد" [2].

وقد ذكَرَ اللهُ ﷻ مِن صفاتِ المتَّقين الجليلة أنَّهُم يُنفقون ويتصدَّقون بأموالِهِم بكلِّ حُبٍّ وقَبُولٍ ورضا نفس، وذلك بالرَّغمِ مِن حُبِّ النفس للمالِ، قال تعالى: **﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: 3).** وقد ذكَرَ السعدي مُبيِّناً هذا المعنى في الإنفاق، فقال: "ولم يذكر المنفق عليهم، لكثرة أسبابه وتنوع أهله، ولأن النفقة من حيث هي، قربة إلى الله، وأتى بـ "من" الدالة على التبعيض، لينبههم أنه لم يرد منهم إلا جزء يسير من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم. وفي قوله: **﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾** إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم، ليست حاصلة بقوتكم وملككم، وإنما هي رزق الله الذي خولكم، وأنعم به عليكم، فكما أنعم عليكم وفضلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، وواسوا إخوانكم المعدمين" [3].

فالمُسلم العاقِل بكلِّ تأكيدٍ يُحِبُّ أن يُخرِجَ مالَه في سبيل الله ﷻ ابتغاءَ مرضاتِه، لكَي يستفيدَ من عطاءاتِ اللهِ يومَ القيامة، حينَ يستظِلَّ بظِلِّ عرشِ الرحمن يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظله، قال رسول الله ﷺ: **(سبعةٌ يظلُّهم الله في ظِلِّه يوم لا ظِل إلَّا ظِلّه: الإمام العادِل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه مُعلَّق في المساجِد، ورجُلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجُل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إنِّي أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا**

---

(1) انظر: مفردات غريب القرآن، ج1، ص819 .

(2) الموسوعة القرآنية، ج1، ص3773 .

(3) تفسير السعدي، ج1، ص40 .

تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خالياً فَفاضَت عَيناه) [1]. وفي المُقابِل ربَّما تجِدُ بعضَ النَّاس الذين يتمسَّكون بحطامِ الدُّنيا الزائل ويتشبَّثونَ بها، تكادُ تُزهَقَ روحُه خيرٌ له مِن أن يتصدَّق أو يُخرِج جزء من مالِه للغير، بل إنَّ هذا الصنفُ من الناس البُخلاء إذ يُحذِّرهُم الله ﷻ مِن التمسك بهذه الصفة الذميمة، قال رسول الله ﷺ: **(ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما أاللهُمَّ اعطِ منفِقاً خلفاً، ويقول الآخرُ: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً)**[2]. قال السيوطي: "لَا يذكر الصَّلَاة إِلَّا ذكر مَعهَا الزَّكَاة" [3]، **أقول:** وفي ذلك فائدةٌ وحكمةٌ جليلةٌ تُبيِّن الارتباط والجمع الواضح بين الصلاة التي يتقرَّب بها الإنسانُ المُسلِم إلى اللهِ ﷻ، وبين الزكاة والإنفاق الذي يتقرَّب به إحساناً وعوناً ومواساةً للفقراء رحمةً بهم. الأمر الذي يترتَّب عليه تحقيق الغَرَض من مشروعية الإنفاق والصدقة .

ثانياً: مشروعيَّة الصدقة والإنفاق لغرضَين:

"إن الله جعل الصدقة في معنيين: أحدهما: سدُّ خَلَّة[4] المسلمين، والآخر: معونة الإسلام وتقويته" [5] .

1 . سد خلَّة المسلمين: بمعنى سدُّ الفراغُ أو الفجوة والفُرجة التي مِن خلالها يُعاني المسلمون، إنَّ مِن عظيم العبادات التي دعا إليها الإسلام هو الإنفاق قُربَةً إلى الله ﷻ، والتي يسعى الإسلام مِن خلالِها لحل مشاكِل الفقر في المجتمع الإسلامي، وتقوية أواصِر وروابِط أبناء هذه الأمَّة، وهذا مِن شأنِه أن يجعل المُجتمع يداً واحدة بتحقيق علاقات اجتماعية قويَّة بسبب توفير احتياجاتهم اللازمة .

2 . معونة الإسلام وتقويته: هذا الأمر يتعلَّق بضرورة إنفاق الأموال في دروب الخير، مثلاً: في الجهاد في سبيل الله، لكَي يكون سبباً في تطوير إمكانيات المجاهدين الأمر الذي يترتب

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ح 1031، ج2، ص715 .

(2) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: فأمَّا مَن أعطى واتَّقى، ح 1332، ج2، ص115 .

(3) الدُّر المنثور للسيوطي، ج1، ص68 .

(4) خلة: أي فُرجَة. مقاييس اللغة ج2 ص155 .

(5) تفسير الطبري، ج14، ص316 .

عليه المقدرة على مواجهة الأعداء، والقدرة على حماية البلاد، وكذلك إنفاق الأموال في مراكز تعليم القرآن الكريم، لكي يتم من خلاله إنشاء وتأهيل جيلٍ يتمسَّك بالقرآن وأحكامه علماً وعملاً، مما يجعله متعطِّشاً لحبِّ الوطَن، والتمسُّك بتعاليم الإسلام العظيم، وهذا من شأنِه أن يُصبِحَ الجيلُ جيلاً فريداً تقيًّا. قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ اللهَ إذا أرادَ بعبدٍ خيراً استعملهُ فقيلَ: كيفَ يَستعملهُ يا رسولَ اللهِ؟ قال يوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ الموتِ)** [1].

ثالثاً: الآثار المترتبة على المُنفِق والمُنفَق عليهِ، ويتمُّ بيانها فيما يلي:

1 . أثر الإنفاق على المُنفِق:

أ . يستظِلُّ صاحبها بظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلَّا ظِله، قال رسول الله ﷺ: **(سبعةٌ يظلُّهم الله في ظِلِّه يوم لا ظِل إلَّا ظِلّه: الإمام العادِل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه مُعلَّق في المساجِد، ورجُلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجُل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إنِّي أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجل ذكر الله خالياً فَفاضَت عَيناه)** [2].

ب . الصدقة والإنفاق سبب في بركة الرزق ونماء المال، وحِفظِه من الضياع.

ج . الإنفاق كفيلٌ بأن يجعَلَ من المُعطي إنساناً رحيماً عاطفيَّاً، الأمر الذي يجعله محبوباً بين الناس، ويحظى بمكانَةٍ عالية بينهم .

د . الإنفاق يكون سبباً في دخول الجنة، ومقدمة للوصول إليها، قال رسول الله ﷺ: **(من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة)**[3]. فهنيئاً لِمَن

---

(1) سنن الترمذي، أبواب القدر، باب أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة، ح 2142، ج4، ص18، قال الترمذي صحيح، حُكم الألباني صحيح.

(2) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ح 1031، ج2، ص715 .

(3) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، ح 1798 ، ج4، ص671 .

اتَّصفَ بصفةِ الكَرَمِ مِن خلالِ الصَّدَقة والإنفاق، لِأهميَّتها التي تجعل من المجتمع أمَّةً متماسكة قويَّة، ما يؤدِّي به للتَّغيير نحو الأفضليَّة .

2 . أثر الإنفاق على المُنفَق عليه، ويتم تحقيقها في بعض الأمور، منها:

أ . سدُّ احتياجات الفقراء وغيرهم، وهذا من شأنِه إيجاد حلول لمشكلة الفقر في الأمَّة الإسلامية.

ب . انتشار الأُلفة والتراحُم، وجَلب المحبة بين الناس، ما يؤدِّي إلى تقوية روابِط وأواصِر المجتمع الإسلامي .

ج . إزالة ما في القَلبِ من الأحقادِ والبغضِ لطَبقَة الأغنياء .

د . الشعور بعَظمَةِ الدِّينِ الإسلامي الذي دعا إلى إخراج هذه الصَّدقات إلى مستحقِّيها .

وبناءً على ذلك فقد تتزكَّى وتتطهَّرُ أخلاقُ المُنفِق والمنفَق عليه كما يلي:

1 . أثر الإنفاق على المنفِق، وتَكمُن في تطهيرِ نفسِهِ من الشح والبخل والأخلاق الرذيلة، وتنمي أخلاقه فيتصف بأوصاف الكرماء المحسنين الشاكرين فإنها من أعظم الشكر لله، والشكر معه المزيد دائماً، وتنمي أيضاً أجره وثوابه، فإن الزكاة والنفقة تضاعف أضعافاً كثيرة بحسب إيمان صاحبها وإخلاصه ونفعها ووقوعها موقعها ، وهي تشرح الصدر وتفرح النفس وتدفع عن العبد من البلايا والأسقام شيئاً كثيراً، فكم جلبت من نعمة دينية ودنيوية، وكم دفعت من نقم ومكاره وأسقام، وكم خففت الآلام وكم أزالت من عداوات وجلبت مودة وصداقات، وكم تسببت لأدعية مستجابة من قلوب صادقات. وهي أيضاً تنمي المال المخرج منه، فإنها تقيه الآفات وتحل فيه البركة الإلهية، قال تعالى: **﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ (سبأ: 39)**. والتجربة تشهد بذلك فلا تكاد تجد مؤمناً يخرج الزكاة وينفق النفقات في محلها إلا وقد صب الله عليه الرزق صباً، وأنزل له البركة ويسر له أسباب الرزق.

2 . أثر الإنفاق على المنفَق عليه، وبذلك تُسدُّ احتياجاتِه وضروريَّاتِه، فإن الله ﷻ قد أمر بدفعها للمحتاجين من الفقراء والمساكين فمتى وضعت في محلها اندفعت الحاجات والضرورات واستغنى الفقراء أو خف فقرهم وقامت المصالح النافعة العمومية، فأي فائدة أعظم من ذلك

وأجل، فلو أن الأغنياء أخرجوا زكاة أموالهم ووضعت في محلها لقامت المصالح الدينية والدنيوية وزالت الضرورات واندفعت شرور الفقراء، وكان ذلك أعظم حاجز وسد، يمنع عبث المفسدين[1]، قال ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَغْنِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ قَدْرَ الَّذِي يَسَعُ فُقَرَاءَهُمْ، وَلَنْ يُجْهَدَ الْفُقَرَاءُ إِلَّا إِذَا جَاعُوا وَعُرُّوا مِمَّا يَصْنَعُ أَغْنِيَاؤُهُمْ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ مُحَاسِبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابًا شَدِيدًا، وَمُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا نُكْرًا)**[2].

وقد أشارَ سيد قطب إلى الَّذين يبخلونَ ولا يتصدَّقون من مالِ الله ﷻ، في قوله: "فهو الذي أعطاكم أموالكم، وهو الذي يدخر لكم عنده ما تنفقونه منها. وهو الغني عما أعطاكم في الدنيا، الغني عن أرصدتكم المذخورة في الآخرة. وأنتم الفقراء في الدارين وفي الحالين. أنتم الفقراء إلى رزقه في الدنيا، فما لكم من قدرة على شيء من الرزق إلا أن يهبكم إياه. وأنتم الفقراء إلى أجره في الآخرة، فهو الذي يتفضل به عليكم، وما أنتم بموفين شيئا مما عليكم، فضلا على أن يفضل لكم شيء في الآخرة، إلا أن يتفضل عليكم" [3] .

الخلاصة: إنَّ الإسلامَ دعا إلى الإنفاق في سبيل الله وكافة دروب الخير؛ لكَي يتحقَّق الغَرَض الأساس من مشروعية الإنفاق، وهو تلبية احتياجات المسلمين، وتقوية الدِّين الإسلامي، ما يؤدِّي إلى تزكية النفس عند المُنفِق وتطهيرها من الشح، وانتشار التراحُم والمحبة بين المجتمع الواحِد، وهذا مِن شأنِه تقديم كافَّة الوسائل لمعالجة مشكلة الفقر في المجتمع الإسلامي.

وفي ذلك تتجلَّى منهجيَّة القرآن في معالجة مسألة البخل عند الناس، قال تعالى: **﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء﴾ (محمد: 38).**

بمعنى أنَّ كل شيء فقيرٌ إلى الله دائماً، النَّاسُ بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى رزقِ اللهِ ﷻ لهم، وفقراء للأجر العظيم في الآخرة، فوصف اللهِ ﷻ بالغِنى هو وصفٌ لازِمٌ له لا ينفكَّ عنه،

([1]) انظر الطريق إلى الجنَّة، ج1، ص45 .

([2]) المعجم الأوسط للطبراني، باب اسمه دُلَيلٌ، ج4، ص48 .

([3]) في ظلال القرآن، ج9، ص59 .

ووصفُ الخلقِ بالفقرِ وصفٌ لازمٌ لهم لا ينفكَّ عنهم، بالتالي مَن يبخَل بكلِّ تأكيدٍ فقد حَرَمَ نفسَه وأنقصها الأجرِ العظيم، فيعود وبالُ ذلك عليه [1] .

أقول: في الواقع فقد يأتي على الإنسانِ وقتٌ يمتلكُ فيه المال، فيدَّخِرُ جزءاً منه رُبَّما يحتاجُهُ في وقتٍ من الزَّمان، كما يُقال: **(القِرش الأبيض ينفعُ في اليوم الأسود)**[2]، وهكذا الصَّدقة يُنفِقها الإنسان المسلم، ثُمَّ يدَّخِرها الله ﷻ لهُ، فتكونُ رصيداً وافراً له يوم القيامة، أمَّا البخيلُ الذي حجَبَ المالَ عن الفقراء والمجاهدين ومنعهُم خيرَه، فلا رصيدَ له يوم القيامة والله أعلم.

المبحث الثاني : توجيهات تربوية أخلاقية:

المطلب الأول : النهي عن الإفساد في الأرض وبيان عاقبة المفسدين:

ذكَرَ اللهُ ﷻ في كتابِهِ الكريم النَّهي عنِ الفسادِ والإفسادِ في الأرضِ بآياتٍ كثيرةٍ، وقد دَعَت إلى ذمِّهِ وقُبحِهِ، قال تعالى: **﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ (الأعراف : 56)**، كما وحذَّرَ المولى ﷻ مِن عقوبَةِ المُفْسِدينَ في الأرض باللَّعنةِ والطَّردِ من رحمَتِه، بسببِ عصيانِ أمرِهِ وعدَمِ تطبيقِ شرعه، وقبُولِ منهَجِه الحق السَّوي، قال تعالى: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد: 22– 23)**، قال الطاهر بن عاشور: "وفي الآية إشعار بأنَّ الفساد في الأرض وقطيعة الأرحام من شعار أهل الكفر، فهما جُرمان كبيران يجب على المؤمنين اجتنابهما" [3] .

وقبل البِدء والشروع بتفصيل الموضوع، لا بُدَّ من التَّعرُّف على حقيقةِ الفساد في الاصطلاح، وعقوبة ومصيرِ المفسدين، وصُورِ الفساد عموماً، وأسبابِه التي أدَّت إليه، وآثارِهِ المُترتِّبة عليه، وكيفيَّةِ الخلاصِ منه وعلاجه .

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير، ج7، ص324 .

(2) انظر: دائرة معارف الأسرة المسلمة، ج42، ص181 .

(3) التحرير والتنوير، ج26، ص113 .

أوَّلاً: تعريف الفساد: قال الراغِب: " الفَسَادُ: خروج الشيء عن الاعتدال، قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا، ويضادّه الصّلاح، ويستعمل ذلك في النّفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة" [1]. بالتالي كلُّ اعتداءٍ أو خروجٍ على أصلِ الدِّين، والاعتداءِ على ما يوافِق العقل، والاعتداءِ على المالِ، فهو فسادٌ واضِحٌ نهى اللهُ ﷻ عنه في القرآن الكريم، قال تعالى: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: 22)**، قال السعدي: "أي: فهما أمران، إما التزام لطاعة الله، وامتثال لأوامره، فَثَمّ الخير والرشد والفلاح، وإما إعراض عن ذلك، وتولٍ عن طاعة الله، فما ثَمّ إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام. أُولَئِكَ الَّذِينَ أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم، لَعَنَهُمُ اللَّهُ بأنْ أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله" [2]. مِن الواضِح أنَّ الإعراضَ عنِ امتثال الحقِّ، وتركِ شرعِ الله تعالى، من شأنِه أن ينتشرَ ويعُمَّ الفسادُ في المجتمعات، ويصل إلى حدِّ الحضيضِ، ما يؤدي إلى قُربِ عقوبةِ اللهِ ﷻ بالعذاب الأليم للمفسدين؛ حيثُ إنَّ الفسادَ في الأرضِ مقدِّمة لكُلِّ ما يُغضِبِ اللهِ ﷻ؛ لأنَّه يدخلَ فيه جميع المعاصي، الأمر الذي يترتَّب عليه الفُرقةُ والقطيعة للأهلِ والأقارِب، الذي يُصبح من شأنِه ضعف الروابط الأسريَّة بين الأفراد، وضعف العلاقات الاجتماعية في المجتمع.

ثانياً: عاقبة المفسدين:

1 . إبطالُ أعمالِهم، وعدَم تحقيقِ طموحاتِهم وآمالِهم، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ المُفْسِدِينَ﴾ (يونس: 81)**، قال السعدي: "كل مفسد عمل عملا واحتال كيدا أو أتى بمكر، فإن عمله سيبطل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والمحق، وأما المصلحون الذين قصدُهم بأعمالهم وجهُ الله تعالى، وهي أعمال ووسائل نافعة مأمور بها فإن الله يصلح أعمالهم ويرقّيها وينمّيها على الدوام" [3].

([1]) مفردات غريب القرآن، ج1، ص636 .

([2]) تفسير السعدي، ج1، ص788 .

([3]) انظر: المرجع السابق، ص371 .

2 . إنَّ مصيرَ ومآلَ المفسدين في الأرضِ العقابُ في الدنيا، والعذابُ الشديد في الآخرة، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: 33)**، وهذا بيانٌ من الله ﷻ عن حُكمِ الفساد في الأرضِ، لا جزاء له في الدنيا إلا القتلُ، والصلب، وقطعُ اليد والرِّجل من خلافٍ، أو النفي من الأرضِ، خزيًا لهم. وأما في الآخرة إن لم يتبْ في الدنيا، فعذاب عظيم [1]، فهذا جزاءُ الذي يعادي دينَ اللهِ ﷻ، وقد اعتبره القرآن من الفسادِ في الأرض، والتي أمر الله ﷻ بإعمارها بطاعته والانشغالِ بذكرِه.

3 . إنَّ عاقِبةَ المُفسدين في الأرض، اللَّعنةُ والطَّردُ من رحمةِ الله ﷻ، قال تعالى: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: 22)**، في هذه الآية بيانٌ لسببِ الفسادِ في الأرض، كَونَه متحقِّقٌ في تركِ الجهادِ في سبيل الله، وفي ذلك نهيٌ عن الإفسادِ في الأرضِ عموماً، بل أمَر اللهُ ﷻ بالإصلاحِ في الأرض، بكلِّ الوسائل المتاحة سواءً في المقال والأفعال وبذلِ الأموال[2]. يقول سيد قطب في بيانِ صفة الذين يُفسِدونَ في الأرض وهم المنافقون، "أولئك الذين يظلون في مرضهم ونفاقهم حتى يتولوا عن هذا الأمر الذي دخلوا فيه بظاهرهم ولم يصدقوا الله فيه، ولم يستيقنوه، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وطردهم وحجبهم عن الهدى"[3].

إنَّ المتأمِّلَ في الآيات القرآنية التي تتعلَّق بالنَّهي عن الفساد في الأرض، يظهَر له وجود تفاوُت وتبايُن واضح في درجات الفساد، منها: محاربة دين الله وسفك دماء المسلمين، ومنها: قطعُ الأرحام، ومنها: تركُ الجهاد في سبيل الله، وغيرِ ذلك من صنوفِ الفساد المتعدِّدَة، الأمر الذي يؤدِّي إلى سوءِ العاقبة بهم في الدُّنيا، ومصيرهم ومآلهم العذاب الشديد في الآخرة. حيثُ إنَّ المولى ﷻ قد حذَّرَ مِن الإفساد في الأرض بعدَ أن أصلَحها بإرسالِ الرُّسُلِ والدَّعوةِ إلى طاعتِه، قال تعالى: **﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ (الأعراف : 56).**

([1]) انظر: تفسير الطبري، ج10، ص243 .

([2]) انظر: تفسير ابن كثير، ج7، ص317 .

([3]) في ظلال القرآن، ج6، ص3297 .

قال الإمام ابن القيم –رحمَه الله– في تفسير هذه الآية: "قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله، بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل، وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله؛ فإن عبادة غير الله ، والدعوة إلى غيره، والشرك به، هو أعظم فساد في الأرض" [1].

ثالثاً: مِن صور الإفساد في الأرض:

1 . قطيعة الأرحام، وضعفُ الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الناس، قال تعالى: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: 22)**، كيف لا وقد دعا الإسلامُ إلى التَّجمُّع والأُلفةِ والمحبَّةِ، أمَّا في قطيعةِ الرحم فينتشرُ الفسادُ في المجتمع لما له من الأثر الكبير على تفكُّك الأُسَر، وانعدامِ المحبَّة، وظهورِ مبدأ المصالِح دونَ الانقياد إلى تعاليم الإسلام، الأمر الذي يدفع بالأمَّة نحو الانحطاط والتراجع، مما يجعلها أمَّة نامية رجعية ضعيفة.

2 . مِن صور الفساد في الأرض، القتل بغير حق، فالاعتداء على حرمة الدَّم المُسلم من أكبَر الكبائر، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 93)**. كيف لا وإنَّ زوالَ الدنيا وما فيها أهون عند الله ﷻ من قتل رجل مسلم، قال رسول الله ﷺ: **(لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)** [2]. وقال رسول الله ﷺ: **(لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا)**[3]. وفي ذلك بيان واضح لخطَر الاعتداء على دماءِ المسلمين، وكذلك الحذَر منه لما فيه من زعزعة الأمن ونشر الفوضى في المجتمع .

3 . عصيان أوامر الله ﷻ ورسولِه ﷺ، وعدم الانصياع والانقياد لأوامِر ولِيِّ الأمر الصالح، قال رسول الله ﷺ: **(مَن أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)**[4]، ولقد أمَرَ اللهُ ﷻ عبادَه المؤمنين بضرورة السَّمَع والطاعة له ولرسولِه وللمؤمنين وحضَّهُم على ذلك، في كل حال في الشدة والرخاء، وفي الضيقِ والسَّعة؛ لماذا؟ لأنَّ في السمع والطاعة تعاون الجميع واجتماعٌ للكلمة،

([1]) بدائع الفوائد لابن القيم، ج3، ص14 .

([2]) سنن الترمذي، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، ح 1395، ج4، ص16، قال الألباني صحيح .

([3]) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب ومن يقتل مؤمناً متعمداً، ح 6862 ج9، ص2 .

([4]) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب مَن يقاتل وراء الإمام، ح 2957، ج4، ص60 .

وهذا أصل من أصول الدِّين، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 33)**، وقولِه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم﴾ (النساء: 59).**

إنَّ مِن الواضِح في هذه الآية أنَّ الله ﷻ يدعو النَّاس لِطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله [1].

أقول: إن الفسادَ في الأرضِ لهو هلاكٌ وبلاءٌ للأمَّة جميعاً، وهو ممنوعٌ شرعاً وعرفاً، بكُلِّ صورِهِ والأسباب التي تؤدي إليه، فالإنسان المسلِم التقي الصَّالِح الذي يتخلَّق بأخلاق الاسلام، يُطبِّق هذه التعاليم على أرضِ الواقع، بالتَّالي يستطيع أن يُصلِح البلادَ ولا يُفسِدها. وأمَّا إن كان سيِّئاً في أخلاقِه، منحرفاً في معتقدِه، بكلِّ تأكيدٍ سوفَ يسعى لإفسادِ العبادِ والبلاد على حدٍّ سواء. وقد نهى اللهُ ﷻ الإنسان عن إفسادِ نفسِه، فضلاً عن إفسادِ غيرِه؛ لماذا ؟ لأنَّ اللهَ خلَقَ الإنسان لهدفٍ عظيم، وهو عبادَتُه ﷻ والتَّقرُّب إليه بصالِح العبادات والقُربات، قال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56).** فإن اختَلَّ هذا المقصِد وعدم قيام الإنسان المسلم بمقتضياتِه، يخرج عن الهدَف المطلوب الذي يتمثَّلُ باستقامَتِه، وهذا من شأنِه أن يُصبِح عندَ المُسلِم خَلل في صِدقِ إيمانِه، الأمر الذي يترتَّب عليه سعيِه إلى ما لا يُرضي الله ﷻ دونَ عِلمِه وإدراكِه، مما يُشكِّل خطراً كبيراً عليه وعلى المُجتمَع من الشَّر والبلاء المُتوقَّع .

رابعاً: أسباب الفساد في الأرض:

بيَّنت الوقائع والأحداثِ وآيات القرآن الكريم أنّ كُل فساد يحصُل على هذه الأرض، إنَّما هو بِفعلِ الإنسان لا غير، قال تعالى: **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الشورى:30)** .

اعلَم أنَّ الفسادَ المُشارُ إليه سابقاً ما كان لِيَحدُث سواءً بشكلٍ مباشِرٍ عن قَصدٍ وتعمُّدٍ وإصرار، أو عن غير قصد وعِلم، إنَّما هو بسبب بُعدِ النَّاسِ عن طاعةِ الله ﷻ، وعدَمِ الفَهم

([1]) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص183 .

الصحيح لأحكامِ الدِّين، الذي يدعو إلى إصلاحِ المُجتمعات والدُّول، انتبِه! لا تستطيع أن تُصلِح النَّاسَ، إلَّا إذا بدأتَ بنفسِك، فكُن خيرَ قدوةٍ للغَيرِ حتى تستطيع تعليمهُمُ الخير. قال تعالى: **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: 41)**، ذكَرَ المولى ﷻ الفسادَ في الآية إشارة واضحة للنَّاس بأنَّ الذي أصابكُم مِن الابتلاءات والنكبات، وكثرة المعارِكِ والحُروبِ، وإزهاقِ أرواحِ الآمِنين الأبرياء، والتضييقِ والحصار، والأسْقَامِ والأمراض، إنَّما هو بسببِ تفشِّي المعاصي وقلَّة الطَّاعات، وبسبب ظُلمِ الظُّلَّام مِن الوُلاةِ والحُكَّامِ وغيرهم مِمَّن لا نَعرِفُهُم ولكنَّ اللهَ ﷻ يعلمهم ومُطَّلِعٌ على نواياهُم. قال ابن كثير: "أَيْ: بَانَ النَّقْصُ فِي الثِّمَارِ وَالزُّرُوعِ بِسَبَبِ الْمَعَاصِي، لِأَنَّ صَلَاحَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بِالطَّاعَةِ، وَإِذَا ارْتُكِبَتِ الْمَعَاصِي كَانَ سَبَبًا فِي مِحَاقِ الْبَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"[1]. وقال السعدي في تفسير الآية: "أي: استعلن فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأمراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدّمت أيديهم من الأعمال الفاسدة المفسدة بطبعها ... ﴿**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾ أي: ليعلموا أنه المجازي على الأعمال، فعجّل لهم نموذجا من جزاء أعمالهم في الدنيا، ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت، فتصلح أحوالهم ويستقيم أمرهم)[2] .

خامساً: آثار الفساد في الأرض:

دعا الإسلامُ إلى إصلاحِ الفَردِ وإصلاح المجتمع، أمَّا إذا استمرَّ الإنسانُ وأصرَّ عليه، فسوفَ يترتَّب على ذلك عواقِب وخيمة، تُصيبُ الفَردَ ابتداءً، ثمَّ بالانتقالِ إلى المجتمع كلِّهِ تباعاً، ومن هذه الآثار ما يأتي:

1 . انتشار الفواحِش؛ بسبب فتنة النساء في التعطُّر والإغراء .

2 . إزهاق الأرواح، دونَ مراقبة شرعية، ولا ترهيب من يومِ الحساب .

3 . تدمير الأموال بصرفها في الطُرق غير المشروعة .

4 . وجود الخلافات والنزاعات بينَ الأسرة الواحدة، فضلاً عن بقيَّة صنوف المجتمع .

5 . أن يُصبِحَ المسلمون أذلَّاءَ، بتسلُّطِ الأعداءِ، وبسطِ سيطرتِهم على المسلمين .

([1]) تفسير ابن كثير، ج6، ص320 .

([2]) تفسير السعدي، ج1، ص643.

إنَّ مِن عدلِ الله ﷻ أنَّه لا يُمكِن أن يُسوِّي بين أهلِ الفسادِ، وبين أهلِ الخيرِ والإصلاح، قال تعالى: **﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ (ص: 28)** .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (اعلم أن الله سبحانه أتقن كل شيء صنعه، وأحسن كل شيء خلقه، فهو [أي الشيءُ] عند مبدأ خلقه بريء من الآفات والعلل، تامّ المنفعة لما هيّئ وخلق له، وإنما تعرض له الآفات بعد ذلك بأمور أخر؛ من مجاورة، أو امتزاج واختلاط، أو أسباب أخر تقتضي فساده، فلو ترك على خلقته الأصلية من غير تعلق أسباب الفساد به؛ لم يفسد، ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أن جميع الفساد في جوّه ونباته وحيوانه وأحوال أهله؛ حادث بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه، ولم تزل أعمال بني آدم ومخالفتهم للرسل تحدث لهم من الفساد العام والخاص ما يجلب عليهم من الآلام والأمراض والأسقام والطواعين والقحوط والجدوب وسلب بركات الأرض وثمارها ونباتها وسلب منافعها أو نقصانها؛ أمورا متتابعة يتلو بعضها بعضا. وكلما أحدث الناس ظلما وفجورا أحدث لهم ربهم ﷻ من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم وأهويتهم ومياههم وأبدانهم وخلقهم وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم، من النقص والآفات؛ ما هو موجَب أعمالهم وظلمهم وفجورهم"[1] .

سابعاً: كيفيَّة الخلاصُ من الفساد والعلاج منه:

حَرَصَ الإسلامُ على توجيهِ المُسلم إلى اتباع المُثل العليا، وتتمثَّلُ في التحلي بالأخلاق الحميدة والصفات الحسنة، وهذا من شأنِه الإسراع في معالجةِ الفساد والتخلُّصُ من آثاره المترتِّب عليه وإزالتها، الأمر الذي يترتَّب عليه ثقته بنفسِه، وقُدرته على تغيير نفسِه نحو الأفضل، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11)**، كيفَ لا وقد حارَبَ الإسلامُ الفسادَ منذُ اليومِ الأوَّل الذي جاء به النَّبيُّ ﷺ؛ لكي ينقُلَ الناسَ من ظُلُماتِ الفسادِ إلى نورِ الصَّلاحِ والهداية، وقد حارَبه بكل صوره وأشكاله وسعى للقضاء على أسبابه، بكافة الوسائل والسُّبل المتاحة، للقضاء على كل ما أفسدَه الإنسان؛ فالإسلام منهج حياة، إنَّه منهج القرآن الذي تجاوزَ الزمان والمكان وتجاوز الأشخاص، الأمر الذي جعلَهُ ينقلَ الناسَ من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وقد أتى الإسلامُ لهدايةِ النَّاسِ وانتهاءِ العصبيَّة الجاهلية، ونقلِهِم من الأخلاقِ السيِّئة الذَّميمة، إلى أخلاقِ الإسلام الحسنة الحميدة .

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد، ج4، ص332 .

إنَّ انتهاء الفسادِ والتخلُّصِ من آفاتِه وأضرارِه وآثاره، من شأنِه أن يجعلَ الأمَّة الإسلامية قوية تخشاها كلُّ الأُمَم، وتنهض بها نحو الرُّقي والسُّمو والازدهار .

المطلب الثاني : حرمة قطع الأرحام

دعا الإسلامُ العظيم المُسلمين عموماً إلى صِلَةِ الأرحامِ والأقارب وحضَّ على ذلك، بل إنَّ هذه العلاقة مِن أكثر ما دعا إليها الإسلام ورغَّبَ المُسلمينَ للالتزامِ بها، كيفَ لا وهي تنشُرُ المحبَّة وتزيد الألفة بينَ الأقارِب، وفيها رسالة للتجمُّع وعدَم الفُرقة، وبدُونِها –أي قطيعة الرحم– تكونُ المَفسدة العظيمة من شأنِه التفرقة والتشتُّت بينَ الأسرة الواحدة، الأمر الذي يترتَّب عليه الفساد في الأرض، وبالتالي يستحق القاطِعُ لِرَحمِهِ العقوبةﷻ، قال تعالى: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد: 22– 23).**

سيتناوَل الباحث في هذا الموضوع بإيجاز واختصار، بيان حقيقة الرحم في الاصطلاح، وحُكمِه، وعقوبَةِ القاطِع لرحمِه، وفضائلِه، وآثاره .

أولاً: حقيقةُ صلةُ الرحم: هي الإحسان إلى الأقارِب والرِّقَّةُ معهم والتعطُّف بهم، قال تعالى: **﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف: 81)**، والرَّحْمَةُ: رِقَّةٌ تقتضي الإحسانُ إلى الْمَرْحُومِ[1]. وتتمثَّلُ في زيارةِ الأقارب ومَن تربُطَكَ بهم صلةُ قُرابة، بالاطمئنانِ على أحوالِهم، والسُّؤالِ عنهُم، وتقديم ما استطعتَ به للمحتاجين منهم، وإدخالِ السرور عليهم، والمشاركة في أفراحِهم والمواساة لهم عندَ الحزن، وتذكيرِهم بالله ﷻ .

المراد بأولي الأرحام :

قال ابن باز مبيِّناً مَن هُم أولُوا الأرحام الذينَ تجبُ صلتهم: " الأرحام هم الأقارب من النسب من جهة أمك وأبيك، وهم المعنيون بقول الله ﷻ في سورة الأنفال: **﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ**

([1]) انظر: مفردات غريب القرآن للراغِب الأصفهاني، ج1، ص347 .

بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ﴾ (الأنفال: 75)، وأقربهم الآباء والأمهات والأجداد والأولاد وأولادهم ما تناسلوا، ثم الأقرب فالأقرب من الإخوة وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم"[1]. بناءً على ذلك فقد تبيَّنَ للباحِث، أنَّ الرَّحِمَ نوعان، رحم مَحرَم ورحم غير مَحرَم، وهما على النحو التالي:

1 . **رحِمٌ مَحرَم**، وهو الذي تجِبُ صلتهُم، كالأمِّ وأُمِّها، والبنت وبنتُ الأخ وبنت الأخت، لذا يجِب صلةُ الآباء والأمَّهات وإن عَلُو، والأبناء والبنات وإن نَزلُوا، وغير ذلك مِمَّن يُحرَم عليك الزواج بهنَّ سواءً كانوا وارِثينَ أو غيرِ وارثين .

2 . **رحِمٌ غير مَحرَم**، وهو الذي لا يجِب صلَتهم، لكنَّها تُستحَب، وفي زيارتهم الخير والأجر، كبنت العم والخال، وبنت العمَّة والخالة، إلى غيرِ ذلك مِمَّن يحِلُّ لكَ الزواج بهِنَّ [2].

ثانياً: حُكم صلَةُ الرَّحم، وكيفيته وحكم من قطعهُ:

1 . حكم صلة الرحم:

قال ابن باز: "صلة الرحم واجبة حسب الطاقة الأقرب فالأقرب، وفيها خير كثير ومصالح جمة، والقطيعة محرمة ومن كبائر الذنوب" [3]. قال تعالى: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1)**، وفي بيان إثبات فرض صلة الأرحام، وتعظيم شأنِها، وبيان حقِّها، قال القرطبي: "اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة، وأن قطيعتها محرمة" [4]. وقد رغَّبَ النَّبيُّ ﷺ المسلمينَ بصلة الأرحام، ووعدَهُم بخيرٍ كثير في العُمُرِ والرِّزق الوفير، فقال: **(من سَرَّه أن يُبسَط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)** [5] .

2 . كيفية صلة الرحم:

([1]) فتاوى إسلامية، الأرحام الذين تجب صلتهم، ج4، ص244 .

([2]) انظر: فقه عمَل اليوم والليلة، ج1، ص304 .

([3]) مجموع فتاوى ابن باز، ج9، ص414 .

([4]) تفسير القرطبي، ج5، ص6 .

([5]) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب مَن بُسِط له في الرزق بصلة الرحم، ح 5986، ج8، ص5 .

وذكَر ابن عثيمين في حقيقة صنوف الرحم الواجِب زيارتها، وكيفيتها، فقال: "والرحم: هم القرابة من جهة الأب أو من جهة الأم، وصلتهم بما جرى به العرف والعادة؛ لأن النبي ﷺ لم يبين كيفية الصلة، وكل شيء جاء في الكتاب والسنة ولم يبين فإن مرجعه إلى عادَةِ الناس وعُرفِهِم، وهذا يختلف باختلاف الأحوال والأزمان والبلدان؛ ففي حالة الحاجة والفقر وشدة المؤونة، تكون صلتهم بإعطائهم ما يتيسر من المال وما يسد حاجتهم، وكذلك إذا كان هناك مرضي في القرابة فإن صلتهم أن تعودهم وتتكرر عليهم بحسب ما فيهم من مرض وبحسب القرابة ، وإذا كانت الأمور ميسرة وليست هناك حاجة كما في عرفنا اليوم، فإنه يكفي أن تصلهم بالهاتف أو بالمكاتبة أو في المناسبات البعيدة كالأعياد وغير ذلك، والمهم أن صلة الرحم واجبة، ولكن غير محددة في الشرع فيرجع فيها على ما جرى به العرف وتعارفه الناس بينهم"[1].

3 . حكم من قطع رحمه:

حذَر القرآنُ من قطيعةِ الرَّحم، وجعلَها أساساً للفُرقة والتشتُّت بينَ الأُسَر، وبالتالي تضعُفُ روابِط المجتمع، وقد أكَّد المولى ﷻ النهي عن قطعها، سواء أكانت من جهة الأب أم من جهة الأم، قال تعالى: **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُم﴾ (محمد: 22)**، فقرن قطع الرحم بالفساد في الأرض. واتفق المسلمون على أن صلة الرحم واجبة، وأن قطيعتها محرّمة[2]. قال الزحيلي: "وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموما، وعن قطع الأرحام خصوصاً، وأمر بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب"[3].

إن من يلتزم بصلة الرحم ويحافظ عليها، يستحقُّ بذلك رحمةَ اللهِ ﷻ ومغفرتَه، وينالُ شفاعةَ النَّبيِّ ﷺ في الآخرة؛ لماذا ؟ لأنَّه حرِصَ على تطبيقِ أمرَ اللهِ ﷻ بالامتثالِ والانقيادِ له، وأمَّا الذي امتنَعَ عن زيارةِ وصلةِ الأرحام، فقد خَسِرَ الكثير، وحُرِمَ الأجرَ العظيمِ والثَّوابَ الجزيلِ وعرَّضَ نفسَه للعقوبة، هذا وقد أشارَ النبِيُّ ﷺ، إلى مكانةِ صلةِ الرحم في الإسلامِ، حيثُ إنَّ المولى ﷻ قَرنَ بينَ الرَّحمِ واسمِه، في الحديثِ الذي يرويهِ النبيُّ ﷺ عن ربِّه ﷻ فقال: **(أَنَا اللَّهُ،**

([1]) شرح رياض الصالحين لابن عُثيمين، ج5، ص252 .

([2]) انظر: تفسير المنير للزحيلي، ج4، ص226 .

([3])انظر: المرجع السابق، ص118 .

وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ)[1].
وفي ذلك تحذير من النبي ﷺ إلى عدم قطيعة الرَّحم، لما يترتَّب عليها من عواقِب وخيمة، فلا تُقطَع الرحم، لأن قطيعة الرحم محرمة وهي من كبائر الذنوب، والمراد بالرحم القرابة، وكلما قربت القرابة كانت صلتها أوجب وأوكد، ولذلك لا ينبغي أن تقطع مراعاة للناس أو محاباة لأحد[2].

ثالثاً: عقوبة ومصيرُ قاطِع الرحم:

جاءت الأحاديثُ والأقوالُ من الكتابِ والسُّنة المُطهَّرة، تدعو إلى صِلةِ الرَّحِمِ والالتزام بها، لكي تتآلَف القلوب، وتقوى روابِط الأُسَر فيما بينها، مِن شأنِه يجعلَ المجتمع أكثرَ تماسُكاً وترابُطاً وتكاتفاً، أمَّا بقطيعة الرَّحم فقد تترتَّب عليه عقوبة شديدة مِن المولى ﷻ، **منها:**

1 . اللَّعنةُ والطَّردُ من رحمةِ الله، قال تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُم﴾ (محمد: 22- 23)**، "{أُولَئِكَ الَّذِينَ} أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم {لَعَنَهُمُ اللَّهُ} بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله"[3]. والسؤال الذي يطرح نفسه، هل يَصِلُ الإنسانُ المسلم رحِمَه وهم لا يَصِلُونَه ؟ أقول: في واقعنا اليوم تجدُ بعضَ الأهالي والأُسَر يصِلُونَ مَنْ يَصِلهم، وتجِدُهُم يقطعونَ مَن قطَعَهم، وفي الحقيقة الأمرُ يحتاجُ إلى نوعٍ مِن التَّحدِّي واجتيازِ العقبات بكلِّ حِكمَةٍ وعقلانيَّةٍ، لكَي يتحقَّق بذلك رضا الله ﷻ، بالتَّالي الصِّلَة ينبغي أن تكونَ للهِ ﷻ فقط دونَ مجاملاتٍ لأحَدٍ، أو علاقةٍ تُبنى على منفعةٍ دنيويَّة ومصالِحَ شخصيَّة، فالواصِلُ لرحمِه هو الذي يحرِص على صلتها مهما بلغَت التَّحدِّيات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بُغيةَ تحقيقِ رضا المولى ﷻ، ولا يعتدَّ بقانونِ -إذا وصلَني وصلْتُه، وإذا قَطَعنِي قطَعتُه-، وقد بيَّنَ النبيُّ ﷺ حقيقةَ الواصِل لرحمِه، والذي يَصِلُ رحمَه سواءً وصلُوه أو قطعوه، فقال: **(ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)** [4] .

كما أكَّد المولى ﷻ وشدَّدَ بالعقوبةِ على مَن أصَرَّ على قطعِ رحمِه، باللَّعنَةِ والبُعدِ من رحمَتِه ﷻ، حيثُ إنَّ أساسَ وأصلَ المآسي والمصائب التي تُصيبُ المُسلمين هي في الحقيقة

([1]) سنن الترمذي، باب ما جاء في قطيعة الرحم، ح 1907، ج4، ص315، قال الترمذي صحيح.

([2]) انظر: فتاوى نور على الدرب، ج1، ص1.

([3]) تفسير السعدي، ج1، ص788.

([4]) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ليس الواصِل بالمُكافئ، ح 5991، ج8، ص6.

بسببِ المعاصي والآثامِ ابتداءً، ثُمَّ بقطعِ الأرحامِ والتي مِن خلالها يظهَرُ الفسادُ في الأرض، فقال تعالى: **﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25)**، هَذَا حَالُ الْأَشْقِيَاءِ وَصِفَاتُهُمْ، وَذَكَرَ مَآلَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَمَصِيرَهُمْ إِلَى خِلَافِ مَا صَارَ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَلِهَذَا قَالَ: **{أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ}** وَهِيَ الْإِبْعَادُ عَنِ الرَّحْمَةِ، **{وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}** وَهِيَ سُوءُ الْعَاقِبَةِ وَالْمَآلِ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْقَرَارُ[1].

2 . قاطع الرحم لا يدخل الجنة .

حذَّر النبيُّ ﷺ من قطيعةِ الرَّحم كَونِها مِن كبائرِ الذُّنوبِ؛ إذ بقطيعةِ الرَّحمِ تغمرُ الأحقادِ والشحناءِ والبغضاءِ نفوسَ المُسلمين في الدُّنيا، وعدَمِ دخولِهم الجنَّة في الآخرة، كيفَ لا وهي التي يسعى المسلمون بعبادَتِهم لدخولِها، فهم محرومَونَ الجنَّة طالما قطعوا أرحامَهم، وهذا ما بيَّنَه رسول الله ﷺ في قولِه: **(لا يدخلُ الجنةَ قاطع)، قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي (قَاطِعَ رَحِمٍ)**[2] .

3 . المعاملة بالمِثل، فمَن قطعَ رحمَه قطعهُ الله، فيحرمُهُ البركة، قال رسول الله ﷺ: **(إن الله خلق الخلق. حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة. قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك)** [3] .

قال ابن عثيمين: "وفي هذا الحديث حث وترغيب في صلة الرحم؛ فإذا أردت أن يصلك الله – وكل إنسان يريد أن يصله ربه – فَصِلْ رحمك، وإذا أردت أن يقطعك الله فاقطع رحمك، **﴿جزاء وفاقاً﴾ (النَّبأ: 26)**، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل؛ كان الله له أوصل، وكلما قصر جاءه من الثوب بقدر ما عمل، لا يظلم الله أحداً"[4].

وقال رسول الله ﷺ: **(الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله. ومن قطعني قطعه الله)**[5]. إنَّ المتأمِّل في هذه الأحاديث يجدُ أنَّ اللهَ ﷻ يُعاقِبُ الذين يُصرُّونَ على قطيعةِ الرَّحم،

([1]) انظر: تفسير ابن كثير، ج4، ص453 .

([2]) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح 2556، ج4، ص1981.

([3]) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح 2554، ج4، ص1981.

([4]) شرح رياض الصالحين، ج3، ص186.

([5]) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح 2555، ج4، ص1981.

التي تؤدي إلى النزاع والخلاف والفرقة بين الأهل، وذلك تحذيراً لهم لكي يعودوا ويرتجعوا عن فعلِهِم هذا، وتحويلَه إلى محبةٍ وصلة .

رابعاً: فضائل وثمار صلة الرحم:

بعدَ طولِ تدَبُّر وتأمُّل في آياتِ اللهِ ﷻ، وسنَّةِ نبيِّهِ محمد ﷺ، وما انتهى إليه الباحِثُ بالاطلاع والبحثِ والتنقيبِ، وجَد أنَّ فضائِلَ كثيرةً لِمَن التزمَ بصلَةِ الرَّحمِ، وانقادَ وامتثَلَ لأمرِ الله ﷻ، وما دعاه إليه النَّبيُّ ﷺ، **ومِن هذه الثمار:**

1 . أنَّ بصلَةِ الأرحام، تتحقَّق علامَةٌ من علاماتِ الإيمان، الذي يتحلَّى به المؤمِن تقرُّباً إلى ربِّه ﷻ، قال رسول الله ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)**[1].

2 . صلة الرحم كفيلة بأن تُدخل صاحبها جنات رب الأرض والسموات، حيثُ إنَّ النبيَّ ﷺ قد ربطَ بين عبادةِ الله في العبوديَّة وحدَه لا شريك له، وبين الصلاةِ والزكاة خيرِ الطاعات، فقرنَ بينهم وبين صلة الرحمِ لأهميتها، وقد أجاب النَّبِي ﷺ على الرَّجلِ الذي سأل عن عمَلٍ يدخله الجنَّة، فقال النبيُّ ﷺ: **(تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ)**[2] .

3 . صلة الرحم تكفَلُ لصاحبِها البركة في الرزقِ سواءً كانَ الرزقُ متحقِّقاً في المالِ أو الصِّحة أو الولد أو الزوجة الصالحة، وكذلك البركة في العُمُر، قال رسول الله ﷺ: **(من سَرَّه أن يُبسَط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)**[3]. فالمولى ﷻ بِكَرمِهِ ومنِّتِه، بل وحُبِّه لواصِلِ الرَّحم، أن يُكرِمَه بالبركة في الرِّزقِ، من شأنِه أن يعودَ بالنَّفعِ لهذا الواصِل، كما وتحصُلُ البركة –بركة صلة الرحم– في العُمُر، وهو كفيلٌ بأن يغتَنِمَ عُمرِه بطاعةِ ربِّه وفي كلِّ خير .

الخلاصة: إنَّ من التوجيهات التي لا بد مِن بيانِها بما يتعلَّق في موضوعِ تحريم قطع الأرحام، من خلال سورة محمد الزاخرة بالتوجيهات التربوية، **منها:**

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، ح 6138، ج8، ص32 .

(2) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم، ح 5982، ج 8، ص 5.

(3) صحيح البخاري، كتاب الأدب باب مَن بُسِط له في الرزق بصلة الرحم، ح 5986، ج8، ص5 .

1 . أنَّ صلة الرحمِ واجِبةٌ، وينبغي على المُسلِم الالتزام والامتثال لأمرِ اللهِ ﷻ، لكي يحظى بالخير والبركة، وينالَ الدرجات العالية مِن الجنة .

2 . قطع الرحم كبيرةِ مِن كبائر الذُّنوب، كما أنَّها سببٌ في الإفسادِ في الأرض، بالتَّالي تدفَع صاحبها لدخولَ النار والعياذ بالله.

واعلَم أنَّهُ مَن وصل رحمَهُ وصله الله بالخير والبركة، ومَن قطعَ رحِمَهُ سخِطَ الله عليه وغضِب، فكيفَ لذي عقلٍ ولُبٍّ أن يرغَبَ بدخولِ النَّار الحامية، بسببِ تعنُّتِه وإصرارِهِ على قطعِ رحمِه وعدمِ وصلِها وزيارتها، فاتقوا الله وصلوا أرحامَكُم، ولو قطعوكُم، وأحسِنوا إليهم ولو أساؤوا لكم؛ لكي تدفعوا بذلك الشحناء والبغضاء، الأمر الذي تترتَّب عليه إشاعة المحبّة بين الأقارب.

المطلب الثالث: النهي عن طاعة الذين يكرهون ما أنزل الله

إنَّ الغايةَ مِن خلقِ النَّاس جميعاً هي عبادَةُ اللهِ ﷻ وحدَه، ذلك بأنَّ الحِكمَةَ مِن خلقِهم تتحقَّقُ في الانقيادِ والامتثالِ لأوامِرِهِ واجتنابِ كلِّ ما نَهى عنه، قال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)**، فهذه هي الغاية من وجودِ الإنسان، والتي تَتَمثَّلُ في طاعَتِه، وعدَمِ طاعةِ سواه؛ إذ إنَّ اللهَ ﷻ قد عاقَبَ المنافقين بسببِ طاعتِهم للمشركين، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (محمد: 25- 26).**

أولاً: المراد بالذين يكرهون ما أنزل الله:

لابدَّ مِن بيانِ المُرادِ بالذين كَرِهوا ما أنزلَ الله في هذه الآية، وحُكم طاعة المشركين، والعقوبة التي تترتَّب على ذلك، لكي تصِلَ الرسالة إلى كُلِّ داعٍ إلى الله ﷻ ويسعى إلى تبليغ النَّاسِ أجمعين، وتذكير الغافلين، ودعوتِهم لاتِّباعِ صراطِ اللهِ المستقيم، بإعلامِهم تحريمِ طاعةِ الذين يكرهون القرآنَ وما جاءَ بِهِ مِن أحكام، وضرورةِ الكف عن ذلك.

يقول الرازي: "وَالْمُرَادُ مِنَ الَّذِينَ ﴿كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ (محمَّد: 26) هُمُ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُنَافِقُونَ، وَقِيلَ الْمُرَادُ الْيَهُودُ، فَإِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَالُوا لَهُمْ: نُوَافِقُكُمْ فِي إِخْرَاجِ مُحَمَّدٍ وَقَتْلِهِ وَقِتَالِ أَصْحَابِهِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، لِأَنَّ قَوْلَهُ ﴿كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ لَوْ كَانَ مُسْنَدًا إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ مَخْصُوصًا بِبَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَإِنْ قُلْنَا بِأَنَّهُ مُسْنَدٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَكُونُ عَامًّا، لِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ بِأَسْرِهِمْ، وَأَنْكَرُوا الرِّسَالَةَ رَأْسًا، وَقَوْلُهُ ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ يَعْنِي فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُحَمَّدٍ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ فَلَا نُؤْمِنُ، وَالتَّكْذِيبِ بِهِ فَنُكَذِّبُهُ كَمَا تُكَذِّبُونَهُ"[1].

وذهب القرطبي إلى أنَّ المراد بهم المشركون؛ حيثُ إنَّ المنافقين على استعدادٍ كاملٍ في طاعةِ المشركين، أَيْ فِي مُخَالَفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالتَّظَاهُرِ عَلَى عَدَاوَتِهِ، وَالْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ مَعَهُ وَتَوْهِينِ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ[2].

ويرى الباحث أنَّ المراد من قولِه تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ (محمد: 26)**، هُم المشركون واليهود ومَن على شاكِلتهم، فهو أعَمُّ وأشمَل مِن تخصيص البعض، لأنَّهم عاشوا زَمَن تنزيلِ القرآن، فأنكروا كُلَّ ما فيه مِن أحكامٍ، وغيبٍ وحشرٍ، كما أنَّهم عاندُوا النَّبيَّ ﷺ إذ نصبوا له العداءَ، وقد أخرجوهُ مِن بلدِه الذي وُلِدَ فيها، ولَم يؤمِنوا بنبوَّتِه، ولا بما جاءَ به بعمومِ الأحكام.

قالَ الإمام محمد سيد طنطاوي، مبيِّناً عقاب اللهِ ﷻ للمنافقين في قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (محمد: 26)** "تهديد لهم على هذا الدس والكيد والتآمر على الإسلام وأتباعه. أي: والله– تعالى– يعلم ما يسرونه من أقوال سيئة، ومن أفعال قبيحة، وسيعاقبهم على ذلك عقابا شديدا"[3] .

ثانياً: نهى اللهُ ﷻ نبيَّه محمَّداً ﷺ عن طاعةِ الكافرين والمنافقين سواء، وفي ذلك خطابٌ للأمَّة جميعاً بأن احذروا مِن طاعَتِهم وموالاتِهم والتَّقرُّبَ منهم، لما يترتَّب على ذلك مِن الهلاكِ والفسادِ العظيم ما لا يخفى، مِن شأنِه التقليل مِن هيبةِ المسلمين ومكانتِهم عندَهم، قال تعالى: **﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (الأحزاب: 1)**، وفي ذلك توجيه للنَّبيِّ ﷺ وللأمَّة جميعاً بأن احذروا طاعتَهم ومودَّتهم وموالاتِهم فهو نهي صريحٌ جليٌّ عن طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع توجيههم أو اقتراحهم، والاستماع إلى رأيهم أو تحريضهم، ثم يبقى ذلك النهي قائما في كل بيئة وكل زمان، وفي ذلك تحذير للمؤمنين أن يتبعوا آراء الكافرين والمنافقين، سواءً كان في أمر العقيدة أو أمر التشريع أو أمر التنظيم الاجتماعي

---

(1) مفاتيح الغيب، ج28، ص57 .
(2) انظر: تفسير القرطبي، ج16، ص250 .
(3) الوسيط لطنطاوي، ج13، ص241 .

بصفة خاصة، لكي تبقى هَيْبَتُهُم قائمة ومكانتِهم حاضرة، ولكي يبقى منهجهم خالصا للّه ﷻ غير مشوب بتوجيه من سواه[1]. كما نهى النبيُّ ﷺ المؤمنين عن التشبه بالمشركين والكافرين، قال رسول الله ﷺ: **(من تشبه بقوم فهو منهم)**[2]. قال ابن عثيمين: "ويجب علينا . نحن المسلمين . أن نكره الكفار كرها عظيما، وأن نعاديهم، وأن نعلم أنهم أعداء لنا مهما تزينوا لنا وتقربوا لنا، فهم أعداؤنا حقاً، وأعداء الله عز وجل، وأعداء الملائكة، وأعداء الأنبياء، وأعداء الصالحين، فهم أعداء ولو تلبسوا بالصداقة أو زعموا أنهم أصدقاء، فإنهم والله الأعداء، فيجب أن نعاديهم، ولا فرق بين الكفار الذين لهم شأن وقيمة في العالم أو الكفار الذين ليس لهم شأن"[3] .

وقال ابن تيمية : "وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبِّه بهم، كما في قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة:51)**، فقد يحمل هذا على التشبه المطلق فإنه يوجب الكفر ، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه ، فإن كان كفراً أو معصية أو شعاراً للكفر أو للمعصية كان حكمه كذلك"[4].

ثالثاً: العقوبة المترتِّبة على طاعة المشركين والكافرين:

قد يغترَّ بعضُ المسلمين مِن قدراتِ ومهاراتِ وعلوم العَدو، ولكن ينبغي على المُسلمين ضرورة استشعارِ الفرقُ الكبير بين الصَّفِّ المُسلِمِ وتميُّزه عن صفِّ العدُو، اعلَم أنَّ المُتابِع لِأحوالِ المشركين والكافرين يجدُ أنَّهم في خفايا قلوبِهم حريصونَ على هزيمةِ المسلمين والخلاصِ منهم؛ لذلك فهم يسعون لِصدِّ الناس عن دينِ الله ﷻ وإبعادِهم عن المنهج الواضح المستقيم المنضبِط.

وقد حذَّرنا الله تعالى من طاعة الكافرين وجعلَ عقوبة لمَن أطاعهم، منها:

([1]) انظر: في ظلال القرآن، ج8، ص24 .

([2]) سنن أبو داود، الطيالسي باب في لبس الشهرة، ح 4031، ج6، ص144، قال الألباني في صحيح أبي داود حسن صحيح 3401.

([3]) شرح رياض الصالحين، ج1، ص265 .

([4]) اقتضاء الصراط المستقيم، ج1، ص83 .

1 . إحباطُ العمَل، بيَّنَ اللهُ ﷻ السَّبب الذي أضلَّ الكافرين، وأحبطَ أعمالهم، من خلالِ سورة محمَّد، في قولِه: **﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 8- 9)**،وهذا تصويرٌ لما يحيطُ بقلوبِ الكافرين ويغشى نفوسهم مِن شدَّة الكراهية لما أنزل الله، وهذا السَّبب الذي يدفعُ بهم إلى الخصومة والكفر والعناد، وكان جزاؤهم أن أحبط اللهُ أعمالهم فانتهَت إلى الهلاكِ والضياع[1]، وفي ذلك إشارة إلى مَن يعصي الله ﷻ ويُطيعُ الكافرين الذين يكرهون منهج وشريعة القرآن وما جاء به مِن أحكام، إن أطعتموهُم فسوفَ يُحبِطُ اللهُ أعمالَكُم كما أحبطَ أعمالَ الكافرين.

2 . الخسارة في الدُّنيا بالذُّل، وفي الآخرة ، قال تعالى: **﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (آل عمران/149).** " وهذا نهي من الله للمؤمنين أن يطيعوا الكافرين من المنافقين والمشركين، فإنهم إن أطاعوهم لم يريدوا لهم إلا الشر، وهم قصدهم ردهم إلى الكفر الذي عاقبته الخيبة والخسران"[2].

فلا يتمُّ إيمانُ المرءِ بالكمال إلَّا إذا امتثَلَ وانقادَ لأوامِرِ اللهِ ورسولِه بالسمع وطاعة لهُما، وعدَمِ طاعَةِ سواهُما مِن الكفار والمشركين، لأنَّ هذه هي غاية وحكمَةُ خلقِ الإنسان هي عبادَة الله ﷻ وعدم الإشراك به، لذا فإنَّ العبوديَّة لا ينبغي أن تكون إلَّا للهِ ﷻ، والتَّحاكُمَ إلى كتابِه؛ لماذا؟ لأنَّ اللهَ ﷻ هو المستحق للعبادة دونَ غيرِه، فإن كان التشبُّهَ بالكفَّار والمشركين قد حرَّمَهُ الله ورسوله ﷺ، فطاعتهم محرَّمة مِن باب أولى .

المطلب الرابع: مشروعية الدعاءُ على الكافرين والمنافقين عموماً.

بيَّنَ المولى ﷻ في القرآنِ الكريم، وكذا النَّبيُّ ﷺ في السنَّة النبوية مشروعيَّة الدُّعاء على الكفَّارِ والمنافقين عموماً، وفي ذلك أدِلَّةٌ عدَّة:

أوَّلاً: مشروعيَّة الدُّعاءِ على الكفار والمنافقين عموماً، بالتَّعيينِ في الدُّعاءِ، منها، قولِه تعالى في مشروعيَّةِ الدُّعاءِ على الكافرين عموماً، **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:8)**، وقد ذكَرَ سيِّد قطُب في مشروعية الدعاء عليهم، فقال: "فالدعاء بالتعس قضاء من

---

[1] انظر: في ظلال القرآن، ج6، ص3289 .

[2] تفسير السعدي، ج1، ص151 .

الله ﷻ بالتعاسة والخيبة والخذلان وإضلال الأعمال ضياع بعد ذلك وفناء" [1]. وقوله في الدُّعاءِ على المنافقين ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد:23)**، قال السعدي: "أُولَئِكَ الَّذِينَ أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم، لَعَنَهُمُ اللَّهُ بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله ﷻ، **﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد: 23)** أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم ولا يبصرونه، فلهم آذان، ولكن لا تسمع سماع إذعان وقبول، وإنما تسمع سماعا تقوم به حجة الله عليها، ولهم أعين، ولكن لا يبصرون بها العبر والآيات، ولا يلتفتون بها إلى البراهين والبينات"[2] .

كما ثبت في الإسلامِ العظيم مشروعيَّة وجواز الدعاء على الكفار المعينين وغير المعينين، فمثال الدعاء المُعيَّن في قصَّةِ سيدنا نوح عليه السلام حينما دعا على قومِهِ الذين لم يستجيبوا لدعوتِه، قال تعالى عن لسانِ نوح عليه السلام قوله: **﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: 26)**، حيثُ إنَّه قد دَعَا عَلَيْهِمْ حِينَ يَئِسَ مِنَ اتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ، فَأَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ وَأَغْرَقَ أُمَّتَهُ[3]. فما كانَ دُعَاؤهُ على قومِه إلَّا لأنَّهم صدُّوا النَّاس عن دعوةِ الله ﷻ، وتوجيه القلوب بعيدا عن الدعاة، بمكْرٍ وكيدٍ وإصرار، هنا انبعث من قلب النبي الكريم نوح عليه السلام ذلك الدعاء على الظالمين الضالين المضلين، الماكرين الكائدين، فقال: **﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾(نوح: 24)**، هذا الدعاء المنبعث من قلب جاهد طويلا، وعانى كثيرا، وانتهى- بعد كل وسيلة- إلى اقتناع بأن لا خير في القلوب الظالمة الباغية العاتية، وعلم أنها لا تستحق الهدى ولا تستأهل النجاة، فما كانَ هذا الدُّعاءُ ليكونَ إلَّا بسببِ خطيئاتهم وكثْرةِ ذنوبهم ومعاصيهِم، بالتَّالي أُغرقوا فأُدخِلوا النَّار التي يستحقُّونَهَا، فدعا عليهِم بالهلاك والفناء، فقد ألهم قلب نوح أن الأرض تحتاج إلى غسل يطهر وجهها من الشر العارم الخالص الذي انتهى إليه القوم في زمانه، وأحياناً لا يصلح أي علاج آخر غير تطهير وجه الأرض من الظالمين؛ لأن وجودهم يجمد الدعوة إلى اللهِ ﷻ نهائياً، ويحول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين، وهي الحقيقة

---

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب، ج6، ص3289 .

(2) تفسير السعدي، ج1، ص788 .

(3) انظر: تفسير القرطبي، ج18، ص312 .

التي عبر عنها نوح، وهو يطلب الإجهاز على أولئك الظالمين إجهازاً كاملاً لا يبقي منهم دياراً أي صاحب ديار[1].

وعلى أية حال، فالذي نعتَقِدُهُ أن نوحا ﷺ ما دعا عليهم بهذا الدعاء، وما قال في شأنهم هذا القول – وهو واحد من أولى العزم من الرسل – إلا بعد أن يئس من إيمانهم، وإلا بعد أن أخبره ربه: أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، وإلا بعد أن رأى منهم بعدَ ألف سنة إلا خمسين عاما عاشها معهم، أنهم قوم قد استحبوا العمى على الهدى، وأن الأبناء منهم يسيرون على طريقة الآباء في الكفر والفجور[2].

لذلك كانَ دعاءُ نوحٍ ﷺ على قومِهِ دُّعاءً شَّديداً في عباراتِهِ قويَّاً في معناه، الأمرُ الذي ترتَّب عليه استجابَة المولى ﷻ لدُعائِهِ الساحِق الماحِق الذي مِن أجلِهِ كانَ هذا الدُّعاء، فطهَّرَ الأرضَ وغسلَها مِن أدناسِهِم .

أما لعن الكفار جملة من غير تعيين ، فلا خلاف في ذلك ، وسواء كانت لهم ذِمَّة أم لم تكن ، وليس ذلك بواجب ، ولكنه مباح لمن فعله ، لجحدهم الحق وعداوتهم للدين وأهله [3]

وقال ابن تيمية: "وَالدُّعَاءُ عَلَى جِنْسِ الظَّالِمِينَ الْكُفَّارِ مَشْرُوعٌ مَأْمُورٌ بِهِ، وَشُرِعَ الْقُنُوتُ وَالدُّعَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالدُّعَاءُ عَلَى الْكَافِرِينَ"[4].

كما أنَّهُ ثبت عنه ﷺ أنه دعا على المشركين يوم الأحزاب، فقد روى البخاري بسندِهِ عن علِي بن أبي طالِب ؓ، أنَّهُ قال: كنا مع النبي ﷺ يوم الخندق، فقال: **(ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وهي صلاة العصر)** [5]. قال ابن

([1]) انظر: في ظلال القرآن، ج6، ص3716 .

([2])الوسيط لطنطاوي، ج15، ص126 .

([3]) انظر: تفسير القرطبي، ج2، ص188 .

([4]) مجموع الفتاوى، ج8، ص335 .

([5]) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، ح 6033، ج5، ص2349 .

الملقن [1]: "فيه دليل على جواز الدعاء على الكفار بمثل هذا الدعاء ، وعلى الإخبار بسبب الدعاء لإقامة العذر "[2].

وكذلك دعا على الأحزابِ في قولِه ﷺ: **(اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم)**[3]. وقولِهِ ﷺ: **(اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِى يُوسُفَ)**[4]. فهذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ استخدم أسلوب الدعاء على الكفار المعاندين والذين حاربوا الله ورسوله، فاستخدم الدعاء عليهم في القنوت في الصلاة مما يدل على أهمية هذا الأسلوب – الدعاء – في تصحيح الخطأ وخصوصاً إذا كان عظيماً، مثلما فعل هؤلاء الذين دعا عليهم بعمومهم، أو الذين دعا عليهم بأشخاصهم[5].

وقال رسول الله ﷺ: **(اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد وانقل حماها إلى الجحفة اللهم بارك لنا في مدنا وصاعنا)**[6]. ورد في شرح الإمام النووي، أنَّه قال: " كان ساكنوا الجحفة في ذلك الْوَقْتِ يَهُودًا فَفِيهِ دَلِيلٌ لِلدُّعَاءِ عَلَى الْكُفَّارِ بِالْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ وَالْهَلَاكِ وَفِيهِ الدُّعَاءُ لِلْمُسْلِمِينَ بِالصِّحَّةِ وَطِيبِ بِلَادِهِمْ وَالْبَرَكَةِ فِيهَا وَكَشْفِ الضُّرِّ وَالشَّدَائِدِ عَنْهُمْ وَهَذَا مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً"[7].

ثانياً: الدُّعاءُ على الكافِر المُعيَّن:

إنَّ مِن الواضح في مشروعيَّة الدُّعاءِ على الكفار عموماً، وبناءً على ما سبَق في هذا المطلب فيه جواز الدُّعاءِ على الكفار دون تعيين، أمَّا الدُّعاءُ على الكافر المُعيَّن فلا يتم الشروع بذلك الدُّعاء، لأنَّ الملعون خارج عن رحمةِ الله ﷻ. قال ابن كثير: "لا خلاف في جواز لعن

---

(1) عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدِّين، المعروف بابن الملقِّن، توفي 804هـ، من كثير العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال، أصله من الأندلس، مولِده ووفاته بالقاهرة. الأعلام للزركلي، ج5، ص57.

(2) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ج2، 280 .

(3) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، ح 6029، ج5 ص2349 .

(4) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، ح 6030، ج5، ص2349 .

(5) منهاج الرسول ﷺ، ج1، ص200 .

(6) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء، ح 6011، ج5، 2343 .

(7) شرح النووي على مسلم، ج9، ص150 .

الكفار ، وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ ومن بعده من الأئمة يلعنون الكفرة في القنوت وغيره. فأمّا الكافر المعين : فقد ذهب جماعة من العلماء إلى أنه لا يُلعن؛ لأنا لا ندري بما يختم الله له، واستدل بعضهم بالآية: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)**. وقالت طائفة أخرى: بل يجوز لعن الكافر المعين" [1].

ويبدو للباحِث: أنَّه لا يجوز الدُّعاءُ على سبيل التعيين فيما أظُنُّ واللهُ أعلم؛ لأنَّ اللهَ ﷻ بيدِه الهداية، وهو المتوكِّل والمُتفرِّد بها، قال تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة:272)**، وبناءً على ذلك بكُلِّ تأكيد لا يَعلَمُ الإنسانَ كيفَ يكونُ مصيرّه قبلَ الموت، هل إنَّه يموتُ على هداية مِن الله، أم يموتُ على كُفرٍ ومعصية؟ .

وَأَمَّا الدُّعَاءُ عَلَى مُعَيَّنِينَ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْعَنُ فُلَانًا وَفُلَانًا فَهَذَا قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (آل عمران: 128)**، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُعَيَّنَ لَا يَعْلَمُ إنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَهْلِكَ بَلْ قَدْ يَكُونُ مِمَّنْ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ بِخِلَافِ الْجِنْسِ فَإِنَّهُ إذَا دُعِيَ عَلَيْهِمْ بِمَا فِيهِ عِزُّ الدِّينِ وَذُلُّ عَدُوِّهِ وَقَمْعُهُمْ كَانَ هَذَا دُعَاءً بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْإِيمَانَ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ وَعُلُوَّ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَذُلَّ الْكُفَّارِ فَهَذَا دُعَاءٌ بِمَا يُحِبُّ اللَّهُ"وَأَمَّا الدُّعَاءُ عَلَى الْمُعَيَّنِ بِمَا لَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرْضَاهُ فَغَيْرُ مَأْمُورٍ بِهِ وَقَدْ كَانَ يَفْعَلُ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ يَتُوبُ عَلَيْهِ أَوْ يُعَذِّبُهُ[2]. فقد وردَ في صحيح البخاري من حديثِ ابن عمر ﷺ أنَّه قال: دعا النبي ﷺ في الصلاة: **(اللهم العن فلاناً وفلاناً)**. حتى أنزل الله ﷻ: **﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ (آل عمران: 128)** [3].

وقد ذكر أهل العلم أن سؤال الهداية للكفار والسعي في هدايتهم وحبها لهم أمر مشروع مرغب فيه لأن هداية الناس هي مهمة الأنبياء وأتباعهم. وحملوا دعوة نوح عليه السلام على أنه دعا عليهم بعد اليأس من إيمانهم لما أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، وذكروا كذلك مشروعية الدعاء على الكفار بما يضعفهم حتى يرضخوا للحق[4].

الخلاصة: مِن خلالِ الاطلاع على أقوالِ أهلِ العلم في بيان مشروعية الدعاء على الكفار والمنافقين عموماً، فقد توصَّلَ الباحِث إلى نتيجة، وهي جوازُ الدُّعاءِ على الكُفَّار بالعموم بدونَ تعيين، لذا ينبغي على المُسلم أن يتمتَّع بهذا الخُلق الحميد المنضبط في كيفيَّة الدعاء على

---

(1) تفسير ابن كثير، ج1، ص343 .

(2) انظر: مجموع الفتاوى، ج8، ص335 .

(3) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، ح 6028، ج5، ص2347 .

(4) فتاوى الشبكة الإسلامية، ج10، ص4256 .

الكفار عموماً دون تعيين، وفي ذلك يتم تقديم التوجيهات التربوية مِن هذا الموضوع للقارئ على طبقٍ مِن ذهبٍ، لكَي يكونَ على بيِّنةٍ مِن الأمر .

المطلب الخامس: التحذير من أمراض القلوب : الجبن والفزع عند سماع أمر القتال

إنَّ المتأمِّلَ والناظِرَ في واقع المنافقين وأحوالَهم عندَ سماعِ آياتِ القتالِ في سبيل الله، في ذلك تجِدُ أمراً عجيباً مِن انتشارِ الخوفِ والفزعِ الذي ملأ قلوبَهم، إن دلَّ هذا على شيء فإنما يدُلُّ على فراغِ الإيمانِ في قلوبِهم، بالتالي عدم استعدادِهم لسماعِ الآياتِ التي تتعلَّق بجانِب الجهادِ والقتالِ في سبيل الله، الأمر الذي يترتَّب عليه هروبهم وتراجُعهم مِن ميدانِ المعركة، قال تعالى: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد:20)،** فهذا هو موقفهم مِن آياتِ الجهادِ في سبيل الله، فهم نقيض المؤمنين الصادقين الذين يرغبون وينتظرون في كلِّ لحظة لمواجهة العدو وتكبيدِه الخسائر، حتى تَنعَمَ الأمَّة الإسلاميَّة بالأمنِ والاستقرار، وبدونِ الجهادِ في سبيل الله لا أمنَ ولا استقرار لها، فإذا نزلَت آياتُ الجهاد إذا بأولئك الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وهو وصف من أوصاف المنافقين؛ إذ يفقدون تماسكهم، ويسقط عنهم ستار الرياء الذي يتسترون به، وينكشف جزعهم وضعف نفوسهم من مواجهة هذا التكليف، ويبدون في حالة تزري بالرجال، يصورها التعبير القرآني المبدع صورة فريدة كأنها معروضة للأنظار، في نظراتِهم حالَ نزول التكليف بالجهاد في سبيل الله، وهو تعبير لا تمكن محاكاته، ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى. وهو يرسم الخوف إلى حد الهلع. والضعف إلى حد الرعشة. والتخاذل إلى حد الغشية، فلو أنَّهم أطاعوا اللهَ ﷻ لكانَ خيراً لهم، ودليلُ على صدقِ قلوبِهم، فلما كان الأمر بخلافِ ذلك، فزعوا وارتعبوا وجبَنُوا، والأولى بِهم مِن هذه الفضيحة التي استظلَّت بمظلَّةِ الهَلع والخوف والنفاق، أن لو أطاعوا المولى ﷻ بطاعة تستسلم لأمرِهِ عن طمأنينة، وتنهض بأمره عن ثقة [1] .

([1]) انظر: في ظلال القرآن، ج6، ص3296 .

ويرى الباحث أنَّ صفتَي الجُبنِ والفزعِ موجودتانِ عندَ الإنسانِ عموماً، ودليلُ ذلكَ أنَّه حينَ يسمعُ أو يرى مشهداً مخيفاً غير متوقَّع، مثلاً: كَسماعِ صوت انفجارٍ في مكانٍ قريب، ينتابُه خوف وفزع مؤقَّت حتى يطمئنَّ. أَمَّا المُنافق فهاتان الصفتان ملازمتان له على الدوام حينَ يسمعُ آياتِ القتال أو أمرٍ وتكليفٍ له بالجهادِ في سبيل الله، من أجلِ ذلك لا بُدَّ مِن تناول معنى الخوف والفزع في الاصطلاح، وأسباب مرض القلوب، والعلاجِ منها في هذا المطلب إن شاء الله .

أولاً: أسباب مرضِ القلُوب:

قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **(كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ". قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: "هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ)** [(1)].

إنَّ أهميَّةَ صلاحِ القلوبِ تكمُنُ في البحثِ عن أسبابِ المرَض الذي أصابَ القلبَ، كالحسد وحبِّ الذات والبغض والخوف والفزع وغير ذلك، لا بُدَّ مِن وجود سبب للمرض حتى يتمَّ علاجه والتخلُّص مِن المرَضِ والعرضِ على حدٍّ سواء، وأسبابُ مَرضِ القلوب كثيرة، منها:

1 . عدَم تدَبُّر آياتِ القرآنِ وفهمها، والغفلة عن ذكرِ الله، قال تعالى:**﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)**، أخبَر المولى ﷻ أنَّ صلاحَ القلوب يكمن في فهم آياتِ القرآن وتدبر معانيها، والتَّأمُّلِ في خلقِ الله والتفكر في عجيب خلقِ الكون، لكي يبقى القلبُ صافياً نقيَّاً بعيداً عن شوائب المعصية والغفلة. قال ابن القيم: "فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه، فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً"[(2)] .

([1]) سنن ابن ماجة، باب الورع والتقوى، ح 4216، ج2، ص1409، قال الألباني صحيح .

([2]) الوابل الصيب من الكلِم الطيب، ج1 ص40 .

2 . الإعراض عن ذكرِ الله والبعد عنه، سببٌ لأمراضِ القلوب، قال تعالى: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: 124)**، بمعنى أنَّهُ مَن أعْرَضَ عَنْ ذِكْر الله الذي أمرنا به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه، فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضيقة فيها من الشقاء ما لا يخفى [1].

قال ابن تيمية: "يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ عَامَّةَ مَنْ ضَلَّ فِي هَذَا الْبَابِ أَوْ عَجَزَ فِيهِ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَإِنَّمَا هُوَ لِتَفْرِيطِهِ فِي اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ الْمُوصِلِ إلَى مَعْرِفَتِهِ" [2].

3 . اقترافُ الذنوبُ والمعاصي، واللامبالاة في فعلها، وقد شبَّهَه النبيُّ ﷺ بوصفٍ يليقُ به المقام، في قوله: **(وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا)**[3]. قال ابن القيم: "متى رأيت القلب قد تَرَحَّلَ عنه حب الله والاستعداد للقائه وحل فيه حبُ المخلوق والرضا بالحياة الدنيا والطمأنينة بها فالعلم أنه قد خُسَفَ به. ومتى أَقحَطَت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب وأبعد القلوب من الله القلب القاسي" [4].

ثانياً: علاج مرض القلُوب:

جعلَ الله سبحانه وتعالى علاجَ القلوب وسيلة لتطيره مِن العِلل والأسقامِ والأمراض، فالاهتمام بصلاحِ القلوب هي كفيلةٌ بتغيير سلوكيَّات وأخلاقِ المُسلم نحو الوصول للمُثُل العليا، فصلاح القلب يترتب عليه صلاح الأعمال، وسلامَة القلبِ سببٌ في سعادة الدنيا والآخرة، ومِن أهمِّ العلاج الذي يُساعِد في صلاحِ القلوب:

1 . تدبُّر آيات القرآنِ وفهم معانيه، والتأمُّل في إعجازِه الذي أعجزَ اللهُ به الخلقَ جميعاً إنساً وجنّاً على أن يأتوا بمثله وتحدَّاهم به، فلم يستطيعوا معارضتِه أو الاتيان بمثلِه، ولا يمكِن للإنسانِ المُسلم أن ينقادَ ويمتثِل لأمرِ الله سبحانه وتعالى بالعبادة والقربات، إلَّا بفهمِه الجيد

---

(1) انظر: تفسير الطبري، ج18، ص391 .
(2) الفتاوى الكبرى، ج1، ص143 .
(3) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، ح 6308، ج8، ص67 .
(4) بدائع الفوائد، ج3، ص224 .

لآياتِ القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 57) قال السعدي: هذا القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرهبة. وإذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده"[1].

2 . الإكثار مِن ذكرِ الله والاستغفارِ والدُّعاء، حيثُ إنَّ المولى ﷻ قد أخبرَ أنَّه بذكرِ اللهِ تتحقَّق الطمأنينة وزوال الخوف والفزع، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28). والمعنى أنَّه بذكرِ الله تزكو النفوس وتخشع، وترضى به مولى ونصيرا، فبذكرِهِ دونَ غيره سبحانَه وتعالى تسكن القلوب أنسا به، واعتمادا عليه، ورجاء منه[2].

3 . تحقيقُ تقوى الله وتعظيم حُرمات الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج: 32). قال السعدي: " فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله"[3]. قال ابن تيمية: "فَالْمَقْصُودُ تَقْوَى الْقُلُوبِ لِلَّهِ وَهُوَ عِبَادَتُهَا لَهُ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ. بِغَايَةِ الْعُبُودِيَّةِ لَهُ وَالْعُبُودِيَّةُ فِيهَا غَايَةُ الْمَحَبَّةِ وَغَايَةُ الذُّلِّ وَالْإِخْلَاصِ وَهَذِهِ مِلَّةُ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ. وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ عِبَادَةَ الْقُلُوبِ هِيَ الْأَصْلُ [4]، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) [5] .

اعلم أنَّ القلبَ هو أساسُ الأعضاء، فلا يتمَّ إصلاحُه إلَّا بالعزمِ والنيَّة الصادقة في تحقيقِ الاستقامة له، والاستعانة باللهِ ﷻ بقصد التخلُّصِ مِن أمراضِه التي غمرتْهُ، منها الخوفُ والجزع والفزَع والحسد والبغض وغير ذلك، فالعلاجُ يكمُن في تمسُّكِ المُسلم بالقرآنِ الكريم

(1) تفسير السعدي، ج1، ص366 .
(2) انظر: محاسِن التأويل للقاسمي، ج6، ص282 .
(3) تفسير السعدي، ج1، ص538 .
(4) مجموع الفتاوى، ج17، ص485 .
(5) متفق عليه، ذكرَه البخاري كتاب بدء الوحي، باب فضل مَن استبرأ لدينه ح 52 ج1 ص20، وذكره مسلم ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ح 1599 ج3 ص1219 .

ومنهجه، وتلقُّفَه بالقبول، والعمَل بمقتضياتِه، وذلك بالالتجاء إلى ربِّ الأرضِ والسماء ﷻ، الأمر الذي يترتَّب عليه الانفلات مِن حبائل الشيطان وطُرقِه المليئة بالشهوات والشبهات ما لا يخفى .

المطلب السادس: النهي عن البخل مع السَّعة والاقتدار

دعا الله ﷻ عبادَهُ المسلمين للإنفاق في سبيلِ الله وحضَّهُم على ذلك؛ لِأنَّها صفةٌ جميلة يتحلَّى بها العُبَّادُ الأخيارُ مِن الناس، كيفَ لا وهي أحَدُ مفاتيحِ السَّعادة التي لا ينالَها المُسلِم إلَّا بطاعَةِ ربِّه، وعبادَةُ الإنفاق جزءٌ منها، قال تعالى: **﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد: 7)**. هذا وقد حذَّرَ المولى مِن الشُّحِّ والبُخلِ وجعلها صفةً سيِّئة لمن اتصفَ بها، لذا ينبغي على المُسلمين أن يَحذَرُوا منها وينتهوا عنها، قال تعالى: **﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (محمد: 38)** .

سيتناول الباحث في هذا المطلب الأسبابِ التي دَعت إلى البخل، وآثاره المترتِّبة عليه، وعقوبة البخيل، والعلاجُ منه إن شاءَ اللهُ تعالى.

إنَّ مِن كَرمِ اللهِ ﷻ على عبادِه ولُطفِهِ بهم وأنَّه لا يريدُ أن يشُقَّ عليهم بالإنفاق، وذهابِ الأموال، لكي لا يكونَ ضرراً عليهم، لعلمِه بكُرهِ النَّاسِ لذلك الإنفاق، فهم يمتنعون عن الإنفاق في سبيلِ الله، على هذا الوجه، الذي فيه مصلحة لهم دينية ودنيوية، مع ذلك يبخلونَ ولا يُحبُّونَ أن ينفقوا، فكيفَ بهم لو طلب منهم أموالَهم في غير أمر فيه مصلحة عاجلة؟ مِن بابِ أولى امتناعهم عن ذلك، قال تعالى: **﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (محمد: 38)**. فمن يبخل بالإنفاقِ في سبيلِ الله ﷻ وفي دروبِ الخيرِ المتعدِّدة وعلى الفقراءِ مواساةً وإحساناً لهم، فإنَّه يبخل على نفسِه، لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى، وفاته خير كثير، ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئاً؛ لماذا؟ لأنَّ العبادَ كلَّهم فقراء إلى رحمةِ اللهِ وإلى عطائهِ الواسع، وإلى رزقِه الوفير، قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (محمد: 38)، فأنتم أيها الناس** تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم، لجميع أموركم [1] .

أولاً: الأسباب التي دَعت إلى البخل :

([1]) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص790 .

إنَّ الإنفاقَ في سبيلِ اللهِ والكَرِمِ هو مِن صفاتِ الأخيارِ مِنَ المسلمين، والذي يُسهِم بشكلٍ أساس في رِفعةِ المُؤمِن عندَ ربِّهِ ﷻ، من شأنِه دخولَه الجنَّة مِن بابِ مخصوص يطلَقُ عليه اسم باب الصدقة الذي أعدَّه المولى ﷻ للمُنفقينَ المتصدِّقين في سبيلِه كما أخبرَ النبيُّ ﷺ حيثُ قال: **(من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي في الجنة يا عبد الله، هذا خير: فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان)**[1]. وفي هذا بيانٌ مُحكَمٌ في عظيمِ الأجر الذي وعدَ المولى ﷻ للمتصدِّقين، ونقيضُ ذلك بتمامِه هو البُخل الذي حذَّر المولى مِنه ونهى المسلمين عنه، فما بَخلَ النَّاس عن الإنفاق إلَّا لأسباب عدَّة، يتمُّ بيانُها كما يأتي:

1 . أنَّ المالَ محبوبٌ للنَّفس ومرغوبٌ به، وكذا حرصُ النَّاس عليه، لذا فالإنسانُ يُحِبُّ المالَ بفطرتِهِ السليمة التي فطَرَه الله عليها، قال تعالى: ﴿**وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا**﴾ **(الفجر: ٢٠)**، أي تحبُّون جمعَ المالِ حُبَّاً كثيراً فلا تنفقونَه في خيرٍ[2]. بالتالي حُبُّ الإنسان للمالِ هو الذي دفعَه لعدَم إنفاقِه، ظانَّاً مِن عندِ نفسِه أنَّ الإنفاقَ يُقَلِّلُ مِن قيمةِ المال، والذي يبدو لي أنَّ الحقيقةَ غيرُ ذلك، فالبركَةُ كلُّ البركة في الإنفاق، بل إنَّ المالَ بالإنفاقِ يزيدُ ولا ينقص، قال تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾ **(البقرة: 276)**. بل إنَّكَ تجدُ مَن لا يقتصر بالبخل على نفسِه فحسب، إنما الأسوأ مِن ذلك أن يأمُرَ غيرَه بعدم الإنفاق، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ **(النساء: 37)**، فهم يبخلون بالمال لأن رؤساءهم كانوا لا يعطون أحداً من أموالهم شيئاً، لأن عادتهم الأخذ والمنع، وكانوا أيضاً يأمرون بالبخل، لأن من كان في معصية فإنه يأمر غيره بذلك لكي لا يظهر عيبه، فهم دعاةٌ للبخل، وكذلك يتَّصفون بصفاتٍ ذميمة سيئة بأنَّهم لا يشكرون على ما أعطاهم الله من نعمته، ولا يخرجون الزكاة، فيتظاهرون بأنهم فقراء[3].

2 . سوءُ الظَّنِّ بالله تعالى، وعدَم اليقين بِكَرمِهِ وعطائِهِ الواسع.

([1]) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب مَن جمع الصدقة، ح 1027، ج2، ص711 .
([2]) انظر: زادُ المسير في علم التفسير، ج4، ص444 .
([3]) انظر: بحر العلوم للسمرقندي، ج1، ص302 .

وعدَ المولى ﷻ عبادَه المُسلمين بالبركة في المالِ حالَ إنفاقِه، والحقيقة أنَّ الذي ينفع النَّاس هو الذي ينفقونَه لا الذي يبخلونَ فيه ويُمسكونَ به، على الرغم مِن ذلك تجدُ بعضَ ضِعافِ النُّفوس لا يُحسنونَ الظَّنَّ بالذي رزقَهم –مالِكُ المال ﷻ– وعدَم اليقينِ بكرمِه بأنَّهُ يُخلِفُ عليهم بالعطاء، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ **(سبأ: ٣٩)**.

إنَّ العبدَ المُؤمن بالله تعالى حقَّ الإيمان لا يخشى الفقرَ أبداً؛ لماذا؟ لعظيمِ اليقين باللهِ ﷻ إذ إنَّه موعودٌ برزقٍ وفيرٍ وكَرمٍ كثير، وعلى النَّقيض البخلاء من الناس إذ يُحذِّرهُم الله ﷻ مِن التمسك بهذه الصفة الذميمة، قال رسول الله ﷺ: **(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)** [1]. فيدعو المَلكُ على البخيل بتَلفِ مالِه وضياعِها .

3 . مِن أسباب البخل خشية الإنسان الفقر، وجهلُه بنقصانِ المالِ بالإنفاق وذهابه.

إنَّ مِن حكمَة اللهِ ﷻ وحُبِّهِ لعبادِه جعلَ البركة بالإنفاقِ في سبيلِ الله فكلما تصدَّقَ المتصدِّق بمالِه اتَّسعَ رزقُه ونما، وانشرح صدره وسُرَّ قلبُه وفرح، وزادَ أجره وعَظُمَ ثوابُه، بالتَّالي لا يُمكِن للمالِ أن ينقُص ويذهب أدراجَ الرياح، وإنَّما يُبارَك به ويزدادُ ولا ينقص، قال تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾ **(البقرة: 276)**. قال الجزائري: "يبارك في المال الذي أخرجت منه، ويزيد فيه، ويضاعف أجرها أضعافاً كثيرة"[2]. فلا يخشى الإنسانُ الفقرَ، ولا يبخل بالإنفاقِ في دروبِ الخير، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾ **(محمد: 38)**. فالمؤمن مرزوق وموعودٌ بخيرٍ كثير، فضلاً عن البركة والرزق الذي يُجنيهِ المُتصدِّق بصدقتِه، قال رسولُ اللهِ ﷺ: **(ما نقصت صدقة من مال، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ)** [3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿فأما مَن أعطى واتقى﴾، ح 1442 ، ج2، ص115 .

(2) أيسر التفاسير، ج1، ص268 .

(3) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، ح 2588، ج4، ص2001 .

ثانياً: الآثار المترتِّبة على الكرم والجود:

إنَّ الكَرمِ والإنفاق في سبيل الله يجعل المؤمِنَ صادقاً مع الله ﷻ، الأمر الذي يترتَّب عليه انشراح الصدر، وراحة القلب وطمأنينته، وهذا ما أخبَرَ النَّبيُّ ﷺ في قولِه: **(مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين، عليهما جبتان من حديد، من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق: فلا ينفق إلا سبغت، أو وفرت على جلده، حتى تخفي بنانه، وتعفو أثره. وأما البخيل: فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع)**[1]. فالكريم إذا هَمَّ بالصَّدقة انشرح صدرُه فتوسَّع في الإنفاق، والبخيل إذا حدث نفسه بالصدقة شحت نفسه فضاق صدره وانقبضت يداه، فهو كُلَّما أراد أن يتصدَّق ويُتاجر مع اللهِ ﷻ يتراجَع فيخسَر الربْحَ والخيرَ الكثير[2].

ثالثاً: آثار البخل:

إنَّ البُخل والإمساك عن الإنفاق يجعل العبد غير ممتثِل لأمرِ الله، ومن شأنِه ضعُفت نفسُه، ونقُصَ إيمانُه، الأمر الذي يترتَّب على البخل سوء العلاقات الاجتماعية، ما يؤدي إلى فسادِ المجتمع بالتَّفكُّك والتشتُّت والقطيعة بين أفرادِ المجتمع الواحد، قال رسولُ الله ﷺ محذِّراً مِن عاقبة البخل والأثر الذي يتركُه في المجتمعات: **(اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَن سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ)** [3]. "يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم ويحتمل أنه هلاك الآخرة والثاني أظهر ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة"[4].

يبدو للباحِث: أنَّ الوعيدَ بالهلاك الذي ما كانَ إلَّا بسببِ الظُّلمِ والبخلِ قد ترتَّب عليه هلاكٌ وعقوبة في الدنيا بالقطيعة وسفكِ الدِّماء .

رابعاً: عقوبة وعاقبة البخل:

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل، ح 143، ج2، ص115 .
(2) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج3، ص306 .
(3) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح 2578، ج4، ص1996 .
(4) شرح صحيح مسلم للنووي، ج16، ص134 .

1 . أنَّ البُخلاءَ قد حرَمُوا أنفسَهم مِن نعيمِ اللهِ وفضلِه، وقد يتسلَّطُ الأعداءُ عليهم ويسلبوا أموالهم، لقد أخبر المولى ﷻ أنَّ عاقبة البخل سوفَ تعودُ على البخيلِ ابتداءً، وذلك بحرمانِه الأجر والثواب من الله تعالى، ثمَّ تعودُ وترجِع العقوبة على مالِه بالسَّلب وربَّما بالضياع، بسبب تسلُّط العدو عليه وعلى مَن يُحيطُ به، فلا يأمَن البخيلُ على مالِه وإن كانَ في بيتِه، قال تعالى: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ**﴾ **(محمد: ٣٨)**. قال الزحيلي: "ومن يبخل في الإنفاق، فإنما يمنع نفسه الأجر والثواب ببخله، ويعود وبال ذلك عليه، فإنه بالبخل يتغلب العدو عليكم، فيذهب عزكم وأموالكم، وربما أنفسكم"[1].

يقول ابن القيم: " فإن من بخل بماله أن ينفقه في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته، سلبه الله إياه، أو قيض له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أخرى، بل فيما يعود عليه بمضرته عاجلا وآجلا، وإن حبسه وادخره منعه التمتع به، ونقله إلى غيره" [2].

2 . أنَّ البُخلاء مُتَّصفون بالنفاق:

فقد أخبر المولى ﷻ عن المنافقين الذين قد عاهدُوه إن أعطاهُم ورزَقهُم من فضله، ووسع عليه بالعطاء والخير، ليتصدَّقَوا وليعملَوا بعمل أهل الصَّلاح بأموالهم، فلمَّا رزقهم الله مِن فضلِه فلم يتصدّقوا منه، ولم يصلوا منه قرابةً، ولم ينفقوا منه في حق اللهِ شيئاً، قد بخلو بذلك، فأَخْلَفهم اللهُ نفاقاً في قلوبهم، وحَرَمَهم منَ التوبة إليه إلى يوم القيامة، وذلك عقوبة لهم على بخلهم وسوء اعتقادهم بالله ﷻ[3] ، قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ **(التوبة: ٧٥- ٧٧)** .

---

(1) تفسير المنير، ج26، ص139 .

(2) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج2، ص194 .

(3) انظر: تفسير الطبري، ج14، ص369 .

3 . عدَم مجاورة البخيل للمولى ﷻ في الجنة:

يعيشُ الإنسانُ في الدُّنيا لتحقيقِ هدَفٍ ما، يتمثَّل بالوصولِ إلى أمرٍ مرغوبٍ فيه تتحقَّق فيه أمنيتَه في الدُّنيا، فأسمى أمنياتِ الإنسان في الآخرة هو مجاورة الرحمن ﷻ في جناتٍ عرضها السموات والأرض، فالمحرومُ الذي حُرِم دخولُها، فلا يُجاور اللهَ فيها بخيل، قال رسول الله ﷺ : **(خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَدَلَّى فِيهَا ثِمَارَهَا، وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا، ثُمَّ نَظَرَ فِيهَا، فَقَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: 1)، قَالَ: وَعِزَّتِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكِ بَخِيلٌ)**[1].

فهذه الشواهِد والأدلَّة تدعو للتحذيرِ من البخل والنهي عنه بالكلِّية، ولذلك ينبغي على المُسلِم تحرِّي الصدق مع الله ﷻ بضرورةِ الإنفاقِ في سبيلِه في تعدُّد صنوف الخير، وتنوُّع وجوه البِر سواءً الحِرص بالإنفاق على الفقراء أو على المُجاهدين، أو مراكز تحفيظ القرآن الكريم، أو في بناء المساجِد، كلُّ ذلك رجاءَ تحقيقِ رضوان الله ﷻ ودخولِ الجنة.

خامساً: وسائل تساعِد المُسلم في علاجِ البُخل:

1 . التأمُّل والنظَر في النصوص والشواهِد مِن القرآن والسنة في ذمِّ البخل، والنهي عنه، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ (محمد: 38)** .

2 . الاستعاذة باللهِ ﷻ مِن البُخل، كما كان يدعو نَبِيُّنا محمد ﷺ به، في قوله: **(اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بِك منَ الهَمِّ والحَزَن، والعَجزِ والكَسَل، والجُبْنِ والبُخل)**[2].

3 . التفكُّر في أصناف البخلاء الذين جمعوا أموالَهم وأفنوا حياتَهم في جمع الأموال، ثُمَّ لم يستفيدوا منها بشيء سوى الهَم وكثرة الحسابات، وفي نهاية الأمر تركوها بالموت، وورثها غيرهم، فهو مُفلِس بهذه القضيَّة؛ لماذا؟ لأنَّه ربَّما لم يستثمر مالَه في عبادة اللهِ وطاعتِه .

4 . حُسنُ الظَّنِّ باللهِ ﷻ، حيثُ إنَّ المولى ﷻ قد تكفَّل بأرزاقِ العبادِ، وحفظِها مِن الزوالِ والضياع، بل ويُخلِفُ على المنفِق بالخير والبركة والزِّيادة.

([1]) المعجم الأوسط للطبراني، ح 5518، ج5، ص349، بإسناد جيد .

([2]) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من الجبن، ح 6369، ج8، ص79 .

5 . القناعة والرضا بما قدَّر الله من الطعام والشراب، قال رسول الله ﷺ: **(طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ)**[1].

6 . تحقيقُ تقوى الله ﷻ، وعدَم الخوف مِن قادِمِ الأيام والزَّمان، فليطمئن المُسلم ويُسلِّمَ الأمرَ للهِ ﷻ مالِكَ الكون ومُدبِّره، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ **(الطلاق: 2- 3)**

المبحث الثالث : توجيهات تربوية سلوكية

دعا الإسلام العظيم لغرسِ الأخلاقِ الحميدة في نفوس المُسلمين، بناءً على التوجيهَاتِ التربوية المناسِبة، بأساليبِ متعدِّدة سواءً بالكلمة الطيبة، أو الموعظة الحسنة، لمُعالجة بعض الإشكالات التي تتعلَّق بسلوكِ الفردِ المسلم تعلُّقاً مباشراً وتؤثِّر عليه في حياتِه اليوميَّة.

المطلب الأول: الهداية طريق التقوى

يُحِب الإنسانُ المُسلم أن يتقرَّب إلى الله ﷻ بأفضلِ الأعمال للفوزِ برضاهُ وتحقيقِ رضوانه ودخولِ جنَّاتِه، لذا يسعى إلى المولى ﷻ طَلَباً للهداية والتقوى، التي بينهما تلازُم وترابط بيِّن، ولا يكون تقوى إلَّا وتسبِقها الهداية، بها ينتهي الإنسانُ عن ارتكاب المعاصي والآثام ببعدِه عن الشهوات والمحرَّمات، بالتالي يبحثُ عنها ليضبِطَ نفسَه بالتوجيهات التربوية للامتثال لأحكامِ القرآن، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ **(محمد: 17)**.

وقد بيَّن القرآن الكريم معنى الهداية وألوانِها وأنواعها بآياتٍ كثيرة لا يتَّسع المقام لذكرها هنا، ولكن سيتناول الباحِث معنى الهداية إلى طريق الحق والصلاح، وبيان ألوانِها وأسبابِها، ووسائل تعين عليها للوصولِ إلى حقيقتها .

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنين، ح 5392، ج7، ص71 .

أولاً: المُراد بالهداية: ذكر ابن كثير أنَّها بمعنى: "الإرشاد والتوفيق" [1]، وقال ابن تيمية : "وَلِهَذَا كَانَ أَنْفَعُ الدُّعَاءِ وَأَعْظَمُهُ وَأَحْكَمُهُ: دُعَاءَ الْفَاتِحَةِ **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** (**(الفاتحة: 6- 7)** فَإِنَّهُ إذَا هَدَاهُ هَذَا الصِّرَاطَ: أَعَانَهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ. فَلَمْ يُصِبْهُ شَرٌّ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. لَكِنَّ الذُّنُوبَ هِيَ مِنْ لَوَازِمِ نَفْسِ الْإِنْسَانِ. وَهُوَ مُحْتَاجٌ إلَى الْهُدَى فِي كُلِّ لَحْظَةٍ: وَهُوَ إلَى الْهُدَى أَحْوَجُ مِنْهُ إلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، لَيْسَ كَمَا يَقُولُهُ طَائِفَةٌ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ: إنَّهُ قَدْ هَدَاهُ. فَلِمَاذَا يَسْأَلُ الْهُدَى؟ وَأَنَّ الْمُرَادَ بِسُؤَالِ الْهُدَى: الثَّبَاتُ أَوْ مَزِيدُ الْهِدَايَةِ. بَلْ الْعَبْدُ مُحْتَاجٌ إلَى أَنْ يُعَلِّمَهُ رَبُّهُ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِ. وَإِلَى مَا يَتَوَلَّدُ مِنْ تَفَاصِيلِ الْأُمُورِ فِي كُلِّ يَوْمٍ. وَإِلَى أَنْ يُلْهَمَ أَنْ يَعْمَلَ ذَلِكَ. فَإِنَّهُ لَا يَكْفِي مُجَرَّدَ عِلْمِهِ إنْ لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ مُرِيدًا لِلْعَمَلِ بِعِلْمِهِ وَإِلَّا كَانَ الْعِلْمُ حُجَّةً عَلَيْهِ. وَلَمْ يَكُنْ مُهْتَدِيًا. وَالْعَبْدُ مُحْتَاجٌ إلَى أَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ قَادِرًا عَلَى الْعَمَلِ بِتِلْكَ الْإِرَادَةِ الصَّالِحَةِ"[2].

ثانياً: بيان ألوان الهداية التي من خلالها يتم هداية الإنسان لاتباع طريق التقوى:

ذكَر العلَّامة يوسُف القرضاوي ألوانِ الهداية بأنها تكمُن في كلِّ شيء ليست محصورة على هداية الإنسان فحسب، وإنَّما الهداية لكلِّ شيء، فقال: "كل شيء في الكون هُدِي إلى ما به صلاحه وكماله حتى الحيوانات حتى النباتات حتى الجمادات الأفلاك الشمس القمر النجوم الجبال كل شيء أعطي ما به تمامه وما يحتاج إليه" [3]، قال تعالى: **﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: 50)** يقول الإمام السعدي في بيان ذلك: "أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، { ثُمَّ هَدَى } كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن به على ذلك"[4].

([1]) تفسير ابن كثير، ج1، ص137 .
([2]) مجموع الفتاوى، ج14، ص320 .
([3]) محاضرة للدكتور يوسُف القرضاوي، بعنوان طريق الهداية،، موقع الشبكة الإسلاميَّة .
([4]) تفسير السعدي، ج1، 506 .

إذا تعرَّفَ الإنسان على حقيقة خلقِ الكَون، وسرَيانِ القمر والشمس دون تجاوز أحدهما لمدار الآخر، وحركة دوران الأرض، وتلقيح النَّبات، وعالم البحار، وحركة الرياح وسرعتها وقوة هبوبها، بحيثُ إنَّ جميعَ هذه المخلوقات تتحرَّك بإرادَة الله وتوجيهِه، دون أن يتجاوز أحدُهما الآخر، قال تعالى: **﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾** (**(القمر: 49)**، لو تأمَّل في حقيقتها لعَلِمَ أنَّ للكون خالِقاً مُدَبِّراً قادراً على كلِّ شيء . مثلاً: لو تأمَّل الإنسان إلى الحيوان كالغزالة أو الأرنب وغيره بعدَ ولادَتِه، يتَّجِه نحو ثدي أُمِّه مباشرة بهداية مِن الله له. لكن موضوعنا لهُ علاقة بهداية اللهِ ﷻ للإنسان ليتمسَّك بشريعة الإسلام والامتثال لتعاليمِه، يقول ربُّنا ﷻ: **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: 17)**. فهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدُلُّ على أنَّ القرآن الكريم يخاطب العقول، فالطَّريقُ واضح والمنهج بيِّن، أنَّ المولى ﷻ يَهدي المؤمنين الذين يطلبون هذه الهداية ويتمسَّكون بها، بالتالي يُثَبِّتهم عليها ويزيدَهم هدىً وتقوى، قال المراغي: "أي والذين اهتدوا بالإيمان واستماع القرآن زادهم الله بصيرة وعلما وشرح صدورهم، وألهمهم رشدهم، وأعانهم على تقواه" [1].

ثالثاً: وسائل تعينُ الإنسان للوصولِ إلى الهداية:

يُحب الإنسان المسلم أن يهدِيَه اللهُ ﷻ ويُوفِّقه لكل خير وصلاح ويثبُت على ذلك، فيسلُكَ الطريق الذي من شأنِه الانتقال مِن طريقِ الضلال إلى الهداية، ومن الظُّلمات إلى النور، ومن البغي والفجور إلى أسمى مراتِب الرشاد.

1 . التوبة والرجوع إلى الله ﷻ، ينبغي على الإنسانِ أن يبحَث عن الهداية لنفسِه ويُرشد غيره، فأول خطوة مِن خطوات الهداية هي الإيمانُ بالله ﷻ حق الإيمان، ومِن المُسلَّم به أنَّ الإنسانَ إذا آمَن بربِّه ﷻ يهتدي قلبُه للإيمانِ ما يؤدِّي به إلى حُبِّ الطاعات وبغضِ المنكرات وتجنُّبها، قال تعالى: **﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾** (**(التغابُن: 11)**، وإذا استقرَّ الإيمانُ في قلبِ المؤمِن يسعى بذلك إلى طاعَة ربِّه، فتعلو هِمَّتُه ويُرفع قدره ويقوى إيمانُه، الأمر الذي يترتَّب عليه ازدياد في الهداية التي طلبها، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: 17)**.

([1]) تفسير المراغي، ج26، ص61 .

2 . الدُّعاء، وقد حرِصَ المؤمنون على الدعاء لأنفسهم بالهداية وعدَم الميلِ والزيغ عنها، قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾ **(آل عمران: 8)**، أي لا تميل قلوبنا عن الهُدى والحق بعدَ أن وفَّقتنا لدينِك والإيمان، فلا تُزِغها عن ذلك كما أزغتَ قلوب الآخرين فضلُّوا وأَضلُّوا غيرهم [1]. كما وحرِص النَّبي ﷺ على الإكثار من سؤال الله ﷻ له الهداية، لترغيبِ المسلمين من الإكثار منه، حيث قال ﷺ: **(اللهمَّ إنِّي أسأَلُكَ الهُدَى والتُّقى والعَفافَ والغِنَى)** [2].
فمَن قامَ بهذه الخاصِّيَّة وسألَ الله تعالى الهداية، والتزَمَ بمقتضيات التوحيد، وابتعدَ عن الإشراكِ بالله ﷻ، نالَ ثوابَ الدنيا وثواب الآخرة، وحظِيَ بالأمنِ والاستقرار في حياتِه.

إنَّ تكليفَ المولى ﷻ للمؤمنين بالدُّعاء لأنفسِهم بالهداية أثناءَ الصلاة، دليلٌ واضحٌ على أهميَّة سؤالِ الله ﷻ لهذه الهداية طَلَباً لرضاه، قال تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ **(الفاتحة: 6)**، فالاستمرار على الهداية هو مِن حُسنِ تقوى المُسلِم لربِّه ﷻ لذلك يطلُب دائماً الثبات على الحق والهدى، لكي لا يبتعِد عن الهدى وطريقِ الحق، قال السعدي: "أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علما وعملا. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك"[3].

والسؤال هنا، ما هي الحكمة والفائدة المترتِّبة على أمرِ اللهِ ﷻ للمؤمنين بالدعاء بالهداية في كلِّ صلاة؟ وكذلك توجيه النبي ﷺ للصحابة بالدعاء بالهداية؟ كما رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ ﵁ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ)**[4] .
أقول: الحكمة مِن ذلك الثَّبات على الإيمان والهدى قولاً وعملاً، لأنَّ مِن النَّاس مَن يهتدي للإسلام ثُمَّ يرتدَّ عنه، بالتالي ينبغي على كُلِّ مُسلِم أن يستمر بالدُّعاء دائماً وأبداً بأن يُثبِّتَه اللهُ

---
(1) انظر: تفسير البغوي، ج1، ص413 .
(2) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوّذ من شر ما عمل، ح 2721، ج4، ص2087 .
(3) تفسير السعدي، ج1، ص39 .
(4) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ مِن شر ما عمل، ح 2725 ، ج4، ص2090 .

ﷻ على الهدى وطريق الحق والإيمان، فهذه مُهمَّة النبيُّ ﷺ الرئيسة، إذ أرسله الله لِيُبلِّغَ النَّاس بحقيقة الإيمان وحسن التقوى للرحمن ﷻ، وهي رسالة للمؤمنين بتذكير الناس بالإيمان، ويدلُّهم على منهجِ القرآن، ويوجِّهَهُم للانقياد إلى تعاليم الإسلام، قال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ **(الذاريات: 55)**

إنَّ الهدايةَ بهذا المعنى هي سبب للوصول نحو تحقيقِ الأهدافِ والغايات، والتي تتمثَّل في تحقيقِ مراتِب التقوى وشروطها، مِن شأنِه الإيمان بالله ﷻ حق الإيمان فيُسهِمُ ذلك في التوجيه الضروري للمُسلم بالدرجة الأولى لِلحصول على مرضاتِ الله ودخول جنَّاتِه وتحقيق رضوانه، فهذه هي الهداية التي مِن خلالِها يتَّبع المُسلم طريق الحق، فهو خيرُ الطُّرق وأقرَبَها إلى التقوى، إنَّها الطريقُ المؤديَةِ إلى السعادةِ التامَّة في الدُّنيا، والفلاحِ والنجاةِ من عذابِ اللهِ ﷻ في الآخرة.

المطلب الثاني : التحذير من أقفال القلوب

اعلم أنَّ الله ﷻ قد وجَّهَ المسلمينَ إلى إصلاحِ قُلوبِهم وطهارتِها من الفساد، فالقلبُ أصلٌ لِكلِّ عمَلٍ وقول وفكر، فإذا صَلح القلبُ صلحَ الفكر والقول والعمل، وإذا فسدَ القلب فالجَسدُ هالِكٌ لا محاله، قال رسول الله :ﷺ **(ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)** [1]، لذا فإنَّ مِن الواجِبِ على الإنسانِ إصلاح قلبِه والعناية به ابتداءً، الأمر الذي يدعوه إلى صفاء ونقاءِ النيَّة، والذي من شأنِه حُسنُ تدبُّرُ القرآن، والتعرف على أسراره، والاطلاع على حسنِ ألفاظِه، وروائع عباراتِه، وعجيبِ ترتيبِه، قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ **(محمد: 24)**.

سيتناول الباحث في هذا الموضوع المراد بأقفال القلوب، وأنواع القلوب، والأسباب التي تؤدي إلى فسادها، ووسائل تعين المسلم من التَّخلُّص مِن الأقفال بفتحها وإزالتها.

أولاً: المراد بأقفال القلوب:

([1]) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب فضل من استبرأ لدينِه، ح52، ج1، ص20.

أ . الأقفال: جمع قُفْل، يقال: أَقْفَلْتُ الباب أي أغلقته، وقد جُعِل ذلك مثلا لكلّ مانع للإنسان من تعاطي فعل، فيقال: فلان مُقْفَلٌ عن كذا [1]. وقيل: رجل مُقْفَل اليدَيْن: أَي بَخِيل[2]. والمقتَفِل من النَّاس: الَّذِي لَا يُخرج من بَين يَدَيْهِ خيرا[3].

ب .القلوب: سمّي به لكثرة تَقَلُّبِهِ، ويعبّر بالقلب عن المعاني التي تختصّ به من الرّوح والعلم والشّجاعة[4]. القلب: لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان[5].

ج .إذن أقفال القلوب: هي السدود والحصون المتينة التي تمنع تدَبُّر القرآن وغيره مِن العلوم، والتي تمنع الخير مِن دخول القلب وسبيل الوصول إليه.

قال ابن القيم: "وقد قسم الصحابة القلوب إلى أربعة، فقوله "قلب أجرد" أي متجرد مما سوى الله ورسوله، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق. و"فيه سراج يزهر" وهو مصباح الإيمان: فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغي، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان.

وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر؛ لأنه داخل في غلافه وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، كما قال تعالى، حاكيا عن اليهود: **﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ (البقرة: 88).** وهو جمع أغلف، وهو الداخل في غلافه، كقلف وأقلف، وهذه الغشاوة هي الأكنة التي ضربها الله على قلوبهم، عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله. فهي أكنة على القلوب ووقر في الأسماع، وعمى في الأبصار، وهى الحجاب المستور عن العيون في قوله تعالى: **﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِى آذَانِهِمْ وَقْراً﴾ (الإسراء: 45-46).** فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة، ولّى أصحابها على أدبارهم نفورا.

([1]) المفردات في غريب القرآن، ج1، ص679 .

([2]) المخصص، ج1، 249 .

([3]) تهذيب اللغة، ج9، ص134 .

([4]) المفردات في غريب القرآن، ج1، ص681 .

([5]) التعريفات، ج1، ص178 .

وأشار بالقلب المنكوس– وهو المكبوب– إلى قلب المنافق، كما قال تعالى: **﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ (النساء: 88)** . أي نكسهم وردهم في الباطل الذى كانوا فيه، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة وهذا شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد الباطل حقا ويوالى أصحابه، والحق باطلاً ويعادى أهله، فالله المستعان.

وأشار بالقلب الذي له مادتان إلى القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان ولم يزهر فيه سراجه، حيث لم يتجرد للحق المحض الذى بعث الله به رسوله، بل فيه مادة منه ومادة من خلافه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، والحكم للغالب وإليه يرجع"[(1)].

فهذا توجيهٌ تربوي بأسلوب راقٍ يدُلُّ على إمكانية الوصول إلى درجة الإيمان بالعمل الصالِح، من شأنِه يتمتع القلب بنور الإيمان والعلم والفهم والمعرفة، والبعد عن قلوب الكفر والنفاق بتجنب اتباع طريق الباطل من شأنِه البعد عن المعاصي وارتكاب الذنوب والآثام.

ثانياً: الأسباب التي تؤدي إلى أقفال القلوب:

إنَّ القلبَ مهما أثقلته الذُّنوب، وانتابتْه الهموم، وحلَّت به المصائب، فلا يُمكِن إصلاحُه إلَّا بالإيمانِ والتقوى، فأهلُ العِلم والفهم والمعرفة يبصرون ذلك، ويتبيَّن لهم أنَّ الأقفال تحتاج إلى مفاتيح لفتحها والتخلُّصِ مِن آثارها، لكي يُفتح للقلبِ المجالِ لتدبُّر القرآن وفهم معانيه، قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24).**

ولكي يتيح للقلب فهم القرآن وتدبُّر معانيه، فلا بدَّ من التعرُّف على أسباب أقفال القلوب التي تحول بين القلب وفهم القرآن، وهي على النحو الآتي:

1 . الذُّنوب والمعاصي، للعلم إنَّ أمراض القلوب لها أقفال كثيرة، الأمر الذي يترتَّب عليه عدَم تدبُّر القرآن، فكيف لقَارِئ القرآن أن يُحسِنَ التدَبُّر وهو قاطِع لرحمِه، أو يغشُّ في المكيال والميزان، أو عاقٌ لوالدَيه، أو مُصر على النظر إلى ما حرَّمَ الله ﷻ، أو ظالِمٌ لشعبِه أو مَن يعول، فكيفَ به أن يتدَبَّرَ القرآن ويتأمَّل في آياتِه وحِكَمِه وقد غطَّت وأطفأت الذُّنوبَ نورَ قلْبِه؟ قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)**. وقال رسول الله ﷺ:

([1]) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج1، ص12 .

(إنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ)[1]، قال تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: 14).** بمعنى أنَّ الإنسان إذا أخطأ أو أذنَبَ نُقِشَ على قلْبِه نقطة سوداء، فإن تابَ وأقلَع عن المعصية وترَكَها، وسأل الله المغفرة مُحِيت عنه السيِّئة وانجَلَت، وإن عاد إلى ما اقترفه أو عاد في الذنب، والخطيئة زيد في النكتة السوداء نكتة أخرى، وهكذا حتى تُطْفِئ تلك النكت نور قلبه فتغمى بصيرته، ويغشاها الران وهو الطبع والتغطية والدنس، وهو أيضًا الصدأ الذي يعلو السيف والمرآة[2]. قال ابن القيم: "إنَّ الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين، قوله تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: 14)**، قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت قلبه، وقال غيره لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية فاذا زادت غلب الصدي حتى يصير رانا ثم يغلب حتى يصير طبعا وقفلا وختما فيصير القلب في غشاوة وغلاف فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار أعلاه أسفلَه فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد" [3].

لِذلك رُبَّما يستطيع الأعداء اليهود منهم وغيرهم أن يدخلوا على الحُكَّامِ مِن هذا الأمر، كُلٌّ بحسَبِ ميولِه الذي يميلُ إليه، مثلاً: يميلُ بعاطفتِه تجاه النساء يأتوا له بالنساء، يميل بحُبِّه للمال يأتوا له بالمال، يميل للمنصب يُنصِّبوه المنصب الذي يريد، وهكذا فقد يأتوا للعاصي الذي غمرتْهُ شهواتِ الدُّنيا الفانية، ويلهث خلفَ حطامها الزائل، فيأتوه حسب الشهوات التي يحبها ويميل إليها. وهذا من شأنِه أن يقع بأيدِيهِم، بالتالي يُصبح أداةً لهم على أهلِه وبَلَدِه، لكي يُنفِّذَ تعليماتِهم، ويُحقِّقَ مرادَهم وطموحاتِهم وآمالِهم سعياً للوصول إلى أسمى غاياتِهم وأهدافِهم التي يرنو إليها. أما المسلم العابِد الزاهِد المجاهد الذي يضع الدُّنيا كلِّها في يدِه فإن أوشكَت دخولَ قلبِه تركها ورماها خلفَ ظهرِه، وضرب بها عرضَ الحائط غيرَ مهتمٍّ بها ولا يسأل عنها، بالتالي

---

(1) سنن الترمذي ، باب من سورة ويل للمطففين، ح 3334، ج5 ص434، قال عنه حسن صحيح، قال الألباني حسن.

(2) انظر: مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج8، ص42 .

(3) الجواب الكافي، ج1، ص39 .

هو مغلق عن الشهوات متحصن بإيمانه وتقواه، لأجل ذلك من المستحيل أن يسيطِر العدُوُّ عليه ليُسقِطه ويصبح أداةَ شرٍّ بيدِه كالعُصاة والظالمين من أبناء هذه الأُمَّة الذينَ هم عالَةً على شعوبِهِم واليد القاسية الثقيلة عليهم.

2 . تعرُّض الإنسان المسلم للفتن، ومنها فتنة المال والنساء والولد، فهذه شهوات تزيَّن للإنسان ومرغَّبٌ بها، قال تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: 28)**، فقد أخبَر المولى ﷻ أنَّ الأموال والأولاد فتنة يبتلي بهما عباده، وأنها لا قيمة لها إن آثرها على طاعة الله، فالخير كل الخير موجود عند الله ﷻ وبيدِه كل شيء، فإن كان لكم عقل ورَأْيٌ، فآثروا فضله العظيم على لذة صغيرة فانية مضمحلة، فالعاقل يوازن بين الأشياء، ويؤثر أولاها بالإيثار، وأحقها بالتقديم[1]. وقال رسول الله ﷺ: **(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ)**[2]. بمعنى أنَّ الفتنةَ تدخل في قلبِ الإنسان المسلم بسبب اتِّباع هواه ومرادَه في معصية الله ﷻ، بالتالي تُخالِط هذه المعصية القلب وتحلَّ منهُ كما يحِلُّ الشراب في الكأس، حينها لا يعلَق في قلبِه خير ولا عدْل ولا حكمة، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، لذا فقد يغمُر القلب ظلمةٌ بتعاطي هذه المعاصي، بالتالي يذهب عنه نور الإسلام وبركة القرآن، فإذا ردَّ الفتنة، وتحلَّى بطاعة الرحمن وتخلَّى عن طُرق الشيطان، يصبح القلب طاهراً نظيفاً سالِماً من الخلل[3]. قال ابن القيم: "والفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات، وفتن الشبهات ، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى : توجب فساد القصد والإرادة، والثانية : توجب فساد العلم والاعتقاد" [4].

3 . اتِّباع رفقاء السوء، لِما لهؤلاءِ أثر سلبي واضح على أصدقائهم، فيسحبونَهم إلى اتباع الشهوات والأهواء والملهيات، فكيفَ لهم أن يُذكِّرونهم بالله ﷻ وهم أهلٌ للمعصية والشقاء والبلاء، فهم أشقياء في الدنيا وأعداء في الآخرة، قال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**

([1]) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص319 .

([2]) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً، ح 144، ج1، ص128 .

([3]) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ج2، ص173 .

([4]) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج1، ص12 .

يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا* يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: 27– 29).

ثالثاً: وسائل تعين المسلم للتَّخلُّص مِن الأقفال بفتحها وإزالتها،

اعلَم أنَّ سعادةَ الإنسانِ المُسلمِ في الدُّنيا ونجاتَه في الآخرة تتمُّ بتوجيهٍ تربويٍّ لإنقاذِه مِن إشكالاتِ أقفال القلوب، وحسنِ فكِّها والتخلُّص منها وإزالتها، للوصول إلى طريقِ الهدَى والرشاد، يقول ابن عُثَيمين –رحمَه الله–: "فالسَّريرة لها شأنٌ عظيم في توجيه الإنسان، فالقَلبُ هو المُوجِّه للإنسان وهو الأصل، لذلك يجِب أن نُلاحظ القلوب" [1]. ومِن هذه الوسائل:

1 . التوبة والافتقار إلى اللهِ الغفار، قال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد: 19). أقول:** فلا يمكن للمُسلم أن يُحقِّقَ ويصل إلى مرتبة صفاءِ القلبِ ونقائه صفاؤه من الأدران والأوساخ والصَّدأ الذي أصابَه وحلَّ به إلا بإزالتِها والتخلُّص منها، ويكمُن ذلك في اتباعِ مسيرة العودة إلى الله ﷻ وسرعةِ الرجوعِ والإنابَةِ إليه.

2 . اتباع هدي المصطفى محمدﷺ، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: 31)** . فطريقُ الإسلام واتباع هدي المصطفى الإمام يتحقق بهذه الوسيلة تفكُّك الأقفال، بالتالي تُفتح القلوب للخير.

3 . ازدياد الإيمان بكثرة ذكر الله ﷻ والخوف منه، لقد وجَّه النبيُّ ﷺ صحابتَه الكرام أحسن توجيه بالاهتمام بإصلاحِ قلوبهم ورعايتها والعناية في اتِّباعِ سُبُل الخير والهدى، إذ إنَّ النَّبيَّ ﷺ نفسَه كان يُكثر من ذكر اللهِ ﷻ، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الأنفال: 2)**، وقد كان النبي ﷺ يدعو بإصلاح القلب لاعتنائه خير اعتناء بذلك القلب لأهميَّته، في قوله ﷺ **(اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا)** [2].

---

[1] مجموع الفتاوى ابن عُثيمين، ج3، ص192 .
[2] صحيح البخاري، كتاب باب الدعاء، ج8، ص69 .

4 . الاعتراف بالذنب والخطأ الذي وقع فيه والعِلم به لكي لا تكون حاسة قلبِه معطَّلة وفي غفلة، ولا تستجيب لأي شيءٍ فيه غضبُ الله ﷻ، الأمر الذي يدعوه إلى سعةٍ في القلبِ وانشراح الصَّدر.

واعلم أنَّكَ تجد كثيراً مِمَّن فقدوا أبصارَهم ولكن لم يفقدوا بصيرة قلوبهم، قال تعالى: **﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: 46)**، فالعبرة بصفاء القلب ونقائه من الأقفال والأمراض التي اعترته وغشَتْهُ، فهؤلاءِ يسيرون على هذه الأرض المباركة وكأنَّ ما بهم شيء من العجز، إذ إنَّهم يشاركون المُبصرين في كلِّ شيء، بالرغم من فقد أبصارهم ولم يهبهم الله النظر إلَّا أنهم مبدعون يضاهون المبصرين في بعض الأمور كالعلم والذَّكاء، وحسن الأسلوب في الحوار، وأدب التخاطُب، والوعظ والإرشاد، والقدرة على استخدام الوسائل الالكترونية والتواصل عبرَ منصات التواصل الاجتماعي على الإنترنت، كالفيس بك، واليوتيوب، والتويتر، والواتس أب وغير ذلك، حيثُ إن بعضهم قد ارتقى بنفسه إلى أعلى المراتِب العلميَّة والفكرية.

5 . تدبُّر القرآن وفهمه والعمل بمقتضاه وتطبيقِ أحكامِه، بذلك تستطيع أن تحكم على قلبِك بإزالة الأقفال والموانِع التي تحول بينها وبين تدبُّره، قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)**. قال سيد قطب في طبيعة الأقفال هذه التي تحول بينها وبين تدبر القرآن: "فهي تحول بينها وبين القرآن وبينها وبين النور؟ فإن استغلاق قلوبهم كاستغلاق الأقفال التي لا تسمح بالهواء والنور"[1]. إنَّ القارئ يكون مشغولًا بالطرب عن معنى القرآن وهدايته وعظاته فلا يتدبره، ولا يدرك معناه، ويكون على قلوب أقفال بما يحدثه التغني والتطريب، والاجتهاد في إثارة النفوس لا لتتعظ، ولكن لتضع ستارًا بينها وبين ما في القرآن"[2].

6 . لزوم التوجُّه بحُسنِ الدُّعاء وطَلَبِ نقاء القلبِ مِن أمراضِه، حيثُ إنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُحِبُّ أن يعتني بقلبِه خيرَ اعتناء، ويصونَه عَن مِن كُلِّ شيءٍ قد يُصيبه، عن أنَس ﷺ قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يُكثِر أنْ يقولَ: **(يا مُقلِّبَ القُلوب ثبِّت قلبي على دِينِكَ)**[3]. وفي ذلك رسالة إلى الذينَ أصابَهم مِن أمراضِ القلوب كالفزع والجُبن والبخل وغيرها التَّقرُّبَ إلى ربِّهم ﷻ بالدُّعاء ليُطَهِّر

([1]) في ظلال القرآن، ج6، ص3297 .

([2]) المعجزة الكبرى القرآن، ج1، ص423 .

([3]) سنن الترمذي، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ح 2140، ج4 ص448، قال الترمذي: حديث حسن. وقال الألباني: صحيح.

قلوبهم منها، كما يحرصون على تجديد النِّيَّة للمولى ﷻ بالسَّعي نحو التغيير والإصلاح، وذلك بتجديد الإيمان وطاعة الرحمن ليتم ذلك زوال الأقفال والتخلُّص مِن آثارها.

الخلاصة: اعلم أنَّ طهارةَ القلبُ وسلامَتهُ مِن الأقفال التي تتمثَّل في الإعراضِ عن منهجِ الله والاستعلاء عليه، يجعل القلب صافياً نقياً وقد امتلأ نوراً وحكمة، أمَّا باتِّباعِ الباطِل ومسلكَ الشيطان فإنَّه بذلك قد غطَّى قلبَهُ بالأقفال والأمراض كالجبن والفزع عند سماع آيات القتال، والبخل والشح عن الإنفاق في سبيل الله، والكذِبُ والحقدُ والحسدُ وغير ذلك مِن أقفال القلوب التي تجعلُ القلبَ خرِباً وقد اتَّسخ مِن أدران الذنوب والمعاصي، فيصبح كالبيتِ المهجور الخرِب الذي استغنَى عنْه أهلُه بهجرانِه، وقد حلَّ محلَّهم الغبار، والحشرات، وربَّما أصبحَ يدخله الحيوانات والدَّواب إذ يكون مسكناً لهم، ومحلّاً لأكياس القمامَة والقاذورات ومكباً للنفايات، لخلُوِّها مِن الحياة الآدميَّة التي تُعمِّرها بالقرآن وذكرِ الرحمن ﷻ، لكن ببعدِ هذه القلوب عن طاعة الله ﷻ فقد تكون خَربة لا حياة فيها، قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ)**[1]. وقد أطلق على الجوف معنى القلب، وفائدة تشبيه القلب بالبيت الخرب كجوف الإنسان الخالي عما لا بد منه من التصديق والاعتقاد الحق والتفكر في آلاء الله ومحبته [2].

المطلب الثالث: الأمر بتَدَبُّر القرآن وفهمه

ساهم القرآن الكريم في وضع الأُسس والضوابط والقواعِد المحكمة لِمَن أراد أن يفهم ويتمعَّن ويتدَبَّر آياتِه، من شأنِه التعرُّف على عجيبِ تأليف القرآن وروعة نظمه، وأسرارِ بلاغَتِه وبيانِه، حيثُ إنَّ القرآن الكريم كتابُ هداية وتوجيهٍ وإرشاد وإعجاز، وهذا يسهِم في توجيهِ الأمَّة الإسلامية توجيهاً صحيحاً واضحاً وضوح الشمس في وضح النَّهار؛ لذا من الواجِب على المُتَّبع والمتمَسِّك بمنهجِ القرآن حُسن تلاوته وفهمه فهماً دقيقاً، الأمر الذي يترتَّب عليه زيادة في التفكُّر والتأمُّل بما فيه من أحكام وعِبر، قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد:24)**.

قال الطبري: "أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله ﷻ التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه ﷺ ويتفكرون في حجحه التي بينها لهم في تنزيله، فيتعلموا بها خطأ ما هم

---

(1) سنن الترمذي، باب، ح 2913، ج5، ص177، قال الترمذي: حسن صحيح .

(2) انظر: فَيض القدير، ج2، ص382 .

عليه مقيمون؟ أم أقفل الله على قلوبهم، فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر"[1]. وفيها الأمرُ بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتَفَهُّمِ معانيه البليغة، وَالنهي عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنْهُ[2]. هذا وقد أنكر الله في هذه الآية على المعرضين عن تدبر القرآن إعراضهم عن تدبر ما فيه من العبر والزواجر والعظات، التي تحملهم لو تدبروها على ترك ما هم عليه من الباطل، قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)**، وأخبر أن الذي حال بينهم وبين ذلك: ما كان على قلوبهم من أقفال تحول دون دخول الخير إليها، وخروج الشر منها[3]. وقال العلَّامة السعدي في ذلك: "أي: فهلَّا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه، لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل"[4].

أقول: فالقرآن الكريم مليء بالمواعظ والحكم والفوائد الجليلة المباركة، وهي كفيلة بأن تغيِّر الإنسان المسلم في هذه الدُّنيا، وتوجِّهَهُ نحو الغايات والأهدافِ التي يُحب أن يصِل إليها في تحقيقِ رضوان الله ﷻ. فكان على العاقل أنْ يحرص على الآخرة، وأنْ يعمل لها باتباع منهج الله في الدنيا، وربما لا يتحقَّق إلَّا بتدَبُّر القرآن الكريم وفهمِه، إذن: فالدنيا ليست غاية، بل هي وسيلة، وأنت أيها الذي أعرضتَ عن منهج ربك جلعتَ الدنيا غايتك، والدنيا إنْ كانت هي الغاية فما أتفهها من غاية، إنما اجعلها وسيلة للآخرة ومزرعة لدار الحيوان [5].

إنَّ المتصفِّح والمتأمِّل في كتابِ الله ﷻ يزداد بصيرةً وعلماً، ما يؤدي إلى الالتزام بأحكامِه وما جاء به من توجيهات تربوية وأخلاق وتطبيقِ ذلك على أرض الواقع بما أراد الله ﷻ، وهذا من شأنِه اليقين التام بأنَّ هذا القرآن لا يستطيع أحد من خلقِ الله لا إنساً ولا جنَّاً معارضتِه، أو الإتيان بمثله على الإطلاق لأنَّه معجِز. بهذه الحقيقة الظاهرة تبيَّنَ أن لو اجتمَع الناس كلُّهم أولهم وآخرهم وإنسهم وجنَّهم في اتجاه واحدٍ وعلى قلب رجل واحد ما قدروا على المجيء بمثلِه؛ لأنَّه لا يمكن أن يكون من كلامِ بشر، قال تعالى: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ**

([1]) تفسير الطبري، ج22، ص179 .

([2]) انظر: تفسير ابن كثير، ج7، ص320 .

([3]) انظر: من كنوز القرآن الكريم، ج1، ص193 .

([4]) تفسير السعدي، ج1، ص788 .

([5]) انظر: تفسير الشعراوي، ج18، ص11261 .

وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88). "فكان هذا الباب (هدى النبي ﷺ في قراءة القرآن وعند استماعه، وتوابع ذلك) هدى تنفتح معه أقفال القلوب لتقتبس من أنوار المعرفة وتجنى ثمار الفهم"[1].

والجدير بالذكر هنا بعد بيان الترغيب في حُسن تلاوة القرآن، وفهمِ معانيه، وتدبُّر آياتِه، والتأمُّل في بديعِ نظمِه وتراكيبه، والتفكُّر في بلاغتِه، كان من الواجِب بيان أهميَّة تلاوة القرآن، وبيان كيفيَّة تدبُّر القرآن بوسائل تعين على ذلك، وبيان الوجه المعجِز الأوحد في القرآن.

أوَّلاً: أهميَّة تلاوة القرآن:

اعلم أنَّ الغاية والهدف الأساس من إنزال القرآن هو التدبر والتذكر والتأمُّل بعلومِه ومعارِفه، لا القراءة والتلاوة فحسب، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (البقرة: 121)**. فتلاوته ينبغي أن يشترك فيها اللسان والعقل والقلب، فتلاوته باللسان والتفكُّر بالعقل والتدبُّر بالقلب. عن ابن مسعود ﷺ قال: **(والذي نفسي بيده! إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله)**[2]. وقال رسول الله ﷺ: **(وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)** [3]. **وبيان أهمية القرآن تتمثَّل فيما يلي:**

1 . الإيمان الجازم بأنَّ القرآن الكريم باقٍ إلى يوم القيامة إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها، وقد تكفل وتعهّد الله بحفظه في الصدور وفي السطور، وما زال محفوظاً بحفظِه ورعايتِه، قال تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحج: 9)**.

إنَّ القرآن قد حمله جيل إلى جيل، إلى أن وصل إلينا وما بعدنا بأمرِ ربِّنا ﷻ، فهو باقٍ إلى يوم القيامة، فهو الذي يقرَأهُ القارئون، ويتفكر به المتفكرون، ويتدبر في آياته المتدبرون، وعجَز عن الاتيان بمثلِه الفُصَحاء والعالِمُون، فهو يخاطب الأجيال كلها في وقتٍ واحِد مراعياً الفروق الفردية والعقليَّة بينهم، حيثُ إنَّه قد تجاوز الزمان وتجاوز المكان وتجاوز الأشخاص.

([1]) فقه قراءة القرآن، ج1، ص29 .

([2]) تفسير ابن كثير، ج1، ص403 .

([3]) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح 2699، ج4، ص2074 .

2 . إنَّ القرآن الكريم نورٌ وشفاء وهدى للعالمين، به تنشرح الصدور، وتتلقَّفه العقول بالقَبول، وتستنير به القلوب، قال تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24).** لذا كان الأمر بتدَبُّر آياتِ القرآن وفهم معانِيه، والتأمُّل في النواهي التي يحذِّر المولى ﷻ من الاقتراب منها، والأخذ بالأوامر التي دعا إليها، فهو المنهج الواضح الذي غير بهِ نفوس العُصاة من هذه الأمَّة وأحيا قلوبهم به، وقد أنارَ قلوب المؤمنين الصالحين بنورِ العلم وملأها إيماناً، وبه كَوَّنَ جيشاً ليدافِع عن هذه الأمة وعن دعوتِها في سنين معدودة. عن ابن مسعود ﷺ قال: **(كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ)** [1].

3 . وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، قال تعالى: **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: 29)**، وقوله: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24).** ومن فضائله وثماره، أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا[2].

ثانياً: الوسائل التي تُعين القارئ على النظَر والدِّقَّة في عُمقِ تدَبُّر القرآن:

إنَّ هذا القرآن كالبحر لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، وموصوف بما تراهُ محط دائرة الضبط والبيان، وعطية من عطايا الجواد الرحمن[3]. يقول ابن القيم: "وَأَمَّا التَّأَمُّلُ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ تَحْدِيقُ نَاظِرِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَى تَدَبُّرِهِ وَتَعَقُّلِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنْزَالِهِ، لَا مُجَرَّدُ تِلَاوَتِهِ بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدَبُّرٍ"[4]. **من هذه الوسائل:**

1 . حضور القلب وانشغالُه بالتفكر في ما يتلو العبد به من آيات القرآن، والتَّمعن في معانيها، والتأمُّل في مرادِ الله ﷻ فيها، لكَي يصل إلى الحقيقة المرجوَّة والغاية مِن نزولِ القرآن، ويدلُّنا على ذلك كيفيَّة تدَبُّر النبي ﷺ للقرآن كمال التدبُّر، عن حذيفة ﷺ، أنَّه قال: **(صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ يُصَلِّى بِهَا فِى رَكْعَةٍ**

([1]) تفسير الطبري، ج1، ص80، إسناده صحيح .

([2]) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص189 .

([3]) انظر: مصاعد النظر، ج1، ص126 .

([4]) مدارج السالكين، ج1، ص449 .

فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ) [1].

2 . الاستشعار بعظمة القرآن الكريم بالعلم اليقين أنَّه من عندِ الخالق ﷻ أنزلَه بعلمِه، والاستسلام التام بأنَّ به نجاة وبدونِه هلاك، وأنَّ السعادة تتحقَّق بالقرآن وبدونِه شقَاءٌ، وأنَّ معه الاطمئنان وبدونِه خوفٌ وفزع، وأنَّ بالقرآن زيادة للإيمان وبدونِه نقصان، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ **(الأنفال: 2).** كيف لا وأنَّ آيات القرآن تُعدُّ رسائل تتمثَّل بالأوامر والنواهي التي يرسلها الله ﷻ إلى عبادِه لتتحَقَّق أمانيُّهم في التوجيه نحو سُبل الخير للوصول بهم إلى شاطئ السعادة.

3 . أن يستشعر الإنسان المسلم أنَّه هو المُخاطَب بآيات القرآن الأمر منها أو النهي، فهي رسائل عظيمة جليلةٌ من المولى ﷻ إلى عبادِه ليعلِّمهم الخير الذي لولا القرآن لما توصَّلوا وما حصلوا عليه، ولا نجاة ولا فلاح إلَّا بالابتعاد عمَّا نهى الله عنه.

4 . تكرار الآية القرآنية وترديدها مرة ومرة، الأمر الذي يترتَّب عليه استثارة القلب واستعطافِه حتى تُلامِس معنى الآية شغاف القلوب، مما يساعد في تثبيت الآية في الصدر، بالتالي حدوث الطمأنينة والاستقرار في القلب، فإنَّ من هدْي النبيَّ ﷺ تكرار بعض الآيات التي يقرؤها في الحديث الذي رواه أبو ذر ﷺ، يَقُولُ: (قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا) [2]، وَالْآيَةُ: ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ **(المائدة: 118).**

5 . لا بد من التَّأنِّي عند قراءة القرآن ليساعد ذلك في حضور القلب وإعمال العقل، فالهَدف من القراءة تنشيط العقل بالتَّأمل والتفكُّر، والامتثال لما تدعو إليه، وليس الإكثار دونَ علمٍ ولا فهم، **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ الرَّحْمَنِ عَلَى أَصْحَابِهِ حَتَّى فَرَغَ قَالَ: (مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا لَلْجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَرَّةٍ، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** (الرحمن: 13) **إِلَّا قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ)** [3] .

([1]) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ح 1850، ج2، ص186.

([2]) سنن ابن ماجة، باب ما جاء في القراءة، ح 1350 ، ج1، 489، قال الألباني: حسن .

([3]) المستدرك على الصحيحين للحاكم، باب تفسير سورة الرحمن، ح 3766، ج2، ص515، صحيح على شرط الشيخَين ولم يُخرِّجاه.

6 . فهم اللغة العربيَّة جيداً، لأنَّها لغة القرآن وبها نزل، مما يساعد على فهم معاني الآيات والتعرُّف على دلالاتها وما توحي إليه من بلاغةٍ وإعجاز، قال تعالى: **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: 3).**

7 . التأمُّل في الأسلوب القرآني وكل ما تحمله الآية مِن معاني، سواءً أسلوبه البياني وغيره من المكتشفات الحديثة التي توصَّل إليها العلماء، والتي تدُلُّ على أنَّ القرآن كلام الله والذي أنزل عليه القرآن قطعاً رسول الله. فالقرآن الكريم لا يُدرَك باللمس والرؤية وإن كان يُبصَر، وإنَّما يُدرَك بالتأمُّل والتَّفكُّر والتَّدبر.

الخلاصة: استطاع الباحِث أن يُبيِّن الحكمة مِن الأمر بتدبُّر القرآن الكريم وهو الوصول إلى الفهم العميق لآياتِ القرآن، بأنَّ التدَبُّر والتفكُّر والتأمُّل في آيات الله هو مفتاح السعادة وبوابة الخير في التعرُّف على الوجه المعجز في القرآن المتمثِّل في لفظِه ونظمِه ومعناه، ذلك من خلال تدبُّر آياته والتمعُّن في تراكيبِه وعجيبِ نظمِه وبديع تأليفه، وهو السر الذي أعجز الخلق جميعاً إنساً وجنَّاً على الإتيان بمثله ومعارضته.

المطلب الرابع: بيان سنة الله في الاستبدال

لقد وضع المولى ﷻ بين يدي المسلمين منهجاً حكيماً فيه الشَّرف والعزة ما لا يخفى، بهِ يوجِّههم توجيهاً تربويَّاً واضحاً لاتباعِه، فضلاً عن البَركة الموجودة بين جَنبَاتِه، به تعلو الهمم وتتقوَّى العزائم وتتقدَّم الأُمم نحو الرُّقي والتطور لتقود مَن خلفها، لكن تجد بعض المسلمين المستهزئين بهذا المنهج السَّوي يأبون إلَّا أن يكونوا أذِلَّاء خاضعين تحتَ أقدام الأعداء من اليهود وغيرهم، ويُصرُّون على تركِ منهج القرآن والاستهزاء به، حينها لا يتردَّد المولى ﷻ في سلبِ ما أعطاهم مِن النعيم والعزة، قال تعالى: **﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: 38).** يقول سيد قطب محذِّراً الذين يلهثون خلف هذه الدنيا الفانية وأيامها الخالية وحطامها الزائل يحذِّرهم إن لم يكونوا أهلاً لحملِ راية الإسلام والتضحية من أجلِه، فإنَّ المولى ﷻ يستردِ ما أعطى لكم، فقال: "إن اختيار الله لكم لحمل دعوته تكريمٌ ومنٌّ وعطاءٌ. فإذا لم تحاولوا أن تكونوا أهلا لهذا الفضل، وإذا لم تنهضوا بتكاليف هذه المكانة، وإذا لم تدركوا قيمة ما أعطيتم فيهون عليكم كل ما عداه، فإن الله يسترد، ما وهب، ويختار غيركم لهذه المنة

ممَّن يُقدِّر فضل الله ﷻ، وإنها لنذارة رهيبة لمن ذاق حلاوة الإيمان، وأحس بكرامته على الله، وبمقامه في هذا الكون وهو يحمل هذا السر الإلهي العظيم. ويمشي في الأرض بسلطان الله في قلبه ونور الله في كيانه ويذهب ويجيء وعليه شارة مولاه، وما يطيق الحياة وما يطعمها إنسان عرف حقيقة الإيمان وعاش بها ثم تسلب منه، ويطرد من الكنف، وتوصد دونه الأبواب. لا بل إن الحياة لتغدو جحيما لا يطاق عند من يتصل بربه ثم يطبق دونه الحجاب، إن الإيمان هبة ضخمة، لا يعد لها في هذا الوجود شيء والحياة رخيصة، والمال زهيد، حين يوضع الإيمان في كفة، ويوضع في الكفة الأخرى كل ما عداه. ومن ثم كان هذا الإنذار أهول ما يواجهه المؤمن، وهو يتلقاه من الله ﷻ" [1].

أقول: إنَّ في واقعنا المعاصر يوم أن ابتعدَ الناس عن منهجِ القرآن وأحكامه ومبادئه، وضعف في قلوبهم الإيمان، وتفشَّى الظُلم في المجتمعات الإسلامية، وأصبح الحُكَّام يتلقَّون أوامِرهم من الأعداء ضد شعوبِهم، وبعض العُلماء ينصرون الحاكم الظَّالم ويؤيّدونه خوفاً على رواتِبهم ومصالحهم الشخصية، يومَ أن توقَّف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم دعوة النَّاس للعلمِ وتعلُّم القرآن، بالتالي بَعُد الناس عن دينهم، ولم يُدافعوا عن الحق مع أنَّ الأمان والاستقرار لا يكون إلَّا بالوقوف بجانب الحق ونصرته، بالرغم من أنَّ حياة الباطِل مؤقَّتة ومحدودة .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، كيْفَ ينصُر الله قوماً تمثَّلت فيه هذه الصفات؟ وكيف يرفع الله عنهم البلاء؟ قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)**. فإن لم تتحقَّق نُصرة الله ﷻ في اتِّباع منهجه والتمسُّك به، حينها تستحق الأمة الاستبدال، ويحل بها البلاء والشَّقاء، ثمَّ يأتي بغيرهم مَن يطبِّق شرع الله ﷻ ويمتثِل لأمرِه، ويجاهِد في سبيلِه حقَّ الجهاد، فما كان ذلك ليكون لولا أن اغترُّوا في الدُّنيا وجعلوا حياتَهم كحياة الأنعام، محصورة في الأكل والشرب واللهو واللعب، والمولى ﷻ يحذِّرنا مِن الدُّنيا، قال تعالى: **﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (محمد: 36)**،

وقد بيَّن القرآن حقيقة الدنيا والتزهيد فيها لكي يحذَر المُسلم مِن شرِّها، وأنَّ الفوز والنجاح يكمُن في ما أعدَّه الله ﷻ للمؤمنين، قال تعالى : **﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾**

---

[1] في ظلال القرآن، ج6، ص3303 .

(**محمد:26**)، فالأجر الحقيقي يدَّخره الله للعبد المسلم حال قيامِه بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته، وهي العمل بمرضاته على الدوام مع ترك معاصيه فهذا هو الذي ينفع العبد المسلم بلا شرك والمتقين بلا معاصي وإن وقعوا في معصية تابوا وعادوا مسرعين، والحفظ الحقيقي في الدنيا والآخرة لا يكفله إلا الله [1]. اعلم أنَّ القرآن الكريم قد حدَّد أسباباً تعصم الأُمَّة مِن الاستبدال.

أسباب العصمة من سنَّة الاستبدال في الأرض:

أولاً: التمسُّك براية الجهاد في سبيل الله، والعمل بمقتضى كلمة التوحيد، بذلك تكون دعوة للمسلمين بأنَّكم لا تواجهون قدَر الله ﷻ، فإن تخلَّيتم عن منهجِه واتباع سنة نبيِّه محمد ﷺ، فمشيئته سوف تتحقَّق بالاستبدال لكم إذا أراد أن تتحقَّق، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ (**محمد: 38**)، يقول الرازي: " بَيَانُ التَّرْتِيبِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

1 . أَنَّهُ ذَكَرَهُ بَيَانًا لِلِاسْتِغْنَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ (**إِبْرَاهِيمَ:19**)، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ هَذَا تَقْرِيرٌ بَعْدَ التَّسْلِيمِ، كَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: اللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ فَلَا حَاجَةَ لَهُ إِلَيْكُمْ. فَإِنْ كَانَ ذَاهِبٌ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ مُلْكَهُ بِالْعَالَمِ وَجَبَرُوتَهُ يَظْهَرُ بِهِ وَعَظَمَتَهُ بِعِبَادِهِ، فَنَقُولُ هَبْ أَنَّ هَذَا الْبَاطِلَ حَقٌّ لَكِنَّكُمْ غَيْرُ مُتَعَيِّنِينَ لَهُ، بَلِ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا غَيْرَكُمْ يَفْتَخِرُونَ بِعِبَادَتِهِ، وَعَالَمًا غَيْرَ هَذَا يَشْهَدُ بِعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ.

2 . أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ الْأُمُورَ وَأَقَامَ عَلَيْهَا الْبَرَاهِينَ وَأَوْضَحَهَا بِالْأَمْثِلَةِ قَالَ إِنْ أَطَعْتُمْ فَلَكُمْ أُجُورُكُمْ وَزِيَادَةٌ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا لَمْ يَبْقَ لَكُمْ إِلَّا الْإِهْلَاكُ فَإِنَّ مَا مِنْ نَبِيٍّ أَنْذَرَ قَوْمَهُ وَأَصَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِهِ إِلَّا وَقَدْ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بِالْإِهْلَاكِ وَطَهَّرَ اللَّهُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ وَأَتَى بِقَوْمٍ آخَرِينَ طَاهِرِينَ. وَقَوْلُهُ ﴿**ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ **يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:**

الوجه الأول: أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ فِي الْوَصْفِ وَلَا فِي الْجِنْسِ وَهُوَ لَائِقٌ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: وَفِيهِ وُجُوهٌ أَحَدُهَا: قَوْمٌ مِنَ الْعَجَمِ ثَانِيهَا: قَوْمٌ مِنْ فَارِسَ، وَثَالِثُهَا: قَوْمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ" [2].

أقول: إنَّ القوم الذين يستبدلهم الله بأحقِّ منهم في التكريم وأفضل منهم في الوصف، والذي أميل إليه هم قَومٌ مَن شاءَ من خَلقِه في أي وقت من الزمان على وفق مرادِه والله أعلم.

---

(1) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص790 .

(2) مفاتيح الغيب للرازي، ج28، ص64 .

وقال القاسمي في بيان الآية: "وَإِنْ تَتَوَلَّوْا أي عما جاءكم به محمد ﷺ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ أي يهلككم ثم يأتي بقوم آخرين غيركم، بدلا منكم، يؤمنون به، ويعملون بشرائعه، ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ أي لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيعون شيئا من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله، على ما يؤمرون به" [1]. لذا فإنَّ الأمان والاطمئنان يتمثَّل في رفع راية الجهاد والتمسُّك بها بقوة، والدفاع عن الحق ونصرتِه، ولا يهمُّك قوة الباطِل وجبروتِه، فالحقيقة والواقع أثبت أنَّ الباطِل غير مستقر ومتقلِّب وفي حالة انزعاج دائم وهو إلى زوال، والحقُّ منتصرٌ لا محاله، فهي الحقيقة التي أخبرنا الحق ﷻ بها، قال تعالى: **﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: 81)**. فالحقُّ الذي أوحاه الله ﷻ إلى محمَّد ﷺ الذي لا يقف أمامَه شيء، وقد تلاشى الباطِل وذهب أدراج الرياح، فهذا وصفٌ عام للباطِل حينما يواجِهه الحق، ولا ينتهي الباطِل ويضمحل إلَّا بقوةِ الحق المتمثِّلة بقوة الساعد والعقيدة والسلاح، لذا فلا بد للحقِّ من قوة تحميه، دون ذلك يبقى ضعيفاً، ولهذا لا يروج الباطل ويظهر إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله وبيناته [2] .

المطلوب من الأمَّة الإسلامية اليوم التمسُّك بمنهج القرآن وقيمِه ومبادئه والجهاد في سبيل الله لحمايتِه، وعدم تفرقهم وتفككهم خشية أن يفشلوا في حياتِهم وتذهب عزتهم وكرامتهم، فهنيئاً لمَن قرأ القرآن واتبع ما فيه، الأمر الذي يدعو المسلمين إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن الإيمان بالله، وهذا بحاجة إلى جهادِ أنفُسِهم بالالتزام بطاعة ربهم والابتعاد عن معصيته، لكي لا يفوتهم الخير ولا يغلِقوا على أنفسهم أبواب رحمة، قال تعالى: **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: 110)**.

ثانياً: الالتزام بطاعة الله ورسولِه، ومحبَّتِه وعدَم التفكير بغيرِ رضاه، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 33)**. وقد أشار النَّبي ﷺ في غزوة خيبر بتلك المحبَّة الخالصة لله ﷻ ، عن سهل بن سعد ؓ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: **(لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه. يحب الله ورسوله. ويحبه الله ورسوله) قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ. كلهم يرجون أن يعطاها. فقال: (أين علي بن أبي طالب؟" فقالوا: هو، يا رسول الله!**

([1]) محاسن التأويل للقاسمي، ج8، ص480 .

([2]) انظر: تفسير السعدي، ج1، ص 464 .

يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتى به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه. ودعا له فبرأ. حتى كأن لم يكن به وجع. فأعطاه الراية) [1]. فالمؤمن مَن يحرص على محبَّةِ الله ﷻ ويخشع قلْبَه له ويتواضع من أجلِه، فيظهر محبَّته الخالصة لربِّه في الشدة وفي الرخاء، ولذلك وجب الالتزام بطاعة الله ورسوله ﷺ ولا نعطي القضيَّة ظهورنا، وإلَّا ينتشر الشر ويزداد، ويعم الفساد، وينطمس الخير.

وقد ابتُلِيَ المسلمون في هذا الزمَن بابتلاءاتٍ ومصائب عظيمَة كبيرة وذلك بتسلُّط سيوف الحُكَّام المستبدَّة الظالمة على رقابِهم فيغيِّبونَهم عن دعوتهم وعن وطنهم وأهلهم، فعجَباً لهؤلاء يعتقدون أنَّهم يغِيظُون المُسلمين ويُقيِّدوا أفكارهم بل هم واهمون، فإنَّهم يُنفِّذون قدر الله ﷻ على هذه الأرض، فهذا قدرُ الله للمؤمنين حيثُ إنَّهم يتعرَّضون للتَّعذيب والتنكيل في معتقلات وسجون الظُّلم عند الذين يوالون أعداء الله ورسوله ﷺ فالمولى لن يتركهم أبداً بل يستدرجهم ولا يفلتون من العقاب؛ حلَّت بهم عقوبة الاستبدال، كما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله ﷻ يُملي للظَّالم فإذا أخذَه لم يفلته)**[2]، ثمَّ قرأ: **﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** (هود: 102).

ثالثاً: عدم الردَّة عن الإيمان الصادق بالله وتعاليم الإسلام العظيم، فإنَّ المولى ﷻ قد حذَّرَ الذين لا يلتزمون بأحكامه، ولا ينقادون لأوامِره، بل يُعرِضون عن الدين ويتراجعون عنه، بالتالي لا مانِع من أن يستبدِل الله مَن هم خيراً منهم وأحقَّ بهذه المكرمة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:54).** متى تجتمع في الأمَّة صفات الذين يأتي بهم الحق ﷻ بدلاً من الذين استحلُّوا حرماتِه وتخلُّوا عن طاعَتِه وعادوا أولياءه، والتي تتمثَّل في أنَّهم يحبُّون الله تعالى ويحبُّهم ويرجون رحمته، وكذا هم أذلة على المؤمنين ومتواضعين لله رب العالمين، أشداء على الكفار المعتدين، وتتحقَّق فيهم صفة الجهاد في سبيل الله ولا يخشون سواه مهما بلغت الظروف والتحدِّيات، فلماذا لا نكون نحن الذين نتمتع ونتحلَّى بهذه القيم والعبادات فيبدِل غيرنا

---

[1] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ح 2406، ج4، ص1872 .

[2] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح 2583، ج4 ص1979 .

بنا؟. فصفة المحبة والعزة والتواضع ربما تكون مجتمعة في المؤمنين الصادقين، فهذا موقف يتطلب ذلة وتواضعا للمؤمنين فيكون المؤمن ذليلا، وهناك موقف آخر يتطلب عزة على الكافرين المتكبرين فيكون المؤمن عزيزا، والحق سبحانه يقول عن المؤمنين: **﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله والذين مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الكفار رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً﴾ (الفتح: 29)**، إن الرحمة ليست خلقا ثابتا، ولا الشدة خلقا ثابتا ولكنَّ المؤمنين ينفعلون للأحداث، فحين يكون المؤمن مع المؤمنين فهو رحيم، وحين يكون في مواجهة الكفار فهو قوي وشديد[1]. إنَّها صفات تمثَّلت في الذين يستبدلهم المولى ﷻ بدلاً من الذين يتولَّون عن دينِ الله سبحانه ويعرضون ويستغنون عنه، فهم أولياؤه المؤهلون لنصرته باستقامتهم وصدقهم في ولائهم وبرائهم. وفي هذه الحالة لا يضرون الله شيئاً وإنَّما المرتدون والمنافقون قد حُرِموا الخير الكثير.

رابعاً: عدم التَّخلِّي عن نصر هذا الدين وإعلاء كلمته، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ، إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التوبة:38-39)**. يقول الشعراوي: "أي: إن لم تذهبوا إلى القتال فإن الله ينذركم بالعذاب. وإذا أنذر الحق فلا بد أن يتحقق ما أنذر به، فأنتم إن لم تنفروا مخافة العذاب المظنون، وهو الإرهاق والتعب، فما بالكم بالعذاب المحقق إن لم تنفذوا أمر الله بالنَّفْرة إلى القتال؟ وإذا كانت المقارنة بين مشقة السفر والقتال والحر الشديد، وبين عذاب الله، فالمؤمن سوف يختار - بلا شك - مشقة الحرب مهما كانت؛ لأن كل فعل إنما يكون بقياس فاعله، فمظنة العذاب بالحر، أو مشقة السفر، وقسوة القتال لا يمكن قياسها بعذاب الله؛ لأن العذاب الذي ينتظر مَنْ يتباطأ أو يفِرُّ من الزحف أكبر من مشقة الاستجابة للزحف مهما كانت مرهقة. ثم يقول الحق سبحانه: **﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾** إذن: فلا تظنوا أنكم بتباطئكم؛ وعدم رغبتكم في القتال ستضرون الله شيئاً؛ لأن الله قادر على أن يأتي بخَلقٍ جديد، وهو على ذلك قدير" [2]. فالعزة تكون بعدم التخلُّفَ عن الجهاد في سبيل الله ﷻ والتضحية بكل ما يملكون من أجل رفع رايته، الأمر الذي يترتَّب عليه حُب الجهاد وترك الدُّنيا

([1]) تفسير الشعراوي، ج3، ص1716 .

([2]) تفسير الشعراوي، ج8، ص5121 .

وملذَّاتها، وعدم الخوفِ والفزع من الموت، بالتالي يُقبِلون على الجهاد والقتال في سبيل الله بكل حُبٍّ وقبُول ورضا نفس مستبشرين بلقاءِ ربهم ﷻ، عن ابن عمر ﷺ قال: سمِعتُ رسول الله ﷺ، يقول: **(إذا تبايَعتُم بالعينة**[1]**، وأخذتُم أذنابَ البَقر، ورضيتُم بالزَّرع، وتركتُم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذُلَّاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينِكم)**[2]. فمن تولى عن هذا الدين وعقيدته، أو تولى عن نصره، أو تولى عن الإنفاق من أجله، فلن يضر إلا نفسه؛ لماذا؟ لأنَّ النَّاس والخلقَ جميعاً محتاجونَ إلى كرَمِ اللهِ سبحانَه وحكمتِه وعَوْنِهِ وعطائه، وحتى تتجلَّى الحقيقة الخالدة بأنَّ الكَون يسير بمقتضى حكمةِ الخالق ﷻ ليس عبثاً أو سدى، لا يترك الحياة للباطل، وإنما يدفع بهم لنصرة الحق، حينها يسقط مَن يسقط، ويُرفع مَن يُرفع، فيبقى للحقِّ عبادٌ يؤيِّدونه وينصرونه، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ **(البقرة: 251).**

الخلاصة: إنَّ المعركة مع العدوّ تبقى سهلة ويسيرة رغم الصعوبات والشدائد التي يواجهها المسلمون الصالحون، لو تمسَّكوا واتَّبعوا منهج الرحمن وتخلُّوا عن طرق الشيطان، فالصالحون المصلِحون من عباد الله بحاجة إلى القوَّة والشجاعة مِن أجل مواجهة الباطل، الأمر الذي يدعو إلى التحدِّي والتضحية من أجلِ رفعة هذا الدِّين العظيم، مِن أجلِ ذلك لا بد أن يُعمِلوا عقولهم وأفكارهم، قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ **(آل عمران: 110).** لذا متى تكون أخلاقنا وصفاتنا كأخلاق الصحابة وصفاتِهم حينها نستحق توفيق الله ﷻ وتأييده. إذن القرآن وضع لنا منهجية في حياتنا بماذا انتصر النبي ﷺ وأصحابه الكرام على اليهود والمشركين، فأصبحوا بذلك خير الناس والأُمم، بناءً على القواعِد والأسس والضوابط التي وضعها القرآن لعصمةِ الأمَّة الإسلامية من الاستبدال، والتي تتمثَّل في الحاكم العادِل الذي لا يظلِم شعبَه، ولا الشعب يخون رئيسه المسلم الصالح ويخذله، والحث على الجهاد وذمُّ الدُّنيا وشهواتِها وعدم التخلِّي والإعراض عن قتال

([1]) العينة: وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم، إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثَّمن الذي باعها به. النهاية: ابن الأثير(237/1) .

([2]) سُنن أبو داوود، كتاب البيوع، باب النهي عن العينة، ح 3462 ج3 ص740، وقال الألباني هو حديث صحيح.

الأعداء، والحض على العلم وتعليم القرآن العظيم، بهذه الصفات الروحيَّة الرائعة تُسهِم في نصرةِ الله لعباده، وهذا من شأنِه تحقيقُ مرضاتِ الله سبحانه إلى عبادِه وعدم استبدالهم.

المبحث الرابع : الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية التعبُّدية والأخلاقية والسلوكية:

المطلب الأول: أسلوب النداء القرآني

تعريفه: هو دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كأدعو ونحوه، وأدواته ثمانية: يا والهمزة وأي وآي وآ وأيا وهيا ووا [(1)].

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكِرت في سياق التوجيهات التربوية التعبُّدية والأخلاقية والسلوكية تبيَّن للباحث أن الجمل التي ورد فيها أسلوب النداء هما آيتان، وهي على النحو الآتي:

أولاً: قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)**

لقد ابتدأ الله تعالى هذه الآية بأداة النداء (يا) مخاطِباً عباده المؤمنين دون سواهم، في ذلك إشارة إليهم بأنَّ النَّصر بحاجة ماسَّة إلى الجهاد في سبيل الله، وعدم الاكتفاء بالدعاء مع شدة الحاجة إليه، لأن المولى قد ميَّز المؤمن عن غيره بعظِيمِ شأنِه ورفعة قدره وعلو منزلتِه السامية، لكي يحرِص على نُصرة دين اللهِ ونصرةِ كتابِه، فالنصر الإلهي لا يتنزَّل إلا على أهل الإيمان وحُفَّاظ القرآن. فالمولى ﷻ قد امتدحَ المؤمنين بهذا النِّداء إذ إنَّ النِّداء ينقسم إلى سبعة مراتِب، كما قال السمرقندي: "والنداء في القرآن على سبع مراتب: نداء المدح، مثل قوله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (الأنفال: 64)، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (البقرة: 104)، ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ (المؤمنون: 51)**. ونداء الذم، مثل قوله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(التحريم:7)، ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا﴾ (الجمعة: 6)**. ونداء التنبيه، مثل قوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ (الإنفطار: 6).**

---

(1) علوم البلاغة، ج1، ص81 .

ونداء الإضافة، مثل قوله: ﴿**يا عِبادِيَ**﴾ **(العنكبوت: 56)**. ونداء النسبة، مثل قوله: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ**﴾**(الأعراف: 26)**، ﴿**يا بَنِي إِسْرائِيل**﴾**(البقرة: 40)**. ونداء الاسم، مثل قوله ﴿**يا إِبْراهِيمُ**﴾**(هود: 76)**، ﴿**يا داوُود**﴾**(ص: 26)**. ونداء التعبير، مثل قوله: ﴿**يا أَهْلَ الْكِتابِ**﴾ **(آل عمران:64)**. فهاهنا نداء المدح: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وهو من جوامع الكلم، لأنه قال ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ يعني صَدّقوا، ولم يقل بأي شيء صدَّقوا، معناه الذين صدَّقوا بوحدانية الله تعالى، وصدَّقوا بمحمد ﷺ وبالقرآن، وصدقوا بجميع الرسل، وبالبعث، والحساب، والجنة، والنار، فإذا سمعت الله يقول: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ فأرعها سمعك فإنه خير مأمور به أو شر منهي عنه"[1].

وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى الفائدة من النداء، فقال: "وافتتح الترغيب بندائهم بصلة الإيمان اهتماماً بالكلام وإيماء إلى أن الإيماء يقتضي منهم ذلك، والمقصود تحريضهم على الجهاد في المستقبل بعد أن اجتنوا فائدته مشاهدة يوم بدر"[2]. فهو أمرٌ من المولى ﷻ للذين يحبُّون الحق ويبذلون أقصى ما بوسعهم دفاعاً عنه ابتغاء مرضات الله سبحانه ورفعة لراية الإسلام العظيم. قال العلّامة السعدي: "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره" [3].

اعلم أنَّ من أهم أسباب تأخر النصر الإلهي للمسلمين افتقادهم الجرأة والحماسة والشجاعة المترتبة على قوة الإيمان، وكذا الفُرقة الواضحة بين الدُّول الإسلامية المتشتِّتة والمتفكِّكة بفعل تخاذُل بعض حكام هذه الدُّول لبُعدهم عن تعاليم الإسلام وتركهم للجهاد في سبيل الله الذي فيه عزة المؤمن وتمام شرفه. إن الواجب امتثال أمر الله والإعداد لأعدائه وبذل

---

(1) بحر العلوم للسمرقندي، ج1، ص365 .

(2) التحرير والتنوير، ج26، ص84 .

(3) تفسير السعدي، ج1، ص785 .

الجهود في الحيطة والحذر، واستعمال كل ما أمكن من الأسباب المباحة الحسية والمعنوية، مع الإخلاص لله والاعتماد عليه والاستقامة على دينه، وسؤاله المدد والنصر، فهو سبحانه وتعالى الناصر لأوليائه والمعين لهم إذا أدوا حقه، ونفذوا أمره وصدقوا في جهادهم وقصدوا بذلك إعلاء كلمته وإظهار دينه، وقد وعدهم الله بذلك في كتابه الكريم وأعلمهم أن النصر من عنده ليثقوا به ويعتمدوا عليه مع القيام بجميع الأسباب [1]. قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)**، فهذه الآية معطوفة على قولِه تعالى: **﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:4)**، ومقابِلة لها، حيثُ إنَّ المؤمنين قد اتصفُوا وتحلوا بصفة الجهاد والقتال في سبيل الله التي بها عزهم وشرفهم وتسمو مكانتهم ويرفع بها قدرهم[2].

المطلوب من المؤمنين اليوم أن تتوافَر فيهم روح الجهاد في سبيل الله، لكي يفتح الله على أيديهم الفتوحات وتتحقق بذلك الانتصارات وتكون الغلَبة والنصرة للمؤمنين، بعد أن يقوّي قلوب المجاهدين ويثبتَهم في مواطِن الحرب والقتال، إنَّك تجد المقاتِل المؤمن يتقدَّم الصفوف شيئاً فشيئاً ثابتاً صابِراً محتسباً مشتاقاً للقاءِ ربِّه شهيداً، الأمر الذي يترتَّب عليه مساواة الدُّنيا بالآخرة عندَه، فيسهم في ذلك النَّيل بالأعداء والظَّفر بهم وتكبيدهم الخسائر، فهذا المجاهد في ساحة المعركة أكثر حماسة وجرأة من المؤمن الآمن المطمئن في بيتِه.

ثانياً: قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 33).**

جاءت الآية الكريمة في سياق المدح للمؤمنين بأسلوب النداء القرآني بضرورة السمع والطاعة لله ورسولِه ﷺ والتصديقِ بما أخبر به، والامتثال بما أمر؛ لأنَّه لا سبيل لتحقيقِ رضا الله إلَّا باتِّباع هدي النَّبيِّ ﷺ فباتِّباع هديه والانقياد لأمرِه يتميَّز الصدق مِن الكذب، والطيِّب من الخبيث، والضَّلال مِن الهُدى، وقد بيَّن الشوكاني مدلول وماهية الآية، فقال: "أَمَرَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فِيمَا أُمِرْتُمْ بِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمَذْكُورَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، ثُمَّ نَهَاهُمْ عَنْ أَنْ يُبْطِلُوا أَعْمَالَهُمْ كَمَا أَبْطَلَتِ

---

(1) المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين، ج3، ص88 .

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج26، ص85 .

الْكُفَّارُ أَعْمَالَهَا بِالْإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ"[1]. وفي هذا إشارة جليَّة إلى الآباء والأمهات بتقديم التوجيهات التربوية اللازمة والمنضبطة بأحكام وتعاليم الإسلام لأبنائهم، والحاجة الماسَّة إلى تجنُّب ما يُبطِل الأعمال من كل ما يُحبط ويبطل الأعمال من المعاصي كالرياء وغيره، الأمر الذي يترتَّب عليه حُب نبيِّنا محمد ﷺ والتعرُّف على أخلاقِه وحكمتِه وسلوكِه، والاقتداء به، لكي لا ينحرفوا كباراً إلى اتباع الأهواء والشهوات وتركِ حياة الدعاة والطاعات.

المطلب الثاني: أسلوب الشرط [2] .

من خلالِ تتبُّع الجُمل في الآياتِ التي ذُكِرَت في سياق التوجيهاتِ التربويَّة التعبدية والأخلاقية والسلوكية في سورة محمد، تبيَّن للباحث، أنَّ الجُملة التي وُرِد فيها أسلوب الشرط هما آيتان، **وهما على النحو الآتي:**

أولاً: قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)**

جاء السِّياق بأسلوب شرط أداته (إنْ)، والفعل (تنصروا)، وجَواب الشرط (ينصركم) وذلك لِبيان تكريم المؤمنين بهذا الخطاب دون غيرهم. فهذا وعدٌ من الله ﷻ لعبادِه المؤمنين بنُصرة دينِه فينفضوا غبار الضعف والخوف والجبن والوهن الذي غشي أجسادهم، وأن يوحِّدوه لكي يُوحِّدَ صفهم ويجمع كلمتهم وينصرهم على عدوِّهم الكافرين ويفتح لهم[3].

أقول: العاقل من هذه الأمة يحافِظ على عهدِ الله ويسعى إلى تحقيقِ مطلوبِه بتقوية إيمانِه والازدياد من طاعة ربه، لكي يُلبِّي المولى ﷻ ما أراد بوعدِه، فلما ضعف إيماننا وقلَّت عزائمنا وزال خوفنا من ربنا، بالتالي انهارت المبادئ وتحطمت الفضائل وسقطت الأخلاق وذهبت القِيم.

ثانياً: قوله تعالى: **﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ (محمد: 37)**

([1]) فتح القدير، ج5، ص49 .

([2]) سبق بيانه، الفصل الأول ص59 .

([3]) انظر: الفتح القدير للشوكاني، ج5، ص38 .

جاء السياق في هذه الآية بأسلوب شرطٍ أداتُه (إن) وفعل الشرط ﴿**يَسْأَلْكُمُوهَا**﴾ وجواب الشرط ﴿**تَبْخَلُوا**﴾ ليشير بشكلٍ واضح إلى أنَّ جميع الخلافات والإشكالات بين الناس في هذه الدُّنيا سببها المال لأنَّ كثيراً من الناس يحب أن يأخذ ولا يعطي، فإذا أرغمته وأجبرته على العطاء، حينها يغشى قلبه الحقد والضغينة والبغضاء بسبب الشح والبخل لما له من أثر على سلوكه وتعامله.

يقول الزمخشريّ: "الإحفاء المبالغة، وبلوغ الغاية في كل شيء. يقال (أحفاه في المسألة) إذا لم يترك شيئا من الإلحاح، و (أحفى شاربه) إذا استأصله، والضمير في (يُخْرِجْ) لله ﷻ، أي يضغنكم بطلب أموالكم، أو للبخل، لأنه سبب الاضطغان" [1]. "وهذا يشير إليه عطف قوله: ﴿**وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ**﴾ أي تحدث فيكم أضغان فيكون سؤاله أموالكم سبباً في ظهورها فكأنه أظهرها. وهذه الآية أصل في سد ذريعة الفساد، وعبر به هنا عن الجزم في الطلب وهو الإيجاب، أي فيوجب عليكم بذل المال ويجعل على منعه عقوبة" [2]. فهو تنبيه للناس بأنَّ المولى ﷻ لا يطلُب جميع أموالكم وإنما يسأل الناس شيئاً قليلاً مقابِل كثرة أموالهم فيسألهم غيضاً من فَيضٍ، فالإيمان والإنفاق في سبيل الله هو الذي نفعهم لا غير[3].

الخلاصة: ظهَر للباحث بأنَّ الإنسان بفطرتِه السليمة التي لا تخالف العقل يُحبُّ المال ويسعى لجلبِه، فالمنفعة والأجر والثواب مشروطٌ بكيفيَّة إنفاق هذا المال، بالرغم من أنَّ هذا المال محبَّب ومرغَّب به عند الإنسان، فلا يُصرف إلَّا في المكان والموضع المناسب له.

المطلب الثالث: أسلوب التوكيد [4] .

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكِرت في سياق التوجيهات التربوية التعبدية والأخلاقية والسلوكية، يبدُو للباحث أن الجملة التي ورد فيها أسلوب التوكيد هي آية واحدة، وهي على النحو الآتي:

---

(1) الكشاف للزمخشري، ج4، ص330 .
(2) التحرير والتنوير، ج26، ص135 .
(3) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ج5، ص123 .
(4) سبق بيانه، الفصل الأول ص59 .

قوله تعالى:﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: 31)**

جاء السياق في هذه الآية ليبيِّن أنَّ المولى ﷻ يعلم أخبار المجاهدين وبيان أحوالِهم إمَّا خير وشر أو رضا وسخط، والاطلاع عليها دون مشقَّة ولا عناء، فيميزهم عن سواهم، فقد ذكر الابتلاء والاختبار وأراد العلم والمعرفة في قوله: **﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: 31).** فذكَر الابتلاء وأراد العِلم. قد أراد سبحانه: ونعرف أخباركم، ولكنه عبر بالابتلاء الذي هو سبب المعرفة؛ لأن الابتلاء يتبعه موقف جديد، إما زيادة تأصيل الإيمان بالله والتمسك الشديد بمبادئ الدين الحنيف، أو الخذلان والتحلل وانهيار الإيمان وضياع العقيدة، وبعد ظهور هذا الموقف وانكشاف حقيقة المبتلى يصبح علم الله متعلقًا بالمعلوم الواقع، والمولى ﷻ عليم بكل شيء ولا يحتاج في علمه إلى ابتلاء[1].

وقد بيَّن الماوردي في بيان المراد بالعلم في قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم﴾ (محمد: 30)،** يقول: **فيه وجهان :**

1 . المجاهدين في سبيل الله.

2 . الزاهدين في الدنيا.

وقوله تعالى: **﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ (محمد: 31)، فيه وجهان :**

1 . على الجهاد.

2 . عن الدنيا.

وقوله تعالى: **﴿وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: 31)، يحتمل وجهين :**

1 . نختبر أسراركم.

2 . ما تستقبلونه من أفعالكم" [2]. وقد أكَّد المولى ﷻ في الآية آمراً عباده المؤمنين بالجهادِ ونحوهِ من التكاليفِ الشاقةِ، وذلك ليعلم المجاهدين مِنهم والصابرين بالرغم من مشاقِّ الجهادِ علماً فعلياً يتعلقُ به الجزاء من شأنه يُثيب المجاهد الصابر ويعاقب المنافق الخاسر، ويُخبِر بذلك عن الأعمال التي يعملونها فيَظهَرُ حسنُها وقبيحُها[3]، قال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: 31).**

يقول الطاهر بن عاشور: "و(حتى) حرف انتهاء فما بعدها غاية للفعل الذي قبلها وهي هنا مستعملة في معنى لام التعليل. فالمعنى : ولنبلونكم لنعلم المجاهدين منكم والصابرين،

---

(1) البلاغة البيان والبديع، ج1، ص244 .

(2) النكت والعيون للماوردي، ج5، ص305 .

(3) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ج8، ص101 .

وليس المراد انتهاء البلوى عند ظهور المجاهدين منهم والصابرين. وعلة الفعل لا يلزم انعكاسها، أي لا يلزم أن لا يكون للفعل علة غيرها فللتكليف عِلل وأغراض عديدة منها:

أن تظهر حال الناس في قبول التكليف ظهوراً في الدنيا تترتب عليه معاملات دنيوية .

وعلم الله الذي جعل علة للبلاء هو العلم بالأشياء بعد وقوعها المسمى علم الشهادة؛ لأن الله يعلم من سيُجاهد ومن يصبر من قبْلِ أن يبلوهم، ولكن ذلك علم غيب؛ لأنه قبل حصول المعلوم في عالم الشهادة. والأحسن أن يكون (حتى نعلم) مستعملاً في معنى حتى نظهر للناس الدعاوي الحق من الباطلة ، فالعلم كناية عن إظهار الشيء المعلوم بقطع النظر عن كون إظهاره للغير كما هنا أو للمتكلم" [1] .

أقول: بناءً على ما سبق من بيان يتَّضح أنَّ معادِن الرِّجال وقوة قلوب المجاهدين بالصبر والاحتمال، تظهر من خلال الابتلاء وعِلم الله المسبق في مدى حاجة الإنسان للصبر والاحتساب، الأمر الذي يترتَّب عليه التعرُّف على المخلِص من المجاهدين بعملِه والمرائي منهم، بالتالي ينكشف الغطاء عن المنافق ويفتضح أمره، فيؤجَر المؤمِن بحسنِ عملِه وجهادِه وصبرِهِ عليه، ويأثم المُنافِق ويُجزى بِسيىء أعمالِه وخوفِه وفزعِه من الجهاد في سبيل الله.

المطلب الرابع: أسلوب الاستفهام [2].

من خلال تتبع الجمل في الآيات التي ذُكِرت في سياق التوجيهات التربوية التعبدية والأخلاقية والسلوكية في سورة محمد يبدو للباحث أن الجملة التي ورد فيها أسلوب الاستفهام هي آية واحدة، وهي:

قوله تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)**

جاء السياق في الآية بأسلوب استفهام يفيد التعجُّب والتوبيخ، والهمزة للتقرير [1]؛ ليُقرِّر بذلك حقيقتَين متشابهتَين في الظَّاهِر ومختلفتَين في الحقيقة والواقع:

([1]) التحرير والتنوير، ج26، ص124 .

([2]) سبق بيانه، الفصل الأول ص64 .

الحقيقة الأولى: المؤمن الذي يتدبَّر القرآن ويتلوه حقَّ تلاوتِه ويعمَل بمقتضاه، فيلزِم نفسَه بما أمر من الخير، ويحذر عن كل ما حذَّرَه الله منه، ويرجو رحمَته ويسعى بذلك إلى رضوانِه. فلَم تكن قراءته مجرَّد ختم السورة وحفظها، وإنَّما هدفُه تدبُّر ما جاء الله به من الخطاب.

الحقيقة الثانية: المنافق الذي لا يقرأ القرآن، يتلو القرآن بلسانِه وقد غاب قلبه، وعمِيت بصيرته، فلا يعقل ما يقرأ ولا يتفكَّر بما يتلو ولا يتدبَّر. "والمعنى: أن الله خلقهم بعقول غير منفعلة بمعاني الخير والصلاح فلا يتدبرون القرآن مع فهمه أو لا يفهمونه عند تلقيه وكلا الأمرين عجيب"[2]. وقد بيَّن النبي ﷺ الفرق الواضح بين الذين يقرؤون القرآن والذين لا يقرؤونه كما ورد في صحيح مسلم من حديث أبي مُوسَى الْأَشْعَرِي ﷺ أنَّه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **(مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ[3]، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ [4]، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ)**[5].

فالمؤمن القارئ للقرآن طيب في نفسه وقلبه طيب، وهو خير كله خير في نفسه ولغيره، يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه، بهذه الصفات تجده أفضل بكثير من المؤمن الذي لا يقرأ القرآن، ومعنى لا يقرؤه يعني لا يعرفه ولم يتعلمه، وهذا بعكس المنافق خبيث القلب فاسد النية، لا خير فيه ولا لغيره بل إن ضرره أكثر من نفعه[6]. فالمولى حثَّ عباده بضرورة تلاوة القرآن وحُسن فهمِه، لكي ينتفعوا بتلاوتِه، فهو الأنيس في الوحشة وهو النور في الظلمة وهو العزوة في الوحدة وهو الشفاء في المرض، لذا الواجِب من عباد الله مشاهدة القرآن بقلوبهم بمجرَّد تلاوتِه أو

([1]) انظر: البحر المحيط، ج9، ص473 .

([2]) التحرير والتنوير، ج26، ص113.

([3]) الأترجة: هي ثمَر جامِع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون تسر الناظرين تشبِه التفاحة بطيب طعمها ولين ملمسها ، انظر: فتح الباري ج9 ص 67.

([4]) الحنظلة: شجرة مشهورة وفي بعض البلاد تسمى بطيخ أبي جهل، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ج25 ص200.

([5]) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، ح 797، ج1، ص549.

([6]) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، ج4، ص644.

سماعه، قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ **(محمد: 24)**، قال الزمخشري: "في قوله تعالى: ﴿**أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها**﴾ (محمد: 24)، (أم) بمعنى بل وهمزة التقرير، للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر. فإن قلت: لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها؟ قلت: **أما التنكير ففيه وجهان:**

الوجه الأول: أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك.

الوجه الثاني: أو يراد على بعض القلوب: وهي قلوب المنافقين.

وأما إضافة الأقفال، فلأنه يريد الأقفال المختصة بها، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح[1]. "وإضافة (أقفال) إلى ضمير (قلوب) نظم بديع أشار إلى اختصاص الأقفال بتلك القلوب ، أي ملازمتها لها فدلّ على أنها قاسية [2].

أقول: أمَّا فائدة تنكير القلوب في الآية، فهي لتوجيه الناس وتنبيههم بأنَّ المنافقين يحملون قلوباً قاسية مظلمة تعمُّ جميع المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، بالتالي قلوبهم منكِرة لأحكام القرآن ولا يطبِّقون تعاليم الإسلام، فهم يقرأون ولا يعرفون، فالقلب جاء للعلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ **(محمد: 24)**، في الآية استفهام توبيخي، وقوله: ﴿**أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها**﴾ **(محمد : 24)**، استعارة تصريحية، شبه قلوبهم بالأبواب المقفلة، فهي لا تنفتح لوعظ واعظ [3].

الخلاصة: العاقل هو الذي يتدبر والناجح الذي يتفكر في حكمة نزول القرآن، وسر إعجازه، وروعة بيانِه، وجاذبيَّة أسلوبه البليغ التأثيري، والوقوف على مقاصِدِه ودلائله وفهمها، وما وردَ فيه من كثرة عجائبه التي إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أنَّ نزوله وحيٌ من المولى ﷻ خالق السموات والأرض وما فيها علَّام الغيوب، قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ **(محمد: 24)**، وَقَال:﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ **(النساء: 82)**، **أقول:** إنَّ المولى يأمر عبادَه بتدبُّر القرآن، فألفاظَه يسيرة،

([1])الكشاف للزمخشري، ج4، ص326 .

([2]) التحرير والتنوير، ج26، ص114 .

([3]) تفسير المنير للزحيلي، ج26، ص121 .

ومعانيه سهلة، ومقاصده بيِّنة، فهو واضح الدَّلالة يراعي في ذلك الفروق الفردية والعقلية بين المُخاطَبين، لذا أمر الله خلقه بالتدبر، فإن كان غير واضح الدَّلالة والمقصِد فكيف به أن يأمر خلقَه بذلك؟ فلم نجد في القرآن اختلافاً ولا تعارضاً على امتداده من أوله إلى آخره لا من قريب ولا من بعيد، سواءً في المقاصد أو الدلالات أو القصص والإشارات والأمثال، فهي على نظم بديع محكَم. إذن هو من عند الله، فإن ثبت أنَّ القرآن كلام الله فإنَّ محمداً قطعاً رسول الله.

المطلب الخامس: أسلوب الأمر [1].

من خلال تتَبُّع الجُمَل في الآيات التي ذُكِرَت في سياق التَّوجيهات التربويَّة التعبدية والأخلاقية والسلوكية في سورة محمد ﷺ، ظهَر للباحث، أنَّ الجُملَة التي وَرَدَ فيها أسلوب الأمر، هي آية واحدة، وهي:

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾ **(محمد:33)**.

وقد أوجَبَ المولى ﷻ على كافة عبادِه وجميع خلقه من المسلمين طاعتَه، والانقياد لأوامره وطاعة نبيِّه محمد ﷺ واجتناب ما يُبطِل ويحبط الأعمال على وجه الاستعلاء، فهذا أمرٌ من المولى ﷻ بضرورة السمع والطاعة لأنها أساس نجاح وصلاح كل عمل، فطيب الأقوال وحسن الأعمال نابعة من اتباع هدي النبي ﷺ وما جاء به، حيثُ إنَّ الله ﷻ لا يمكن أن يأمر بطاعة مَن يخالِفه أو يعصي أمره. **تنقسم صور الطاعة والامتثال إلى قسمين، طاعة وجوب وإلزام، وطاعة أدب ونصح وإحسان.**

أولاً: طاعة وجوب وإلزام تتمثَّل في ضرورة الانقياد لأوامر الله ﷻ والاقتفاء بسنة نبيِّه محمد ﷺ في جميع أصول الدِّين والتشريع، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ؓ قَال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ :ﷺ **(اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)** [2].

---

(1) سبق بيانه، الفصل الأول ص57 .

(2) سنن الترمذي، باب ما جاء في معاشرة الناس، ح 1987، ج4، ص355، قال الألباني حسن.

ثانياً: طاعة أدب ونصح وإحسان تتمثَّل في كُل ما ليس له علاقة بأحكام التشريع من أمرٍ أو نهيٍ، سواء حلال أو حرام. "فطاعة الرسول ﷺ التي أمروا بها هي امتثال ما أمَر به ونهَى عنه من أحكام الدين، وأما ما ليس داخلاً تحت التشريع فطاعة أمر الرسول ﷺ فيه طاعة انتصاح وأدب" [1]. ألا ترى أن بريرة لم تطع رسول الله ﷺ في مراجعة زوجها مُغيث لما علمتْ أن أمره إياها ليس بعزم، رَوى البخاري **بسندِه عن ابن عباس ﷺ: أن زوج بريرة عبد أسود يقال له مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس ﷺ: (يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا). فقال النبي ﷺ: (لو راجعته). قالت يا رسول الله تأمرني؟ قال: (إنما أنا أشفع). قالت: لا حاجة لي فيه)**[2]. وكذلك ما حدث مع صحابة النبي ﷺ قُبَيل غزوة بدر حينما توجَّه إلى ماء بدر أهم المراكِز العسكريَّة، لكي يسبق المشركين إليه، ويحُولَ بينَه وبين استيلاءِ المشركين عليه، فلم يأخذ به الصحابة لعلْمِهم أنَّه ليسَ بعزم. كما ذكر ابْنُ إسْحَاق: "فَحُدِّثْتُ عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا: أَنَّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ ﷺ قَال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ" [3].

إنَّ المتأمِّل في الآية الكريمة يجد اتِّصالاً مباشراً بين طاعة المولى ﷻ وبين طاعة نبينا محمد ﷺ، قال الرازي: " العطف هاهنا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْمُسَبَّبِ عَلَى السَّبَب، لِأَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ تُحْمَلُ عَلَى طَاعَةِ الرَّسُولِ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْعَمَلِ بَعْدَ حُصُولِ الْعِلْمِ، كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلِمْتُمُ الْحَقَّ فَافْعَلُوا الْخَيْرَ" [4]، **عن قتادة ﷺ: (من استطاع منكم أن لا يبطل عملاً صالحا عمله بعمل سيىء فليفعل، ولا قوّة إلا بالله، فإن الخير ينسخ الشرّ، وإن الشرّ ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال خواتيمها)** [5]. فمن حافظ على السمع والطاعة والانقياد لأمر الله

---

(1) التحرير والتنوير، ج26، ص127 355 .
(2) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي على زوج بريرة، ح 4979، ج5، ص2023 .
(3) سيرة ابن هشام، ج1، ص620 .
(4) مفاتيح الغيب للرازي، ج28، ص62 .
(5) تفسير الطبري ، ج22، ص187 .

ورسوله ﷺ فاز وربح، ومَن لم يفعل خاب وخسر؛ لأنَّ طاعة الله ورسوله هي الميزان الراجح في تحقيق رضا الله ﷻ فهي الحياة والنجاة والسعادة، أخرجَ البخاري في صحيحه منْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ، **أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَمَنْ يَأْبَى قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى) [1]. فبيَّن حالُهم حال الذي امتلَك متنزَّهاً وبستاناً وأراد ليقدِّمَ وليمةً للنَّاس، فانقسم حينها النَّاس إلى فريقين:**

أحدهما: من استجاب للدَّعوة دخل البستان وأكل مِن ثمارِه وتنعَّم بمنظره.

الثاني: مَن لم يستجب للدعوة لم يأكل مِن ثماره وما دخل البستان أصلاً. فالنَّاس بحاجةٍ ماسَّة لمعرفة النَّبي ﷺ وذلك باتِّباع هديه والتعرُّف على سيرتِه والالتزام بما أُنزل عليه. فالبستان هو الجنَّة التي يتحقَّق دخولها قطعاً بعدلِ الله ابتداءً، ثمَّ باتِّباع ما جاء به الكتاب والسُّنة من خلالِ حُسنِ اتِّباع الأوامر واجتناب النَّواهي، فالنَّاس بحاجة إلى مولاهم الحق ﷻ كأشدِّ ما يحتاج الرَّضيع إلى حنانِ أمِّه، والجسد إلى روحِه، والقلب إلى دقَّاتِه.

إنَّ تأليف قلوب المؤمنين وجمع كلمة المجاهدين على التوحيد ورعاية مصالحهم، وتوجيههم التربوي نحو اتباع المثل العليا وتنبيههم إلى فضائل الأعمال، لا تتم إلَّا بالانقياد إلى أوامر الله وحسن طاعتِه واجتناب كل ما نهى عنه، لأنها الحصن الحصين في حماية المسلمين من أي نقصٍ أو خلل، فمن تمسَّك بها غَنِمَ وسلِم، ومَن فارقها وتركَها زاغَ ومالَ عن سبيل الحقِّ والصواب، وحلَّت به المصائب التي تزيل النعم وتجلِب المِحن والنِّقَم [2] .

(1) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة رسول الله، ح 7280، ج9، ص113.

(2) النقم: جمع نقمة وهي العقوبة. مفردات غريب القرآن ج1 ص822 .

الفصل الرابع

التوجيهات التربوية الجهاديَّة والعسكرية المستنبطة على ضوء سورة محمد

اشتملَت سورةِ محمَّد على أحكام كثيرة سبقَ بيانُها من خلال هذه الدراسة، ومن هذه الأحكام، الأمر بقتال الكافرين قتالاً عنيفاً لا رحمة فيه والتشديد عليهم، حيثُ إنَّ الجهاد في سبيل الله والقتال وحكمة مشروعيته بمثابة محورها الرئيس الذي يدور حوله السياق.

المبحث الأول : توجيهات تربوية جهاديَّة وعسكرية

بيَّن المولى ﷻ في سورةِ محمَّد أحكام الجهاد في سبيل الله، وهو محور السُّورة الرئيس، وأنَّه لا عزَّة ولا كرامة ولا وجود للمسلمين إلَّا به.

سيتناول الباحث في هذا المبحث، مشروعيَّة الجهاد في سبيل الله والتي تتمثَّل بقوة الساعد والسلاح، وما أعدَّ المولى سبحانه للشهداء من النعيم والكرامة.

المطلب الأول : مشروعية الجهاد في سبيل الله.

اقتضت مشيئة الله ﷻ أن تكون قوَّتان على هذه الأرض المتمثِّلة بقوة الإيمان وقوة الكفر؛ إذ يعيشان بجانِب بعضهما البعض، فحزب الله أهل الإيمان هم المفلحون، وحزب الشيطان أهل الكفر هم الخاسرون، وهذا من شأنِه ازدياد عملية الصراع العقائدي بين الفريقَين، الأمر الذي يدعو إلى انتصار فئة الحق، لأنَّ المولى ﷻ قد أمر المؤمنين بقتال الكافرين، قال تعالى: **﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (محمد: 4)**، يقول القرطبي: "لَمَّا مَيَّزَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ أَمَرَ بِجِهَادِ الْكُفَّار"[1].

فينبغي أن يعلم أن الجهاد من أهم الفرائض الإسلامية، وأن الله سبحانه شرعه لفوائد جمة ولحكم كثيرة منها:

([1]) تفسير القرطبي، ج16، ص225 .

1 . أن فيه إعلاء كلمة الله عز وجل، فقد رَوى البخاري بسنده عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَال: الرَّجُلُ يُقَاتِل لِلْمَغْنَم، وَالرَّجُلُ يُقَاتِل لِلذِّكْر، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّه)[1].

2 . أن فيه حماية حوزة المسلمين والذود عن ديارهم وبلادهم وثغورهم.

3 . أن في ذلك دعوة الآخرين من غير المسلمين إلى الدخول في دين الله، وإيضاح ما لهم عند الله من الخير العظيم، وما يحصل لهم في الدنيا من الفضل والخير على أيدي المسلمين. فقد شرع الله الجهاد للدفاع والذود عن حياض المسلمين، ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولإعلاء كلمة التوحيد، ولفسح الطريق وتمهيده للدعاة إلى الإسلام والذائدين عنه والموضحين لمقصودِه ومحاسنه [2].

يقول الإمام ابن تيمية –رحمه الله–: "إذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن تكون كلمة الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله"[3]، وهذا معنى قول مجاهد: (لا يُقاتَلْ إلا مَن قاتَل) [4].

إنَّ المجاهدين في سبيل الله يحرصون على تحرير الناس من عبادة كل ما سوى الله ﷻ وفقاً لتعاليم الإسلام العظيم بهدفِ عبادتهم لله وحدَه لا شريك له ويصرُّون على ذلك، أمَّا أهل الكفر والشرك فيحرصون على إخراجِ الناس من النور إلى الظُّلمات، ومن طريق الهدى والرشاد إلى طريق الضلال والفساد، بل ويُصرُّون على بقائهم في ظُلمات الجهل والفجور والشهوات ما يؤدِّي بهم إلى عبادة ما دون الله ﷻ، قال تعالى: **﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 257).**

وقد شرع الله الجهاد لنصرة دينِه فهو دائم ومستمر ما استمرت البلاد الإسلامية محتلَّة من قِبَل اليهود، فيجب أن يستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والذي يحول بين انتصار

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح 2810 ج4 ص20 .

(2) دروس للشيخ عبد العزيز بن باز، ج5، ص2 .

(3) السياسة الشرعية لابن تيمية، ج1، ص94 .

(4) تفسير ابن كثير، ج1، ص526 .

المسلمين على اليهود وتحرير أراضيهم ملاحقة طواغيت العَرب للدعاة والمجاهدين ومنعهم من أداء واجبهم الدعوي والجهادي والتآمر عليهم، بل تقييد حركتِهم وذلك من خلال تهديدهم وزجِّهم في السجون، ما يؤدِّي إلى تذمُّر وبُعد النَّاس عن الجهاد في سبيل الله، الأمر الذي يترتَّب عليه تجمُّع قوى الكفر والأعداء من كل حدب وصوب على المسلمين بغية القضاء عليهم وعلى الجهاد، كما هو الحال في أرض فلسطين المحتلة التي يُجاهِر المُحتَل اليهودي بقتلِ أطفالها وشيوخها ونسائها وشبابها، وذلك بدعمٍ من أقوى دولة في العالم، وفي ذلك دليل واضح على استمرارية الجهاد في سبيل الله إلى يوم القيامة، **قال رسول الله ﷺ: (الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَم)**[1]، بُشْرَى بِبَقَاءِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ مِنْ لَازِمِ بَقَاءِ الْجِهَادِ بَقَاءَ الْمُجَاهِدِينَ وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ" [2].

إنَّ واقع المسلمين اليوم جد خطير إذ يرون اليهود يسرحون ويمرحون في قلبِ وشوارع عواصم البُلدان الإسلاميَّة والذين كتب الله ﷻ عليهم الذل والانكسار وعدم الاستقرار، وفي المُقابل تجد قوى البغي والظُّلم تسعى في تضييق الخناق وتشديد الحصار على إخوانِهم وأبناء جلدتهم من المسلمين بوسائل متعددة إرضاء ومجاملة للأعداء، بل إنَّ زعماء وقادة بعض الشعوب الإسلامية يسعون جاهدين لمودَّتهم وموالاتهم والتعاون المباشر في تسهيل كافة العقبات بينهم، وهذا مِن شأنِه استنهاض القوة الإسلاميَّة وإعداد العُدة من خلال توجيه تربوي جهادي، وذلك بتلبية نداء الحق بنصرة دينِ الله ﷻ وتطبيق شرعه، لكي يسهِّل في سرعة القضاء على اليهود في فلسطين وأذنابه ممَّن والاهم وتعاون معهم أمنيَّاً على حساب مصالح شعبِه، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7)**، ومِن أعظمِ أسبابِ النصرِ: الجهادُ، الذي ما تركَه قومٌ إلَّا أصابهم الله بالذل والهوان، إنه سِرُّ النصرِ ولُبُّه، وبه فَتَحَ الأوائلُ البلدانَ، ونشروا الإسلامَ، وردُّوا العُدوَان، ومَا تَكَالبَتْ علينا الأمم إلا بعد أنْ تركناه وأهملناه، ولم يتمادَ العِدَا في حربِنا إلا بعدَ أنْ حاربناه، وصارَ أعداؤنا يُدركون أثرَه في قوتنا أكثرَ مما أدركناه، فقوَّتنا في جهادِنا ووحدتنا [3]، قال تعالى: **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: 14).**

فالإسلام يحرص كل الحرص على تربية نفوس المؤمنين التربية الجهاديَّة وتهذيبها، وتوجيههم نحو حُب الوطن كي يصبحوا أهلًا لتحمل الأمانة، وأهلًا للدفاع عن العقيدة، فأصّل

([1]) صحيح البخاري، كتاب الجهاد ، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، ح 2852، ج4 ص28 .

([2]) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج6، ص56 .

([3]) انظر: المفصل في عوامل النصر والهزيمة، ج1، ص1190 .

فيهم الفضائل، وبذر فيهم بذور الصبر والمصابرة، والثبات والمجاهدة، واحتمال المكاره، وأعدهم إعدادًا جعل منهم نماذج فريدة للشجاعة والثبات، والنضج والوعي يهابهم المشركون، ويحتسبون منهم، ويخافون من مواجهتهم رغم قلة عددهم، والإيمان يفعل الأعاجيب، ويورث في النفس البشرية شحنة عالية من الطاقة المتدفقة، ورصيدًا هائلًا من القوة الفاعلة الدافعة، وهذا في الحقيقة ثمرة جليلة من ثمرة العقيدة الإسلامية الصحيحة[1].

اعلم أنَّ قتال العدو سيتحقَّق لا محاله كما وعد النبي ﷺ وستتحقق الأقوال مواقع الأقوال، حيثُ قال: **(لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُود)**[2].

يقول سيد قطب: "والجهاد ماض إلى يوم القيامة، ففي كل يوم تقوم قوة ظالمة تصد الناس عن الدين، وتحول بينهم وبين سماع الدعوة إلى اللَّه، والاستجابة لها عند الاقتناع، والاحتفاظ بها في أمان. والجماعة المسلمة مكلفة في كل حين أن تحطم هذه القوة الظالمة وتطلق الناس أحرارا من قهرها، يستمعون ويختارون ويهتدون إلى الله" [3].

إن للجهاد في سبيل الله فضائل وفوائد كبيرة فهو كالروح في الجسد لا يقوى الجسد على الحركة إلا بها، وهكذا الجهاد كالروح بالنسبة للوطن، فلا تقوم للدولة الإسلامية قائمة ولا تستقل بذاتها، ولا تشعر بالعزة والكرامة، ولا اطمئنان ولا استقرار أو رُقي وتقدُّم وازدهار إلَّا بالجهاد في سبيل الله، فطالما تحافظ الدولة الإسلامية على روحِها فلن تُبتلى بالذُّل والمسكنة أبداً، **ومن هذه الفضائل والثمار:**

1 . تتحقَّق الانتصارات والفتوحات الإسلاميَّة بالجهاد والمقاومة بأشكالها الشعبية والعسكريَّة بإذن الله في الدُّنيا والفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي**

([1]) انظر: أصول الدعوة وطرقها، جامعة المدينة، ج1، ص308 .

([2]) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، ح 2922، ج4، ص2238

([3]) في ظلال القرآن، ج1، ص190 .

سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ* وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: 4- 6).

2 . الشعور بروح الحياة الطيِّبة التي تظلِّلها العزة والكرامة وتحيط بها النخوة والشهامة، بالتالي يُدفع الذُّل والمسكنة والبقاء تحتَ أقدام ونعال الأعداء لِقلة شجاعتهم وضعف همتهم، وسبب ذلك تخليهم عن مبدأ الجهاد وحب الحياة، **كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْت)**[1].

أقول: إنَّ واقعنا اليوم أكبر دليل وبرهان على قمة التخاذل العربي الإسلامي الذي وصل بهم إلى أعلى مراتب الحضيض، يُعَدُّ هذا الزمان من أسوأ العصور والأزمنة التي تمر على المسلمين، حيثُ إنَّهم بلغوا من الذُّل والهوان والمسكنة والاستسلام لعدوِّهم ما لم يبلغوا في أي زمان مِن قبل، مما جرأ العدو على هذه الأنظمة العربيَّة والإسلامية منها بسلبِ عقولهم وقلوبهم، الأمر الذي ترتَّب عليه بسط سيطرتهم عليها والحصول على كل ما يريدون. واعلم أنَّه لا يمكن أن يُرفع الذُّل والمسكنة عن المسلمين إلَّا بإعلان النفير والجهاد في سبيل الله، ورفع راية التوحيد عالية، وتحقيق نصر الله بالعودة إلى دينِه وتطبيقِ شرعه علماً وعملاً، وحماية دعوتِه وحمل لواء الحق، لكي يكفَّ العدو شرَّه عنا، فلم يُردع العدو إلَّا بالجهاد.

المطلب الثاني: بيان أخلاق المجاهدين

شرع الله ﷻ الجهاد في سبيل الله وجعل له ضوابط وأحكاماً وقيَّد المجاهد بأخلاق يتحلَّى بها، فكلما تمسَّك المنتمي لهذا الطريق بالأخلاق قوي إيمانه وازداد حبُّه للجهاد بشكل واضح، من شأنِه ظهور علامات الهمَّة العالية وعزيمتِه القوية والحماسة في نفسِه ومواقفه، فقد هانت عليه الدُّنيا بزينتها وألوانِها، بالتالي يكون على استعداد كامل لترك بيتِه ومالِه وأهلِه وهجر فراشِه الدافئ والصبر على ذلك من أجل رفعة هذا الدِّين، قال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: 31)**، يقول سيد قطب: "ثم هي الأسباب

---

(1) سنن أبو داوود، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ح 4297، ج4، ص111 ، قال الألباني صحيح .

الظاهرة لإصلاح الجماعة البشرية كلها، عن طريق قيادتها بأيدي المجاهدين الذين فرغت نفوسهم من كل أعراض الدنيا وكل زخارفها وهانت عليهم الحياة وهم يخوضون غمار الموت في سبيل الله. ولم يعد في قلوبهم ما يشغلهم عن الله والتطلع إلى رضاه، وحين تكون القيادة في مثل هذه الأيدي تصلح الأرض كلها ويصلح العباد. ويصبح عزيزا على هذه الأيدي أن تسلم راية القيادة للكفر والضلال والفساد وهي قد اشترتها بالدماء والأرواح، وكل عزيز وغال أرخصته لتتسلم هذه الراية لا لنفسها ولكن لله! ثم هو بعد ذلك كله تيسير الوسيلة لمن يريد الله بهم الحسنى لينالوا رضاه وجزاءه بغير حساب"[1].

إنَّ مما لا شكَّ فيه ولا ريب أنَّه ما من مجاهد في سبيل الله فترَت همَّتُه وضعفت عزيمته ومال إلى حُبِّ الدنيا وزينتها إلَّا كان سببه ضعف إيمانِه وقلة الزاد، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ **(محمد: 17)**.

ولهذا أقول بكل إيمانٍ بالله وثقة وبكل يقين: إنَّ الجهاد في سبيل الله يحتاج إلى الحماسة والقوة والشجاعة المتحققة بطاعة الله ورسوله، وقراءة للقرآن بتدبُّر وكثرة الذِّكر والاستغفار وتحقيق التقوى في العلم والعمل، والصبر على مشاق العمل الجهادي، فإنَّ التضحية في سبيل الله والحماسة لحب الجهاد نابعة من قوة إيمان راسخ وأخلاق حميدة من خلالها نتعرَّف على شخصية المجاهدين في سبيل الله واكتشافِها.

فمن هذه الأخلاق التي ينبغي للمجاهد التحلي بها:

1 . **التحلي بطاعة الله ورسوله والالتزام بها:**

يعد الجهاد في سبيل الله بمثابة قمة الجبل ورأس الهرم بالنسبة للعمل الإسلامي، بالتالي ينبغي على المجاهد أن يكون قمة في أخلاقه، **قال رسول الله: (أَلَا أُنَبِّئُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟: الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله)**[2]، وقد تتحقق قمة الأخلاق عند المجاهد من خلال الالتزام والانقياد بما أمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾ **(محمد: 33)**، حيث إن المولى وصفهم رحماء على المؤمنين

([1]) في ظلال القرآن، ج6، ص3286 .

([2]) سنن ابن ماجة، باب كفُّ اللسان في الفتنة، ح 3973، ج2، ص1314، قال الألباني صحيح .

أشداء على الكافرين، ولابد أن يكون المجاهد قويّاً شديداً عنيفاً في مواجهة أعداء الله بقدر رحمتِه بإخوانِه المسلمين، قال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ **(الفتح: 29)**، فمن أخلاق المجاهدين الرحمة والشفقة بالناس والأخذ بأيديهم إلى طريق الحق، ومحاسبة النفس عند الخلل والتقصير، والتمثُّل بأخلاق صحابة رسول الله إذ كانوا يقلِّلون من قيمة أعمالِهم مقابل ما أعده الله لهم من جنات النعيم[1].

2 . الصبر على مشاق العمل الجهادي من تدريب وتجهيز وإعداد:

إنَّ المجاهد في سبيل الله يحمل في قلبِه رسالة قوية مضمونِها الدفاع عن وطنِه ورفع الظُّلم عنه، فيحمل السلاح ويعِد العُدة، وأحياناً يكون عنيفاً من أجل تحقيق هذه الغاية لإنقاذ وطنِه وأرضِه من الأعداء، فيصبر على ذلك ويجاهد لتحقيق مراده، قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ **(محمد: 31)**، فالمولى ﷻ يختبر المجاهدين ويبتليهم لكي يميِّزهم عن غيرهم وهو يعلم كل شيء قبل وقوعه، وإنما التكليف يُظهر المجاهدين بحق الذين امتثلوا الأمر بالجهاد، ويظهر الذين صبروا على دينه ومشاق ما كلّفوا به من الإعداد والتدريب[2].

3 . حسن التوكُّل على الله وكثرة الذِّكر والاستغفار:

يتَّضح لنا من صفات المجاهدين وأخلاقهم أنَّهم يحملون أرواحهم على أكفِّهم ويمتازون بوضوح الرؤية وفكرة العمل الجهادي بكل حب وقبول ورضا نفس لا عن إرغام وإجبار، بل إنَّهم يعتمدون على الله ويسلمون أمرهم له مهما بلغت التحدِّيات فالأمر كله بيده، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ **(التوبة: 51)**، وليعلم المجاهد أن سعادته وتفريج كربه والمخرج له من كل هم وحزن واستكمال حظوظ النفس لا يتم

---

(1) انظر: موسوعة الدفاع عن رسول الله، ج1، ص162 .

(2) انظر: تفسير المنير للزحيلي، ج26، ص126 .

إلا بالتمسك بالاستغفار من كل ذنب[1]، قال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد: 19).**

4 . الاستمرار في تلاوة القرآن بتدبر وتفكر:

من الواضح أن المجاهد في سبيل الله هو مؤمن بالله بالدرجة الأولى، بناء على ذلك فإنَّه لا يؤمن بالله حق الإيمان إلَّا بتلاوة القرآن وتدبُّر ما فيه من الأحكام المتعلِّقة بالجهاد في سبيل الله وعلو درجة الإيمان وعدم الخوف إلَّا من الرحمن واتباع رضوانه، **قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: 24)**، يقول الجزائري: "أي يتفكرون فيه فيعرفون الحق من الباطل" [2].

اعلم أهم ما يميِّز المجاهد في سبيل الله أنه أقرب الناس للقاء الله؛ فهمته قوية لا يرضى بالذُّل والهوان ولا يكسِر عزمُه التضييق والحصار، لذا ينبغي أن تربطه علاقة قويَّة متينة بربه، فما من مجاهد امتلأ قلبه بالإيمان وتحلى بأخلاق الإسلام طمعاً في رحمته وشوقاً للقائه إلَّا ثبَّته الله في ساحة الحرب والمعركة، فالمجاهد يسعى لتحقيق رضوان الله دون البحث عن أي مكاسب دنيوية أو مصالح وطموحات شخصية.

المطلب الثالث: مراحل العمل الجهادي قبل وأثناء وبعد المعركة

تُعد المواجهة العسكرية مع العدو من أهم أساليب الحرب الخشنة المتمثلة بقوة العقيدة الجهادية التي يحملها المجاهدون في قلوبهم؛ حيثُ إنَّها تُظهر الحماسة والشجاعة في قلوب المجاهدين، ما يؤدِّي إلى إقبالِهم على القتال وتخطِّي الصفوف إلى حد الالتحام مع صفوف العدو، حينها لم يبقَ إلَّا أصوات الانفجارات من كل جانب؛ بالتالي تبرز طاقة المجاهد الحقيقية في مواجهة العدو بكل قوة وعنفوان، قال تعالى: **﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ**

---

[1] انظر: تفسير المراغي، ج26، ص62 .

[2] أيسر التفاسير للجزائري، ج5، ص85 .

لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 4). لقد أمَرَ المولى المؤمنين المجاهدين في الآية الكريمة أمراً صريحاً بخوض الحرب ضد الكافرين المحتلِّين المعتدين في صيغة رنانة قوية، مع بيان لحكم الأسرى بعد الإثخان في المعركة والتقتيل العنيف، ومع هذا الأمر بيان لحكمة القتال والتشجيع عليه، كما وعد المولى بالنصر لمَن جاهد في سبيله حق الجهاد وانتصر لله [1].

أوّلاً: التوجيهات التربوية في مراحل العمل الجهادي قبل المعركة:

1 . **مرحلة العمل الأمني قبل اللقاء:** يعد مرحلة الإعداد للحرب والمواجهة مع العدو لها من الأهمية بمكان، فهي سر نجاح العمل ما قبل اللقاء من خلال رصد تحركات العدو وعدده ونوع سلاحِه ومكان انطلاقه، وكأنِّي برسول الله قُبيل الخروج إلى بدر وأثناء الإعداد والرصد، إذ لقي اثنَين من قريش فأصبح يسألهما ويتعرَّف على عدد الجُند، قَالَ لهما: (كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَا: يَوْمًا تِسْعًا، وَيَوْمًا عَشْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْقَوْمُ فِيمَا بَين التسع مائَة وَالْأَلْف)[2]. للعلم أنَّ واقع المجاهدين في غزة اليوم إذ يُسابقون الزمن في التهيئة لأي مواجهة قادمة مع العدو الصهيوني الغاشم، وذلك من خلال الإعداد بكلِّ سرية وكِتمان في التعرف على عدد قوات الجيش ونوع السلاح المستعمل ومكان الانطلاق المتوقع قبل عمليَّة اللقاء معه؛ ما يؤدِّي إلى مفاجأة العدو الصهيوني من حجم الاستعداد للمعركة، الأمر الذي يترتَّب عليه وقوع أكبر عدد ممكن من الخسائر في صفوف الاحتلال الصهيوني.

2 . **مرحلة التعبئة والتوجيه:** من الواجب على القائد المسلم تربية الجُند التربية الجهاديَّة من خلال بث روح القتال فيهم، ومواجهة الأعداء والثبات عند اللقاء، فما أحوجَنا إلى رصِّ الصفوف وجمع الكلمة، من شأنِه تقوي همَّتهم وترتفع معنوياتهم، الأمر الذي يترتَّب عليه الفصل بين المجاهد الصابر الذي ينتشق سلاحه بكل جرأة وحماسة وتوجيهه صوب عدوه والضرب في العمق، وبين الذي يجاهد شهرة وسمعة، قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: 31)**، ومن أساليب التعبئة الجهادية جمع المجاهدين وتسوية صفوفهم وتحريضهم على القتال في سبيل الله وترغيبهم بما وعدهم الله من الكرامات

---

(1) انظر: الأساس في التفسير لسعيد حوى، ج9، ص5292 .

(2) انظر: سيرة ابن هشام ، ج1، ص617 .

لاستثارة مشاعرهم من شأنِه يُقاتِلوا الأعداء باستماتة تحت لواء الجهاد، قال رسول الله ﷺ يوم بدر: **(لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَال أنس ﷺ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِي ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بَخٍ بَخٍ [1]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَة، قَال أنس ﷺ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِل)** [2].

ثانياً: التوجيهات التربوية في مراحل العمل الجهادي أثناء المعركة:

أشار المولى ﷻ في سورة محمد إلى حقيقة المنافقين، وبيَّن مدى جبنهم وفزعهم عند سماع آيات الجهاد والتكليف بالقتال في ساحة المعركة، حيثُ إنَّ في كل مجتمع يعيش فيه المُحب للجهاد والكاره له من ضعاف النفوس، فلا تكاد تعرفهم إلَّا أثناء الحرب، حينئذٍ تجد المؤمن المجاهد يستبسل في قتال اليهود على أرض فلسطين صابراً محتسباً حتى نهاية المعركة رغبة بما عند الله، قال تعالى: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: 20).**

اعلم أنَّنا في فلسطين نقاتل اليهود أثناء الحرب بقوة وعنف لأنَّهم احتلوا أرضنا وأخرجونا من بلادِنا المحتلة، واستعمروا فيها، لذا فنحن نقاتِلهم لهذه الغاية، لا لأنهم كفار، فقد باشرَ المجاهدون بإعداد العدة وتهيئة نفوسهم للحرب والمواجهة من خلال تقوية إيمانهم وتطوير سلاحهم ومهاراتهم القتالية للمعركة الفاصلة مع العدو، وقد أعملوا عقولهم للتفوق والانتصار عليه، قال تعالى: **﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 4)**، في الآية إرشاد من الله للمجاهدين إِلَى مَا يَعْتَمِدُونَهُ فِي حُرُوبِهِم مَعَ الكفار المعتدين أثناء الحرب، يقول ابن

---

[1] بخ بخ: كلمة تُقال: للشيء يتعجَّب منه، تهذيب اللغة، ج5، ص247.

[2] صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح 1901، ج3، ص1509 .

كثير: " أَيْ: إِذَا وَاجَهْتُمُوهُمْ فَاحْصُدُوهُمْ حَصْدًا بِالسُّيُوفِ، {حَتَّى إِذَا أَهْلَكْتُمُوهُمْ قَتْلًا فَشُدُّوا وَثَاق الأُسَارى الَّذِينَ تَأْسِرُونَهُمْ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ وَانْفِصَالِ الْمَعْرَكَةِ مُخَيَّرُونَ فِي أَمْرِهِمْ، إِنْ شِئْتُمْ مَنَنْتُمْ عَلَيْهِمْ فَأَطْلَقْتُمْ أُسَارَاهُمْ مَجَّانًا، وَإِنْ شِئْتُمْ فَادَيْتُمُوهُمْ بِمَالٍ تَأْخُذُونَهُ مِنْهُم" [1].

ثالثاً: التوجيهات التربوية في مراحل العمل الجهادي بعد المعركة:

إنّ الحق ﷻ ما كان لِيُشرِّع أمراً إلَّا مصلحةً للأمة وتحقيق سعادتها؛ لذا فقد كلَّف المؤمنين بالجهاد والتضحية في سبيله، الأمر الذي يترتَّب عليه بذل أموالهم وتقديم أرواحهم رخيصة للوصول نحو تحقيق هدفَين إمَّا تحرير البلاد أعزاء وإمَّا الانطلاق لرب العباد شهداء، فالمولى ﷻ قادر على إهلاك الكفار والقضاء عليهم بلا قتال، ولكن يريد امتحان قلوبهم، قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ **(محمد: 4)**، "أي ولو يشاء ربكم لانتصر من هؤلاء المشركين بعقوبة عاجلة، وكفاكم أمرهم، ولكنه أراد أن يبلو بعضكم ببعض فيختبركم بهم، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين ويبلوهم بكم، فيعاقب بأيديكم من شاء، ويتعظ منهم من شاء بمن أهلك بأيديكم حتى ينيب إلى الحق"[2] .

يُعدُّ الانتصارُ على العدو هدفاً أساسياً لطموحات المجاهدين، فإنَّ من الضروري بذل الجهد والعزيمة والهمة في تقوية الإيمان وروابط الأخوة والسلاح، يقول الإمام حسن البنا: "أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ثم يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعا"[3]. فالمجاهدون منتصرون قطعاً ما التزموا بعناصر القوة والثبات المتمثلة في تطبيق شرع الله ونصرة دينه، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ **(محمد: 7)**.

فالمحور الرئيس في سورة محمد يتحدَّث عن الجهاد في سبيل الله وقتال الأعداء والإثخان فيهم، لذا كان من الواجب على الباحث أن يتطرَّق إلى هذا الجانب بتوجيه تربوي

([1]) تفسير ابن كثير، ج7، ص307 .

([2]) تفسير المراغي، ج26، ص50 .

([3]) رسائل الإمام حسن البنا، ج1، ص147 .

جهادي، فالهدف الأساس هو دعوة المسلمين لتقوية الهمم وشد العزائم ورفع المعنويات بالإيمان والأمر بالجهاد والتضحية في سبيل الله.

المطلب الرابع: معية الله للمؤمنين وإلقاء السكينة في قلوبهم

مما لا شكَّ فيه أنَّ المولى يؤيد المؤمنين المجاهدين بالنصر والتمكين، وأنَّه يتصرَّف بقلوبهم ليشعرهم بحجم المساندة والقدرة الربَّانية بكفاية المؤمنين القتال وإلقاء السكينة والطمأنينة في قلوبهم، من شأنِه رفع معنوياتهم وعلو همَّتهم، قال تعالى: **﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 35)**، في ذلك إشارة جليَّة إلى الصالحين من عباد الله والمجاهدين أنَّه من كان مع الله فلا يقدر عليه أحد ولا يغلبه مخلوق، فمن قضى حياته في طاعة الله بشَّره بالنصر والقدرة على الأعداء، فلا يفوتُه خير، يقول ابن كثير: "فِيهِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، **﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾** أَيْ: وَلَنْ يُحبِطهَا وَيُبْطِلَهَا وَيَسْلُبَكُمْ إِيَّاهَا، بَلْ يُوَفِّيكُمْ ثَوَابَهَا وَلَا يُنْقِصُكُمْ مِنْهَا شَيْئاً" [1].

سيتناول الباحث بعض الوسائل التي تُعين المؤمنين المجاهدين على الغلبة والتفوق على الأعداء وقهرهم وردِّهم مهزومين صاغرين، ولكي ينالوا معيَّة الله ورعايته لهم، لا بد أن تتحقَّق بعدة أمور، منها:

1 . تحقيق الإيمان في القلب، من الواضح أنَّ دليل صدق المؤمن مع ربِّه هو فعله الطاعات ودوام الصبر عليها، لأنَّ الوصول إلى مرحلة الغلبة وقهر الأعداء لا تتم إلَّا بالإيمان وحسن تطبيق أحكام القرآن والبُعد عن طاعة الشيطان، قال تعالى:**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: 2)**. من الواضح أنَّ العصاة يفوتهم ثَوَابُ الْمُؤْمِنِين، وفاتهم دفاع الله عنهم، وَفَاتَهم كُلُّ خَيْرٍ رَتَّبَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى الْإِيمَان، مِنْهَا: مَعِيَّةُ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِيمَان، قال تعالى: **﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ**

---

[1] تفسير ابن كثير، ج7، ص323 .

الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: 19) وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْإِيمَانَ سَبَبٌ جَالِبٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَكُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَبَبُهُ الْإِيمَانُ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَبَبُهُ عَدَمُ الْإِيمَانِ[1].

2 . عدم مُهادَنة العدو مع القدرة عليهم وقهرهم، قال تعالى: **﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: 35)**، وفي ذلك إشارة إلى علو المسلمين وعزتهم وعدم مهادنة المشركين ومصالحتهم طَلَباً للراحة مع القدرة عليهم، فالأولى **ألَّا** يضعفوا أمامهم ولا يدعوهم إلى المسالمة والمهادنة والصلح ووضع القتال بين المجاهدين والكفار، فِي حَالِ قُوَّة الدولة المسلمة وكثرة عدَّتها القتالية وعدد مقاتليها [2]. "فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْكُفَّارُ فِيهِمْ قُوَّةٌ وَكَثْرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَأَى الْإِمَامُ فِي الْمُعَاهَدَةِ وَالْمُهَادَنَةِ مَصْلَحَةً، فَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، كَمَا فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ صَدَّهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَنْ مَكَّةَ، وَدَعَوْهُ إِلَى الصُّلْحِ وَوَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَشْرَ سِنِينَ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ" [3].

3 . الشوق للجهاد والتضحية في سبيل الله، اقتضت حكمة الله في تشريع الجهاد على خلقِه لإعلاء راية الإسلام، وللدِّفاع عن الأرض والإنسان، والدعوة لعبادة الرحمن دون سواه، لذا فإنَّ المولى ﷻ قد خصَّ المجاهدين في سبيله ولم يفزعوا أو يخافوا من تكليف القتال أن ينالوا على معيَّتِه، قال تعالى: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾(محمد:20)** .

وقد أثبت المجاهدون في غزة وأثناء المواجهة العسكرية مع العدو الصهيوني وفي ظل الإمكانيات البسيطة المتواضعة في واقعنا اليوم، أنَّهم قادرون على الدفاع عن أنفسهم بضرب العدو الصهيوني المجرم عدو الشجر والحجر والبشر قاتل الأطفال، لاسيما امتلاكه للقوة والتجهيزات الضخمة لكنها لا تمثِّل شيئاً أمام عزيمة وإرادة المجاهدين الصادقين الذين استشعروا معيَّة الرحمن في كل مكان، بالتالي استطاعوا قهرَ العدو الصهيوني الذي لطالما

---

(1) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ج1، ص72 .

(2) انظر: تفسير الطبري، ج22، ص188 .

(3) تفسير ابن كثير، ج7، ص323 .

تغنَّى بعبارته –الجيش الذي لا يُقهَر–، فما كان ذلك ليكون لولا معيَّة الله معهم، فالمولى ﷻ بإرادته وقوته يدير المعركة بإحكام.

4 . نصرة دين الله، إنَّ تحقيق نصر الله وتأييده لعبادِه المؤمنين هو مشروطٌ بمدى صدق العبد مع ربه، فإنَّ المولى ﷻ لا يمكن أن يخذل ولا يهزم عباده المؤمنين المجاهدين الصادقين، لأجل ذلك يحقق وعده لعبادِه بالنصر والظفر والثبات عند اللقاء ما التزموا بنصرة دينه، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ **(محمد: 7)**، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكمْ**﴾ **(محمد: 7)** (لأنه حقّ على الله أن يعطي من سأله، وينصر من نصره)[1].

5 . الالتزام بالتكاليف الربَّانية والنبوية، إنَّ توجيه المؤمنين المجاهدين نحو الالتزام بطاعة الله ورسوله، والتحلي بالأوامر وفعل الطاعات والتخلي عن فعل النواهي والمحرمات، من شأنه أن يمنح المؤمن معية الله ورعايته، الأمر الذي يترتب عليه سعادة في الحياة وسرور في القلب وانشراح في الصدر، وبشارة للمؤمن بالنصر، لأنه من كان في معية الله فلا غالب له، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾ **(محمد:33)**. وقال رسول الله ﷺ: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يُؤمر بمعصية فإذا أُمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة) [2]. يقول السعدي: "يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم، وتحصل سعادتهم الدينية والدنيوية، وهو: طاعته وطاعة رسوله ﷺ" [3].

أقول: بهذه الوسائل مجتمعة وغيرها قد يستطيع المؤمن المجاهد رؤية أعداء الله في أي مواجهة قليلين رغم كثرتهم، ضعفاء رغم قوتهم، طالما تحقَّقت فيه معية الله الأمر الذي يدفعهم إلى مواجهة الخطر والتقدُّم نحو الأعداء بكل جرأة وشجاعة، كإقدام الأسد الذي ينقضُّ على فريسته، رغم كل الإمكانات التي تزوَّد بها العدو من تطوُّر لأسلحته وعتادِه وحجم تجهيزاتِه الإلكترونية المتطورة، ودليل صدقي في واقعنا المعاصر أنك تجد المجاهد في سبيل الله بامتلاكه لسلاح

([1]) تفسير الطبري، ج22، ص161 .

([2]) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام، ح 7144، ج9، ص63 .

([3]) تفسير السعدي، ج1، ص789 .

الإيمان، وينتشق سلاحه المتواضع متخفّياً؛ إذ يحيط حوله الآليات العسكرية الصهيونية، ومن فوقه طائرات الاستطلاع الحربية، وأمامه الجنود الصهاينة المترجِّلين، لكنَّه يتقدَّم نحوهم بكل إيمان وثقة وإقدام لكي يحرِّر أرضه ويُخرِج الجيش الصهيوني مهزوماً صاغراً، فالمجاهد بهذه الروح الجهاديَّة والتي امتلأت عزة وكرامة وإيماناً لم يهتم بقدرة العدو بل لا يراها شيئاً؛ لماذا؟ لأنَّه تحصَّن بآيات الله فنال على معيَّته، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾**(محمد:35).**

المطلب الخامس: إكرام الله للشهداء وإدخالهم الجنة عرفها لهم

مما لا شك فيه أنَّ المولى ﷻ قد وعد الشهداء في سبيله بالأجر العظيم والثواب الجزيل، بما قدَّموا وجادوا بأغلى ما يملكون وهي أرواحهم لرفع راية الإسلام وإعلاء كلمة الله، وذلك بقتال الأعداء الذين أمرَ المولى ﷻ بقتالهم، فهؤلاء لن يتخلَّى الله عنهم ولا يضيع عملهم وإنما يقبله ويرفعه ويجدون نتائجه في الآخرة، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ* وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: 4- 6).**

إنَّ الجهاد في سبيل الله والشهادة طريقان ومنهجان واضحان قد أعزَّ الله بهما الإسلام، لذا فالمتصفح لآيات الجهاد والشهادة في القرآن يجد اقتراناً بينهما، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 111).** عن شمر بن عطية، قال: (ما من مسلم إلا ولله في عنقه بيعة وفى بها أو مات عليها) [1]. يقول سيد قطب: "إن الجهاد في سبيل الله بَيعة معقودَة بعنق كل مؤمن، كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله، إنها السنة الجارية التي لا تستقيم هذه الحياة بدونها ولا تصلح الحياة بتركها" [2]، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا**

([1]) تفسير الطبري، ج14، ص499 .

([2]) في ظلال القرآن، ج5، ص285 .

دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: 40).** فالمولى ﷻ وعد الشهداء بالجنة مقابل قتالهم لأعدائه بما أمروا، سواء انتصروا أو قُتِلوا شهداء، يقول ابن كثير: في قَوْلِه تعالى:**﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ (التوبة: 111)**، "أَيْ: سَوَاءٌ قَتَلُوا أَوْ قُتلوا، أَوِ اجْتَمَعَ لَهُمْ هَذَا وَهَذَا، فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ الْجَنَّةُ" [1]. عن ابن عمر ﷺ، عن النبيِّ ﷺ فيما يَحْكي عن ربِّه ﷻ قال: **(أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا في سَبِيلِي ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ضَمِنْتُ لَهُ أنْ أَرْجِعَهُ إِنْ رَجَعْتُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ ورَحِمْتُهُ)**[2].

وقد رفع الله ﷻ مقام الشهداء المجاهدون الذين قُتلوا في سبيله وأعلى مقامهم وأكرم نزلهم، فوالله الذي لا إله غيره ولا معبود سواه إنَّه لموقف حريٌّ بأن يتنافس من أجله المتنافسون، وأن يجاهد من أجلِه المجاهدون، أخرج مسلم بإسناده عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس، عن أبيه ﷺ، قال: سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول: **قال رسول الله :ﷺ (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف، فقام رجل رث الهيئة، فقال: يا أبا موسى! أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم. قال: فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام. ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل)**[3]. أمَّا الجبناء من هذه الأمة فقد أفنوا أعمارهم مع المتخلفين المُثبِّطين مرجفي المدينة في هذا الزمان، الأمر الذي يترتَّب عليه فوز المجاهدين وخسارة المنافقين، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ* وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: 4- 6)**. هنا إشارة من المولى ﷻ إلى عبادِه في كيفية تكريم الشهداء من خلال هذه الحقيقة الواقعية إذ أعلمهم بطريق الجنة وبيَّنها لهم ودلَّهم عليها، يقول سيد قطب: "فالله ربهم ﷻ الذي قُتِلوا في سبيله، يظل يتعهدهم بالهداية- بعد الاستشهاد- ويتعهدهم بإصلاح البال، وتصفية الروح من بقية أوشاب الأرض أو يزيدها صفاء لتتناسق مع صفاء الملأ الأعلى الذي صعدت إليه، وإشراقه وسناه. فهي حياة مستمرة في طريقها لم تنقطع إلا فيما يرى أهل الأرض المحجوبون. وهي حياة يتعهدها الله ربها في الملأ

---

(1) تفسير ابن كثير ، ج4، ص218 .

(2) سنن النسائي، باب ثواب السرية التي تخفِق، ح 3126، ج6، ص18، قال الألباني: صحيح .

(3) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ح 1902، ج3، ص1511 .

الأعلى. ويزيدها هدى. ويزيدها صفاء، ويزيدها إشراقا. وهي حياة نامية في ظلال الله ﷻ، وأخيرا يحقق لهم ما وعدهم، **﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: 6)** وهذه هي نهاية الهداية الممتدة، وإصلاح البال المستأنف بعد مغادرتهم لهذه الأرض. ونماء حياتهم وهداهم وصلاحهم هناك عند الله ﷻ" [1].

اقتضت حكمة المولى ﷻ أن يجعل للشهادة ركناً وقاعدة يسير عليها المجاهدون ألا وهو القتل في سبيل الله إنما هو المقياس الحقيقي للشهادة، من شأنِه زرع التربية الجهاديَّة في نفوس المؤمنين، الأمر الذي يترتَّب عليه شوق المجاهدين وحبُّهم للتضحية في سبيل الله بحيث تكون الشهادة هي أرقى أمنياتِهم وأسماها، فهذا هو الطريق الحقيقي للنصر فلن تنتصر الأمة إلَّا بالجهاد في سبيل الله، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 7).**

سيتناول الباحث أهم أسباب القتال في سبيل الله وفضائله المستنبطة من خلال سورة محمد ﷺ لما لها من أثر في بيان تكريم المولى ﷻ للشهداء وما أعدَّ لهم في دار البقاء:

أولاً: دوافع وأسباب القتال في سبيل الله:

إن من جماليات الدِّين الإسلامي أنَّه يحث المسلمين على قوة الإيمان، وحُب الوطن والدفاع عنه والتضحية من أجلِه، ورفع راية الإسلام، الأمر الذي يترتَّب عليه العزة والمنعة والحماسة والتميُّز والتفوق على الأعداء، وذلك من خلال التوجيهات التربوية الجهادية سواء كانت تضحية بالمال أو تضحية بالنفس. **ومن أهم أسباب القتال في سبيل الله:**

1 . الرغبة في الدِّفاع عن الأمة سعياً لإعلاء كلمة الله، يقول تعالى: **﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 4).** وروى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ

(1) في ظلال القرآن، ج6، ص3287 .

لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّه)[1].

2 . اغتنام رضا الله ﷻ والحصول على الأجر العظيم وما أعدَّ الله للمجاهدين في سبيلِه في الآخرة، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ* سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ* وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: 4– 6)**. فالمولى ﷻ سيوفق عبادَه المجاهدين الذين قاتلوا في سبيله للعمل بما يرضى ويحب، ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة، ويوم القيامة يدخلهم جناتٍ عرَّفها وبيَّنها لهم، حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا، لا يُشْكِلُ عليه ذلك، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنّةَ عَرّفَها لَهُمْ﴾** قال: (يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم لا يخطئون، كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً)[2].

اعلم أنَّ القرآن الكريم ذو منهج متميِّز في التربية الجهادية، فما أحوجَ المسلمين في واقعنا اليوم إلى تنشئة هذا الجيل على ضرورة الموازنة بين التضحية والشهادة في سبيل الله وبين الدعوة إلى الله. لذلك تجِد الشباب المسلم اليوم يَجودُون بأرواحِهم في سبيل الله رغبة بما عند الله ﷻ، وشوقاً للقائه، والسؤال هنا، كيف يكون واقعنا حال رغبة الكثير مِن الشباب بتقديم أرواحهم في سبيل الله؟ حينها مَن يكون نائباً عن رسول الله ﷺ في الدعوة وتبليغ الناس الخير؟ قال تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: 125)**.

ثانياً: أهم ثمار وفضائل القتال في سبيل الله:

دعا الإسلام المجاهدين إلى التضحية والعطاء وحضَّهم على بذل أغلى ما يملكون أرواحاً وأموالاً في سبيل الله؛ لأنَّ الإيمان يتم بكمال الخضوع لله ﷻ والارتباط الوثيق به، مِن شأنِه رفع الروح المعنوية عندَ المجاهِد، من خلال تحريك مشاعرهم واستثارة عواطفهم وشد هممهم للسَّير على نهج الأبرار لتطأ أقدامَهم الجنة دار القرار. **ومن ثمار القتال في سبيل الله:**

1 . قبول الأعمال الصالحة وعدم إحباطِها أو إبطالها. قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُم﴾ (محمد: 4)**، يتَّضِح من خلال الآية أنَّ المجاهِد يعزم على تقديم نفسَه في

([1]) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ح 2810، ج4، ص20 .

([2]) انظر: تفسير الطبري، ج22، ص160 .

سبيل الله، ليضمَن ما وعد الله به، من شأنِه مقاتلة العدو باستماته تحت مظلة لواء الحق، يقول ابن تيمية –رحمه الله–: "فَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ الْجِهَادِ كَانَ دَلِيلًا عَلَى ضَعْفِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِه ﷺ" [1].

2 . التوفيق إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة مع إصلاح أحوالهم وشؤونهم. من الواضح أنَّ الإنسان له روح واحدة، مهما يفِرُّ من الموت ويهرب منه، فأجله قطعاً يأتيه فلا يعصمه أحد من قدر الله ﷻ، لذا من المسَلَّمات أن يجعلها في سبيل الله كونَها موتة واحدة.

3 . أن يدلهم الله ﷻ على مساكنهم في الجَنَّة ويُبيِّنها للشهداء فيعرفونها.

4 . تشويق المجاهدين بأن يضحك الرحمن للشهداء في دار البقاء. **عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّار ﷺ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِي ﷺ: أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: (الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُون [2] فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّك إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْه)** [3].

5 . يتنعَّمون بما تشتهيه الأنفس من طيب الطعام والشراب والملذات، عن مسروق. قال: سألنا عبد الله بن مسعود ﷺ عن هذه الآية: قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ **(آل عمران: 169)**. قال: أما إنا سألنا عن ذلك. فقال (أرواحهم في جوف طير خضر. لها قناديل معلقة بالعرش. تسرح من الجنة حيث شاءت. ثم تأوي إلى تلك القناديل. فاطلع إليهم ربهم اطلاعة. فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا) [4].

الخلاصة: بناءً على هذه الدوافع وفضائل القتال في سبيل الله فقد انحصرت لبيان تكريم الله ﷻ للشهداء، والعمل على الموازنة بين الجود بالنفس شهداء وبين حب السير في مسلك دعوة

([1])الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج5، ص188 .

([2]) يتلبطون: التلبط هو التقلب، الفائق في غريب الحديث ج3 ص297 .

([3]) مسند الإمام أحمد بن حنبل، باب حديث نعيم بن هَمار الغطفاني، ح 22476، ج37، ص144، حديث قوي رواته ثقات .

([4]) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، ح 1887، ج3، ص1502 .

السماء، والحرص على إعلاء كلمة التوحيد، ما يؤدِّي إلى اغتنام رضوان الله ﷻ والحصول على الأجر والثواب كما وعد.

المبحث الثاني: الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية الجهادية والعسكرية

سيتناوَل الباحِث في هذا المبحث أهَم الأساليب البلاغيَّة المنثورة التي وردَت في التوجيهات التربويَّة الجهادية والعسكرية في سورة محمد ﷺ؛ فالقرآن الكريم دعا لمواجهة الأعداء المتسلِّطين المحتلين والتشديد عليهم وجهادِهم بكلِّ قوة مما يؤثِّر تأثيراً إيجابياً على رقي المجتمعات وتقدُّم الحضارة، الأمر الذي يترتَّب عليه سعادة الإنسان بنور العلم والمعرفة وتحريره من مظلة الذُّل والاستبداد إلى رحمة وعدل رب العباد ﷻ.

المطلب الأول : أسلوب الترغيب

تعريفه: الترغيب: هو وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده [1].

من خلالِ تتبُّعُ الجُمَلُ في الآياتِ التي ذُكِرت في سياق التَّوجيهات التربويَّة الجهادية والعسكرية في سورة محمد ﷺ، تبيَّن للباحث أنَّ عدد هذه الجُمَل التي ورد فيها أسلوب الترغيب هما آيتان مجتمعة، وهما على النَّحو الآتي:

قوله تعالى: **﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: 5-6)**

من الملاحظ أنَّ القرآن الكريم جاء بجميع أساليب العرب وخاطَبهم بما يناسب عقولهم وأفهامهم، وقد تميَّز عنهم وأعجزهم، بالتالي اعتنى القرآن بتلك الأساليب من شأنِه كيفية مخاطبة الناس ومنها أسلوب الترغيب وذلك لتوجيه المسلمين وإرشادِهم تجاه فعل الخير وقبول الحق، بحيث جعل للناس منهجاً يتَّبعونه للبشارة بما وعدَهم الله ﷻ مقابِل ما أمرَ به من خير الأعمال، الأمر الذي يترتَّب عليه تحقيق رضا الله والفوز بنصرهِ وجنَّتِه. "وجملة ﴿**سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ**

([1]) أصول التربية وأساليبها لعبد الرحمن النحلاوي، ج1، ص230 .

بَالَهُمْ﴾ (محمد: 5)، بيان لِجملة ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 4). وجملة ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ (محمد: 6)، فالجملة حال من الجنة" [1]، وفي ذلك بشارة طيِّبة إلى المجاهدين والأتقياء من هذه الأمة بدخول الجنَّة حال الإثخان في العدو وتكبيدِه الخسائر المادية والمعنوية ما استطاعوا ثم ينالوا إحدى الكرامتَين الحسان النصر أو الشهادة في سبيل الله، وفي ذلك دلالة واضحة وعلامة صريحة على إكرام الله للشهداء ودخولهم الجنة عرفها لهم.

المطلب الثاني: أسلوب الأمر[2].

من خلالِ تتبُّعُ الجُمَلُ في الآياتِ التي ذُكِرت في سياق التَّوجيهات التربويَّة الجهادية والعسكرية في سورة محمد ﷺ، ظهرَ للباحث أنَّ عدد هذه الجُمَل التي ورد فيها أسلوب الأمر هي آية واحدة، وهي على النَّحو الآتي:

قوله تعالى: ﴿**فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ**﴾ **(محمد: 4)**

يخاطِب المولى ﷻ عبادَه المؤمنين المجاهدين ويوجِّههم إلى ما فيه الخير لهم في تحقيق النصر والتفوُّق على الأعداء، وذلك مِن خلال قتالِهم وضرب أعناقهم في ساحات القتال والحرب حين اللقاء، لكي تنتصروا على عدوِّكم وتكسروا شوكَته وتقهروا جيشه، يقول تعالى: ﴿**فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾ **(محمد: 4)**، "وضرب الرقاب : كناية مشهورة يعبر بها عن القتل سواء كان بالضرب أم بالطعن في القلوب بالرماح أو بالرمي بالسهام ، وأوثرت على كلمة القتل لأن في استعمال الكناية بلاغة ولأن في خصوص هذا اللفظ غلظة وشدة تناسبان مقام التحريض. وانتصب (ضرب الرقاب) على المفعولية المطلقة على أنه بدل من فِعله ثم أضيف إلى مفعوله ، والتقدير : فاضربوا الرقاب ضرباً ، فلما حذف الفعل اختصاراً قدم المفعول المطلق على المفعول به وناب مناب الفعل في العمل في ذلك المفعول وأضيف إلى المفعول

---

(1) التحرير والتنوير، ج26، ص84 .

(2) سبق بيانه، الفصل الأول ص57 .

إضافة الأسماء إلى الأسماء لأن المصدر راجح في الاسمية" [1]. يقول الزمخشري: "وضرب الرقاب عبارة عن القتل، لأنّ الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء، وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته، على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدّة ما ليس في لفظ القتل، لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه" [2].

المطلب الثالث: أسلوب النهي

تعريفه: هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وليس له إلا صيغة واحدة، هي: المضارع، مع لا الناهية [3]، نحو: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ **(الأعراف:56).**

من خلالِ تتبُّعُ الجُمَلُ في الآياتِ التي ذُكِرت في سياق التَّوجيهات التربويَّة الجهادية والعسكرية في سورةِ محمد ﷺ، يرى الباحث أنَّ عدد هذه الجُمَل التي ورد فيها أسلوب النهي هي آية واحدة، وهي على النَّحو الآتي:

قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾ **(محمد:35)**

جاء السياق في هذه الآية بأسلوب نهي أداتُه (لا) والفعل المضارع (تهنوا)؛ حيثُ إنَّ الخطاب موجَّه للمؤمنين المجاهدين الذين يُقاتِلون أعداء الله عن قوة وشكيمة ورباطة جأش، بكل صبر وعزيمة وثبات، فهو نهيٌ على وجه الاستعلاء من الله ﷻ إلى عبادِه بمنع المهادنة والمسالمة مع العدو طالما أنتم الأعزاء الأعلون القاهرون للأعداء. يقول الشوكاني: "الآية محكمة" [4]. يقول ابن عاشور: "الفاء في قوله: ﴿**فَلَا تَهِنُوا**﴾ **(محمد: 35)** للتفريع على ما تقرر

([1]) التحرير والتنوير، ج26، ص79 .

([2])الكشاف للزمخشري، ج4، ص316 .

([3]) علوم البلاغة البيان المعاني البديع للمراغي، ج1، ص79 .

([4]) فتح القدير للشوكاني، ج5، ص50 .

في نفوس المؤمنين من خذل الله تعالى المشركين بما أخبر به من أنه أضل أعمالهم، وقدّر لهم التعس، فعلى ذلك كله فرع نهيهم عن الوهن وعن الميل إلى الدعة ووعدهم بأنهم المنتصرون وأن الله مؤيدهم" [1].

أقول: احتمال أن تكون (الفاء) رابطة لِجواب شرط مقدَّر، والمعنى إنْ علمتم عقاب الله ﷻ للكفار بإبطال وإحباط أعمالهم، وتدمير مساكنهم وإهلاكهم، والتأييد بالغلبة عليهم فلا تهنوا وتضعفوا وتدعوا إلى المسالمة مع توفُّر دواعي القوة والمنعة.

(1) التحرير والتنوير، ج26، ص130 .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحات، وبكرمِه تعُمُّ البركات، وبفضله تزيد الرحمات، والصلاة والسلام على خير معلِّم البشرية القرآن وموجِّه الأُمَّة جمعاء بتعاليم الإسلام، محمَّد بن عبد الله خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وعلى آلِه وصحبِه ومَن والاه، أمَّا بعد.

فالمسلمون في هذا الزمان محتاجون إلى التوجيهات التربويَّة المتضمِّنة لتعاليم الإسلام ومنهجِ القرآن، لكي يرتقي المسلِم إلى رفعة الأخلاق مِن خلال السَّعي إلى نور العِلم والمعرفة والفهم، حتى يكونوا قادة الأُمَم، بناءً على ذلك فقد خلُصت الدِّراسة إلى نتائج وتوصيات هامَّة، وهي على النحو الآتي:

أوَّلاً: أهم النتائج:

1. توصَّل الباحث إلى أنَّ مفهوم التوجيهات التربويَّة له جذور وامتداد منذُ نزول القرآن الكريم، حيثُ إنَّ النبيَّ ﷺ خير مُوَجِّه لهذه الأُمَّة.
2. تُرسَّخُ عقيدةُ التوحيد في نفوس المؤمنين مِن خلال حُسن التَّوكُّل على الله والاعتماد عليه ومحبَّته، والخوف منه لا من سواه.
3. وجود تبايُن واختلاف وتفاوُت واضح وعدم توازن بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين وجزاء كل منهما.
4. الابتلاء هو سنَّة الله الكونيَّة لعبادِه، ويُصيب به المخلوقين بقدَر طاقاتِهم، فمن صبر يؤجر ولم يغيِّر شيئاً، ومَن لم يصبِر يؤثَم ولم يُغيِّر شيئاً.
5. وجوب ولاء المؤمنين وتحريم ولاء الكافرين.
6. إنَّ الدُّنيا حُطامٌ واهٍ، ونعيمٌ محدودٌ زائل، والآخرةُ نعيمٌ دائم باقٍ، وسبيل إلى الارتقاء.
7. تبيَّن للباحِث أنَّ الحقائق الغيبية التي تحدَّث عنها الله سبحانه في القرآن الكريم، وأخبَر بها محمدٌ ﷺ إنَّها دليل واضح على صدق الوحي والنبوة، وليسَت إعجازاً غيبِيَّاً.
8. إنَّ النجاة والخلاص للمؤمن يتحقَّق من خلال الاستعداد للقاء الله ﷻ في كل وقت وفي كل حين.

9. ضـرورة معرفـة النِّفـاق وصـفاتِه والبقـاء علـى حـذر ويقظـة وانتبـاه مـن كيـدِ المنـافقين؛ لِخطرهم الشديد على أولياء الحق.

10. قطع الرحم كبيرةِ مِن كبائر الذُّنوب، كما أنها مقدِّمة للإفساد في الأرض.

11. جوازُ الدُّعاءِ على الكُفَّار بالعموم بدونَ تعيين، والنَّهي عن طاعة اليهود.

12. عـلاج أمراض القلوب المتمثلـة بـالجبن والفزع والبخل، وبيـان أسـبابها، والتحـذير مِـن أقفالِها.

13. تدبُّر القرآن الكريم يؤدي إلى الوصول إلى الفهم العميق لمدلول آياتِ القرآن.

14. التمسُّك براية الجهاد في سبيل الله، والعمل تحت مظلَّة لواء الحق؛ سبب العصمة من الاستبدال.

15. الأمر بقتال الكافرين قتالاً عنيفاً لا رحمة فيه، وما أُخِذ بالقوة لا يُسترد إلَّا بمثلِه.

16. وجود مراحِل ثـلاث لاحتمـال أي عدوان أو حـرب علـى ديـار المسلمين المتحقِّقـة فـي مراحل العمل الجهادي قبل وأثناء وبَعد المعركة.

ثانياً: أهم التوصيات

1. خير وصيَّة أوصي بها نفسي أولاً ثم جموع المسلمين، هي تقوى الله ﷻ وتعظيم أمرِه، وعدم عصيانِه ومخالفة أمره.

2. أوصي طلبة العلم لاسيما أصحاب التخصُّصات الشرعيَّة منها، بالاهتمام في مجال التفسير؛ لكي نستطيع فهم آيات القرآن المتعلِّقة بواقعنا اليوم.

3. التَّأدب بأخلاق الإسلام وعدم مخالفتها والالتزام بالتوجيهات التربويَّة التي تضمَّنتها هذه الدِّراسة وتطبيقها.

4. العناية بتفسير القرآن الكريم؛ لأنه منهج حياة بشموله وكمالِه؛ إذ يعين المسلمين على فهم دينهم ابتداءً، ثمَّ فهم ما يدور حولَهم من حوادِث ووقائع.

وأخيراً أسأل المولى ﷻ الذي أعطى ومنع وبيده الضر والنفع، أن يقبل منِّي هذا الجهد، وأن يجعله خالِصاً لوجهه الكريم وينفع به من يتلقَّاه بالخير والصلاح والقبول إنَّه جوَّاد كريم.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد ابن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
2. الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة الطبعة: السادسة، 1424 هـ.
3. الأسلوب، أحمد الشايب، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: الثانية عشرة 2003م.
4. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الخامسة والعشرون 1428هـ-2007م.
5. أصول الدعوة وطرقها، مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
6. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (المتوفى: 685هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – 1418 هـ.
7. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان 1383 هـ – فبراير 1964 م.
8. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م.
9. الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ)، المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م.
10. الإيمان والرد على أهل البدع (مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام، الجزء الثاني)، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: 1285هـ)، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى بمصر، 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ،

11. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 م .
12. البلاغة، مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
13. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
14. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر: مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، الطبعة الثانية، 1369، تحقيق: محمد حامد الفقي.
15. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الخامسة ، 1424 هـ / 2003 م..
16. بحر العلوم،: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ) .
17. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ .
18. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: 1419 هـ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير]،،
19. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
20. بيان إعجاز القرآن، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (319هـ-388) مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني

في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي، تحقيق: محمد خلف الله أحمد عميد معهد الدراسات العربية، د. محمد زغلول سلام، كلية الآداب بجامعة القاهرة –الخرطوم .

21. البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، 1414هـ– 1994م.
22. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ، محمد الطاهر بن محم بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393 هـ) ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر : 1984 هـ .
23. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م.
24. التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سعيد طنطاوي ، الناشر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة– القاهرة ، الطبعة : الأولى ..
25. تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى : 1371 هـ) ، الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة :الأولى ، 1365 هـ – 1946 م.
26. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
27. تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.
28. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م.
29. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، 1418 هـ.

30. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، الطبعة: العاشرة – 1413 هـ
31. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م. .
32. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى : 1376 هـ) ، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى 1420 هـ – 2000 م ..
33. التوحيد وأثره في حياة المسلم، حمد بن إبراهيم الحريقي، الناشر: دار الوطن، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ – 1993 م.
34. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، 1393 هـ = 1973.
35. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م.
36. الجامع لأحكام القرآن ، تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671 هـ) ،تحقيق : أحمد البردوني وابراهيم أطفيش ، الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة : الثانية ، 1384 هـ – 1964 م .
37. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1997م.

38. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.
39. دائرة معارف الأسرة المسلمة، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة، أكبر دائرة معارف عن السرة المسلمة، حيث احتوت على آلاف الخطب والدروس والفتاوى والاستشارات العلمية والتربوية والفقهية أكثر من ثلاثين ألف عنوان.
40. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
41. دروس للشيخ عبد العزيز بن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)
42. الديباج على مسلم، جلال الدين السيوطي ج 1.
43. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، الموضوعات التابع لها: السيرة والتاريخ.
44. رسائل الإمام حسن البنا
45. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ .
46. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، 1415هـ /1994م.
47. سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
48. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق:، أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.

49. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م.
50. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م.
51. السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الناشر: دار المعرفة.
52. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة.
53. شرح أصول السنة للإمام أحمد، تأليف: عمر بن عبد الله بن عاتق العلوي الحربي .
54. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: 1426 هـ.
55. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: العاشرة، 1417هـ – 1997م.
56. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421 هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، 1421 هـ.
57. شروط لا إله إلا الله، د عواد بن عبد الله المعتق، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
58. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ – 1987 م.

59. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.
60. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
61. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي البُستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ – 1988 م .
62. صفوة التفاسير، للصابونى، سماحة الشيخ / محمد علي الصابوني، [الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة – جامعة الملك عبد العزيز، دار الصابوني]..
63. الطريق إلى الجنة، عقيدة . فقه . آداب . أحكام . نصائح . فوائد، تأليف: عبد الله بن أحمد العلاف الغامدي، دار الطرفين .
64. عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة – المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
65. العقيدة في الله، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الثانية عشر، 1419 هـ – 1999 م.
66. علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ) .
67. فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة، هذه فتاوى من مركز الفتوى بموقع الشبكة الإسلامية، بإشراف: د. عبدالله الفقيه،،
68. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ – 1987م.

69. فتاوى نور على الدرب، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله–، الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين الخيرية، الطبعة: الإصدار الأول [1427 – 2006].

70. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

71. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ – 1992 م.

72. فضائل القرآن وتلاوته للرازي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي المقرىء (المتوفى: 454هـ) تحقيق وتخريج: الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ – 1994 م.

73. فقه عمل اليوم والليلة، أبو محمد عبد الله بن مانع بن غلاب الغبيوي الروقي العتيبي، الناشر: دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1435 هـ – 2014 م.

74. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356.

75. في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى : 1385 هـ) ، الناشر : دار الشروق – بيروت – القاهرة ، الطبعة : السابعة عشر – 1412 هـ ...

76. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ – 2005 م.

77. القول السديد شرح كتاب التوحيد، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية، السعودية، الطبعة: الثانية، 1421هـ.
78. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ....
79. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى : 711 هـ) ، طبعة 3 دار صادر – بيروت ، 1414 هـ .
80. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
81. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ– 2000م.
82. المباحث المرضية المتعلقة بـ (من) الشرطية، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، المحقق: الدكتور مازن المبارك، الناشر: دار ابن كثير – دمشق / بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ – 1987م.
83. مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، المحقق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
84. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
85. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م .

86. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن – دار الثريا، الطبعة: الأخيرة – 1413 هـ.
87. محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى : 1332 هـ) ، المحقق : محمد باسل عيون السود ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة : الأولى – 1418 هـ.
88. مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى : 666 هـ) ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، طبعة 5 ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية ، بيروت – صيدا ، 1420 هـ / 1999 م .
89. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م.
90. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ – 1996م.
91. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د عثمان جمعة ضميرية، تقديم: الدكتور/ عبدالله بن عبد الكريم العبادي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الثانية 1417هـ– 1996م.
92. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990.
93. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م .

94. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، المؤلف: الإمام الحافظ المفسر المؤرخ / برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي (المتوفى 885 هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى: 1408 هـ – 1987 م.
95. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ.
96. معاني القرآن وإعرابه]ـ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م.
97. المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ) الناشر: دار الفكر العربي.
98. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.
99. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.
100. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
101. مفاتيح الغيب ، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – 1421 هـ – 2000 م ، الطبعة : الأولى ..
102. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ.
103. المفصل في شرح آية لا إكراه في الدين، جمع وإعداد، الباحث في القرآن والسنة: علي بن نايف الشحود .

104. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المتوفى: 395هـ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م.
105. مقدمة في التربية الإسلامية ، محمود خليل أبو دف ، ط 4 ، غزة : مكتبة سمير منصور ، 1435 هـ / 2014 م .
106. منهاج الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تصحيح الأخطاء، جمع وإعداد، الباحث في القرآن والسنَّة : علي بن نايف الشحود، الطبعة الأولى 1430 هـ 2009 م، دار المعمور.
107. موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ، جمعها وقدم لها ورتبها: علي بن نايف الشحود: الباحث في القرآن والسنة .
108. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، عام النشر: 1423 هـ - 2002 م.
109. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392.
110. النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، على الجارم ومصطفى أمين، الناشر: الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: -.
111. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
112. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

113. الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، 1999 م.

114. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1422هـ .

115. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة ج3 .

116. الولاء والبراء، محمد بن صالح بن عثيمين،،

117. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الناشر: دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى.

118. الولاء والبراء والعداء في الإسلام، أبو فيصل البدراني.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	179	59
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ...﴾	118	75
﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا...﴾	118	76
﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	101	79
﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾	167	81
﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾	20	100
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾	128	138
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾	8	151
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ...﴾	31	158
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ...﴾	110	168، 171
النساء		
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ...﴾	57	52
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ...﴾	122	56
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	136	58
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾	145	68
﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ ...﴾	138-139	75
﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾	81	76
﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾	140	77 ، 85
﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾	143	78
﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ ...﴾	77	82
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ...﴾	142	89
﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ...﴾	146	90
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ...﴾	69	110
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...﴾	13	111
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ...﴾	93	121
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم﴾	59	122
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾	1	126

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ ...﴾	**37**	144
﴿فما لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾	**88**	154
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ...﴾	**82**	180
المائدة		
﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾	**51**	39
﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ...﴾	**33**	120
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾	**51**	133
﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	**118**	164
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ ...﴾	**54**	169
الأنعام		
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ ...﴾	**82**	25، 103
﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ...﴾	**125**	28
﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...﴾	**32**	41
الأعراف		
﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾	**196**	39
﴿يسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ...﴾	**187**	46
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	**167**	63
الأنفال		
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾	**36**	57
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ...﴾	**50**	83
﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ﴾	**75**	126
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	**28**	157
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...﴾	**2**	158
﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	**19**	196
التوبة		
﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ...﴾	**47**	16
﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾	**29**	29

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ...﴾	23	40
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ ...﴾	66-65	78
﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ...﴾	73	78
﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	67	87
﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ...﴾	54	87
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ...﴾	67	89
﴿وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ...﴾	68	90
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ...﴾	77-75	147
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾	39-38	170
﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ...﴾	14	186
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ...﴾	51	190
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ...﴾	111	198
يونس		
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	81	119
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ ...﴾	57	141
هود		
﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ...﴾	46-45	101
﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا ...﴾	3	106
﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	102	169
يوسف		
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا ...﴾	111	44
الرعد		
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	28	26
﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ...﴾	31	38
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	11	124
﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ...﴾	25	129
﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	28	142

إبراهيم		
﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	19	167
النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	36	22
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ...﴾	107	41
الإسراء		
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ...﴾	88	21 ، 44
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ...﴾	82	98
﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ...﴾	46-45	154
الكهف		
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ...﴾	110	26
﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾	81	125
مريم		
﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾	76	99
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً ...﴾	45-41	102
﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ...﴾	46	102
طه		
﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى* وَمَنْ أَعْرَضَ ...﴾	124-123	42، 140
﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾	84	60
﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾	50	150
الحج		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	38	31
﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	40	95
﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	32	141
﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	46	158
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	9	162
المؤمنون		
﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾	97	80
النور		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾	40	80
﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	31	104
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ...﴾	54	110
الفرقان		
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ ...﴾	27	29، 157
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ ...﴾	70	55
﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	23	57
النمل		
﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ ...﴾	82	49
﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾	65	70
﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	46	106
القصص		
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي ...﴾	56	99
الروم		
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	47	31، 95
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ...﴾	41	123
السجدة		
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً ...﴾	17	51
الأحزاب		
﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ ...﴾	12	75
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ...﴾	71	111
﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ...﴾	1	132
سبأ		
﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾	39	144
فاطر		
﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	24	63
﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	6	79
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	24	99
الزمر		

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	**10**	36
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾	**36**	80
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	**2**	108
فصلت		
﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾	**46**	53
الشورى		
﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ...﴾	**25**	45
﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾	**7**	61
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾	**30**	122
الزخرف		
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	**3**	164
الدخان		
﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾	**10**	49
الأحقاف		
﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾	**35**	20
الفتح		
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	**2**	21
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله والذين مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الكفار رُحَمَآءُ ...﴾	**29**	169
الحجرات		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا ...﴾	**15**	24
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ...﴾	**7**	26
الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	**56**	95، 122
﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	**18**	107
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: 55)	**55**	152
النجم		
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	**4-3**	43
القمر		
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	**49**	150

الحديد		
﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ ...﴾	7	85
الحشر		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ...﴾	12-11	73
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ...﴾	7	111
الممتحنة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾	1	68
المنافقون		
﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾	4	70
التغابن		
﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾	11	151
الطلاق		
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ ...﴾	3-2	31
الواقعة		
﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ* بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ...﴾	24-17	52
عبس		
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ...﴾	42-38	28
الانشقاق		
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ...﴾	7	28
البينة		
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾	5	109

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	التخريج	الحكم	الصفحة
.1	(أتاهُ جبريل ﷺ وهو يلعَبُ مع الغِلمان فأخذَهُ ...)	صحيح مسلم	صحيح	58
.2	(اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ ...)	صحيح مسلم	صحيح	146
.3	(اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)	سنن الترمذي	حسن	181
.4	(احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَك)	سنن الترمذي	حسن	96
.5	(أُدخِلتُ الجنَّة، فإذا فيها جنابِذ اللُّؤلُؤ، وإذا تُرابُها المِسك)	صحيح البخاري	صحيح	52
.6	(أسعد النَّاس بشفاعَتي يوم القيامة، مَن قال: لا إله إلَّا الله خالِصاً من قِبَل نفسِه)	صحيح البخاري	صحيح	26
.7	(إذا تبايَعتُم بالعينة، وأخذتُم أذنابَ البَقر، ورضيتُم بالزَّرع، وتركتُم الجهاد، سلَّط الله ...)	سنن أبي داوود	صحيح	47، 170
.8	(أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها...)	صحيح البخاري	صحيح	68
.9	(أعدَدتُّ لعبادِي الصَّالِحين ما لا عَينٌ رأَت، ولا أُذُن سَمعَت، ولا خطَر على قَلبِ بشر، فاقرؤوا إن شِئتُم: ﴿فلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً ...)	صحيح البخاري	صحيح	52
.10	(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ، مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِه وَيَدِهِ ...)	صحيح ابن حبان	صحيح	97
.11	(أَلَا أُنَبِّئُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله)	سنن ابن ماجه	صحيح	189
.12	(ألا تعجب من حب مغيث بريرة)	صحيح البخاري	صحيح	182
.13	(ألَا إنِّي أوتيتُ القرآن ومِثلهُ معه)	مسند أحمد	صحيح	44
.14	(ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)	صحيح البخاري	صحيح	153
.15	(الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَم)	صحيح البخاري	صحيح	186
.16	(الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معيٍ واحد)	صحيح مسلم	صحيح	33

م	طرف الحديث	التخريج	الحكم	الصفحة
.17	(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه)	صحيح البخاري	صحيح	74
.18	(اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد وانقل حماها إلى الجحفة ...)	صحيح البخاري	صحيح	137
.19	(اللهمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)	صحيح مسلم	صحيح	107
.20	(اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ...)	صحيح البخاري	صحيح	107
.21	(اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ...)	صحيح البخاري	صحيح	100
.22	(قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ)	صحيح مسلم	صحيح	152
.23	(اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ...)	صحيح البخاري	صحيح	158
.24	(أمَّا أوَّل أشراط السَّاعة، فنار تحشُر النَّاس من المشرق إلى المغرب)	صحيح البخاري	صحيح	49
.25	(إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف، فقام رجل رث الهيئة، فقال: يا أبا موسى! آنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم ...)	صحيح مسلم	صحيح	199
.26	(إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان)	مسند الامام أحمد	صحيح	88
.27	(إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، ...)	سنن الترمذي	حسن	155
.28	(إنّ أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثلُ فالأمثلُ)	السنن الكبرى للنسائي	صحيح	35
.29	(إنَّ اللهَ إذا أرادَ بعبدٍ خيراً استعملهُ فقيلَ: كيفَ يَستعملهُ يا رسولَ اللهِ؟ قال يوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ الموتِ)	سنن الترمذي	صحيح	115
.30	(إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ)	سنن النسائي	حسن صحيح	112

م	طرف الحديث	التخريج	الحكم	الصفحة
31.	(إنَّ الله ﷻ يُملي للظَّالم فإذا أخذَه لم يفلته)	صحيح مسلم	صحيح	169
32.	(إنَّ الله ﷻ يقول لأهلِ الجنَّة: يا أهل الجنَّة، فيقولون: لبَّيكَ ربَّنا وسَعدَيك، فيقول: هل رضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضَى، وقد أعطَيتَنَا ما لم تُعطِ أحداً من خَلقِك، فيقول:...)	صحيح البخاري	صحيح	52
33.	(إنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ)	سنن الترمذي	ضعيف	160
34.	(إنَّ أوثَق عُرى الإيمان: أن تُحِب في الله، وتبغَض في الله)	مسند أحمد	صحيح	39
35.	(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى)	صحيح البخاري	صحيح	112
36.	(آيَةُ المُنافِق ثلاث، إذا حدَّثَ كَذَب، وإذا اؤتُمِنَ خان، وإذا وعَدَ أخلَف)	صحيح البخاري	صحيح	68
37.	(أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا في سَبِيلِي ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ضَمِنْتُ لَهُ أنْ أَرْجِعَهُ إنْ رَجَعْتُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ...)	سنن النسائي	صحيح	199
38.	(بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاء)	صحيح مسلم	صحيح	47
39.	(بُعِثتُ أنا والسَّاعة كهذِه من هذه، أو كهاتَين، وقَرنَ بين السبَّابة والوُسطى)	صحيح البخاري	صحيح	47
40.	(تُدنى الشمس يوم القيامة من الخَلق، حتى تكون منهم كمقدار مِيل)	صحيح مسلم	صحيح	29
41.	(تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ)	صحيح البخاري	صحيح	130
42.	(تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا...)	صحيح مسلم	صحيح	157
43.	(ثلاث مَن كُنَّ فيه وجَدَ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مِمَّا سُواهُما، وأن يحب المَرء لا يحبُّه إلَّا لله ...)	صحيح البخاري	صحيح	40
44.	(خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَدَلَّى فِيهَا ثِمَارَهَا، وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا، ثُمَّ نَظَرَ فِيهَا، فَقَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ: وَعِزَّتِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكِ بِخَيْلٌ)	المعجم الأوسط	جيد	148

م	طرف الحديث	التخريج	الحكم	الصفحة
45.	(الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله. ومن قطعني قطعه الله)	صحيح مسلم	صحيح	129
46.	(السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يُؤمر بمعصية فإذا أُمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة)	صحيح البخاري	صحيح	197
47.	(سبعةٌ يظلُّهم الله في ظِلِّه يوم لا ظِل إلَّا ظِلّه: الإمام العادِل، وشاب نشأ بعبادة الله، ورجل قلبه مُعلَّق في المساجِد، ورجُلان تحابَّا في الله ...)	صحيح مسلم	صحيح	30
48.	(سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ...)	صحيح البخاري	صحيح	107
49.	(طَعَامُ الاِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ)	صحيح البخاري	صحيح	148
50.	(عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له)	صحيح مسلم	صحيح	36
51.	(فوالذي نفسُ محمدٍ بيده، لأحَدُهُم أهدَى بمنزِلِهِ في الجنَّة منهُ بمنزِلِهِ كانَ في الدُّنيا)	صحيح البخاري	صحيح	32
52.	(فإذا ضُيِّعت الأمانَة، فانتظِر السَّاعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهلِه، فانتظِر السَّاعة)	صحيح البخاري	صحيح	47
53.	(كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ". قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: "هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ)	سنن ابن ماجه	صحيح	140
54.	(لا تقوم الساعة حتى تطلُع الشمس من مغربها، فإذا طَلَعت من مغربها، آمَن الناس كلُّهم أجمعون ...)	صحيح البخاري	صحيح	49

م	طرف الحديث	التخريج	الحكم	الصفحة
55.	(لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه. يحب الله ورسوله. ويحبه الله ورسوله) قال: فبات الناس يدوكون ...)	صحيح مسلم	صحيح	168
56.	(لا يدخلُ الجنةَ قاطع)، قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي (قَاطِعَ رَحِمٍ)	صحيح مسلم	صحيح	129
57.	(لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ)	صحيح مسلم	صحيح	193
58.	(لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)	سنن الترمذي	صحيح	121
59.	(للشهيد عندَ الله ستُّ خصال: يُغفَر له في أوَّل دفعة ...)	سنن الترمذي	صحيح	37
60.	(لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا)	صحيح البخاري	صحيح	121
61.	(ما نقصت صدقة من مال، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ)	صحيح مسلم	صحيح	145
62.	(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)	صحيح البخاري	صحيح	114، 145
63.	(ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حَزَن ولا أذى ولا غمّ، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفّر الله بها من ...)	صحيح البخاري	صحيح	35
64.	(مَن مات وهو يعلم أنَّه لا إله إلَّا الله دخلَ الجنَّة)	صحيح مسلم	صحيح	23
65.	(مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ ...)	صحيح مسلم	صحيح	179
66.	(مستريح، أو مستراح منه، فقالوا: يا رسول الله: ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا ...)	صحيح البخاري	صحيح	84
67.	(من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان ...)	صحيح البخاري	صحيح	115
68.	(مَن أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ...)	صحيح البخاري	صحيح	121
69.	(من تشبه بقوم فهو منهم)	سنن أبو داوود	حسن صحيح	133
70.	(مَن سرَّه أن يُبسَط لَه في رِزقِه، وأن يُنسأ لَه في أثَرِه، فلْيَصِل رَحمَه)	صحيح البخاري	صحيح	126
71.	(من يُرِد الله به خيراً يُصِبْ مِنهُ)	صحيح البخاري	صحيح	36
72.	(مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحرب)	صحيح البخاري	صحيح	92

م	طرف الحديث	التخريج	الحكم	الصفحة
73.	(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن ...)	صحيح البخاري	صحيح	130
74.	(مَن يدخُل الجنَّة ينعَم، ولا ييأس، ولا تُبلى ثيابُه، ولا يُفنى شبابُه)	صحيح مسلم	صحيح	52
75.	(موضِع سَوط في الجنَّة، خيرٌ من الدُّنيا وما فيها)	صحيح البخاري	صحيح	41
76.	(يا مُقلِّبَ القُلوب ثبِّت قلبي على دِينِكَ)	سنن الترمذي	صحيح	159
77.	(وإذا سألت فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِن بالله)	سنن الترمذي	حسن صحيح	102
78.	(والذي نفسي بيدِه لَيُوشِكَنَّ أن ينزِل فيكُم ابن مَريم حكَماً مُقسِطاً، فيكسِر الصَّليب، ويقتُل الخنزير، ويضع الجِزية ...)	صحيح البخاري	صحيح	48
79.	(ولو أنَّ امرَأةً من أهلِ الجنَّة اطَّلَعَت إلى أهلِ الأرض، لأضاءَت ما بينَهُما، ولملأتْهُ ريحاً، ولَنصيفُها ...)	صحيح البخاري	صحيح	53
80.	(قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ ...)	صحيح البخاري	صحيح	103
81.	(يأكُل أهلُ الجنة فيها ويشربون، ولا يتغَوَّطون، ولا يمتخطون، ولا يَبولُون، ...)	صحيح مسلم	صحيح	53
82.	(يخرُج من النَّار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبِه وزن شعيرة من خير ...)	صحيح البخاري	صحيح	25
83.	(يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، ...)	سنن أبو داوود	صحيح	188

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم